التربية الإسلامية
والقرن الخامس عشر الهجرى

ثلاث رسائل موجهة إلى :

١ ـ علماء الدين المسلمين
٢ ـ علماء النفس المسلمين
٣ ـ علماء التربية المسلمين

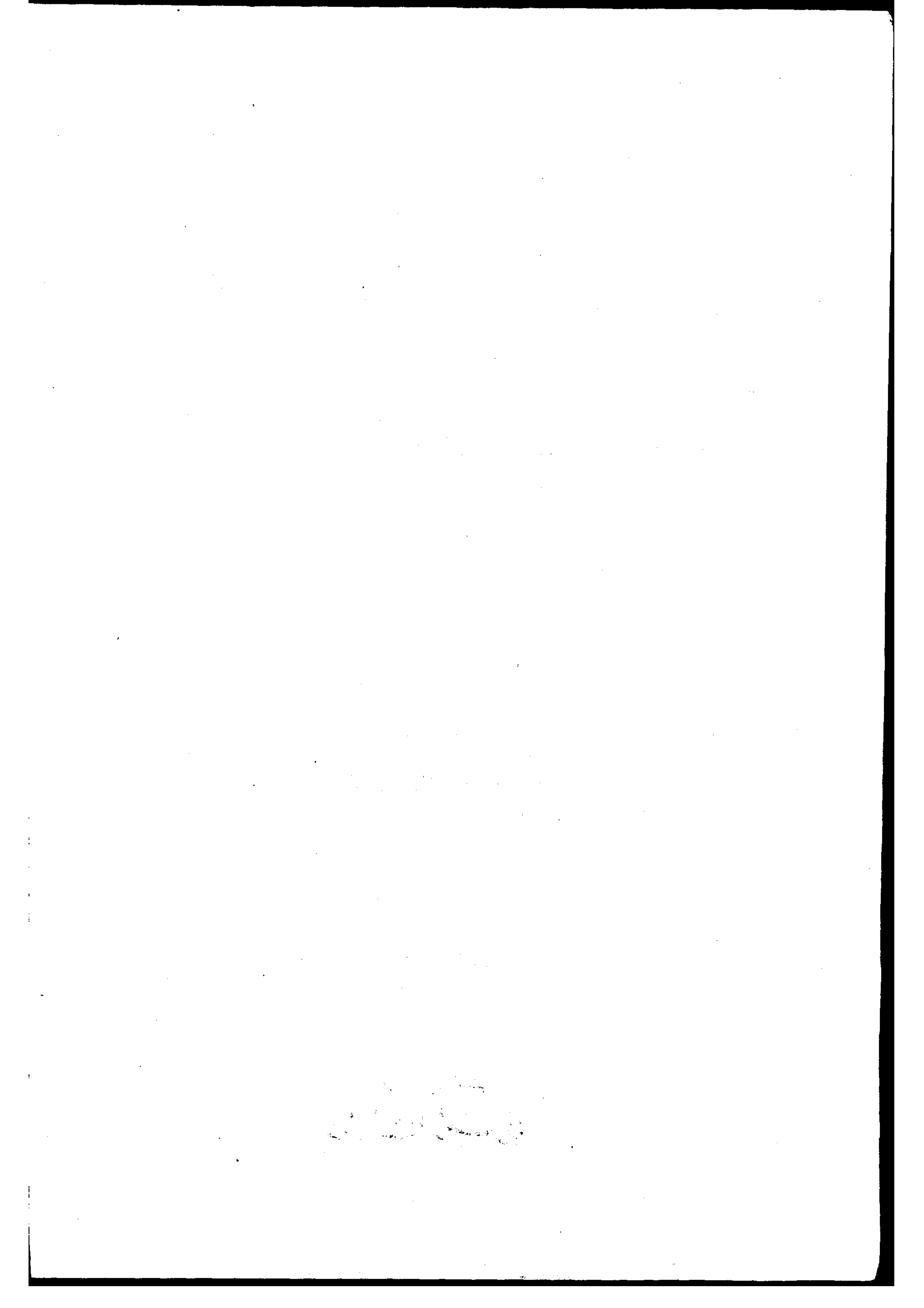
تأليف

دكتور عبد الغني عبود

أستاذ التربية المقارنة والادارة التعليمية المساعد
كلية التربية ـ جامعة عين شمس

الطبعة الأولى
١٩٨٢

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي



بسم الله الرحمن الرحيم

— « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحيـاة الدنيا وفى الآخـرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم »

(قرآن كريم : يونس — ١٠ : ٦٢ — ٦٤) •

* * *

— « ما كان ابراهيم يهـوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفـا مسلما ، وما كان من المشركين • ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين • ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يشعرون »

(قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٦٧ — ٦٩) •

* * *

— « كنتم خـير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون »

(قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١١٠) •

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لم تعد التربية الاسلامية من الموضوعات التى تشغل بال المهتمين بالتربية ، والمتخصصين فيها وحدهم ، بل صار هـذا الموضوع ، هـو الشغل الشاغل ، للمسلمين كافة •

ذلك أن نظام التربيـة الغربى ، الذى (أقحم) على البلاد الاسلامية ، حتى زاحم التعليم الأصيل المتوارث فيها ، فقضى عليه ، أو حصره فى ركن ضيق ، يكاد أن يخنقه خنقا •• صار هـذا التعليم الغـربى ••• عبئا تنوء بحمله بلاد الاسـلام اليوم ، بعد أن لاحظ الجميع ، أنه قـد خرب هذه البلاد فى النهاية ، نتيجة لتخريبه الانسان المسلم ذاته ، و (تفريغه) من أى (محتوى) اسلامى •

يضاف الى ذلك ، أن هـذا التعليم الغـربى ذاته ، بدأ يصيبه الافلاس ، فى داخل بلاده ، حيث ولد ونشأ ، ونما وترعرع •• وحيث أصابته الشيخوخة فى النهاية •• فصارت الحاجة ماسة الى بديل له •

ولم يكن غريبا ، أن تحظى التربيـة الاسـلامية بالاهتمام ، فى جامعات الغرب المتقـدم ذاتهـا ، لا حبا فى الاسلام ، لأنها لم تكن فى يوم ما محبة له ، بل على العكس ، كان من أهدافها الأولى ، القضاء عليه ، منذ كانت مؤسسات كنسية ، تخدم أغراض الكنيسة •• وحتى اليوم ، بعـد أن تحررت – فى ظاهر الأمر – من سلطان الكنيسة • وانما تحظى التربية الاسلامية بالاهتمام فى هذه الجامعات ، لعلها تجد فيها هـذا (البديل) ، الذى تبحث عنه •

يشهد على ذلك ، كثرة عـــدد الرسائل العلمية المسجلة فى هــذا المجال ، للحصول على درجة علمية ••• وتنامى هذا العدد ، بشكل لافت للنظر ، كمـا يشهد عليه ، اهتمــام أساتذة التربية فى البلاد الغربية بالتربية الاسلامية ، سواء فيما يكتبونه عنها ، أو فى تعرضهم لها فيمـا يكتبون ، وقــد كانوا من قبل ، يغفلونها اغفالا •

وجميل جدا بالفعل ، أن يتحول حال التربية الاسلامية ، على هذا النحو ، من حال الى حال ، فهــو شيء يدعو الى الفرحة ويدعو الى التفاؤل معـا •

ولكن الأمر الذى لا يدعو الى الفرحة ولا الى التفاؤل ، هو أن نقف نحن المتخصصين المسلمين فى التربية ، من هــذا الذى يجرى على الساحة ، كمـا لو كان أمرا لا يعنينا ، أو أن نقترب منه اقتراب غير المتخصصين ، فندلى بدلونا فى القضية •• دون دراسة •

ومنــذ سنوات ثلاث تقريبـا ، كان هناك مؤتمر لتطوير مناهج الدراسة لكليات التربيــة ، واقترح البعض ادخال مادة (التربيــة الاســلامية) ، ضمن مواد المنهج ، فكنت من (المعارضين) للفكرة ، وكانت دهشة ، أن أكون أنا بالذات من المعارضين ، بينما كان واجبا أن (أتبنى) أنا الفكرة ، وأكون عنها ••• لا من المدافعين ، بل فى مقدمة هؤلاء المدافعين •

ومنذ شهور قليلة ، أتانى زميل فى احدى كليات التربية الاقليمية فى مصر ، يزف الى (بشرى) نجاحه ، فى جعل جامعته ، توافق على أن تكون مادة (التربية الاســلامية) ، واحــدة من المواد الاختيارية فى التربية ، التى تدرس فى (الدبلوم الخاصــة) ، وان كان يحمل مع (البشرى) ، (مرارة) فشله فى جعل الجامعة ، توافق على أن تكون مادة اجبارية •• ومن قبل ذلك فشله فى جعلهـا من مواد الليسانس والبكالوريوس •

وعندما وجد الزميل ، أن رد فعلى كان سلبيا ، عجب .

وأزلت عجب الزميل ، عندما شرحت له وجهة نظرى .

ولست أشك مطلقا ، فى صدق نية من يسعون الى أن تحتل التربية الاسلامية مكانتها فى مقررات كليات التربية ، فى العالمين العربى والاسلامى ، لا فى مصر وحدها .. ويكفى أن هذا الزميل ، الذى جاءنى ، يزف الى البشرى ، من العائدين قريبا من انجلترا ، التى حصل منها على الدكتوراه — وأن معظم وقته فى انجلترا — كما علمت من زملائه فى البعثة — كان يقضيه متجولا بين أنحاء انجلترا .. يجمع التبرعات ، لاقامة مسجد هنا .. أو رابطة للمسلمين هناك — وأنه كان سعيدا جدا ، كما علمت منه هو شخصيا ، بزيادة عدد الرسائل المسجلة فى (التربية الاسلامية) فى جامعات انجلترا ، للحصول على الدكتوراه ، تحت اشراف أساتذة انجليز .

وقد اطلعت بنفسى بالفعل ، على عدد من ملخصات هذه الرسائل ، وأعجبنى كثيرا منهج الدراسة فيها ، وجدية الباحثين ، وشمول البحث المقدم .

أما وجهة نظرى ، التى وضحتها للزميل الصديق ، وللزملاء قبله ، الذين عارضت فكرتهم ، فهى أن القضية ليست قضية منهج ، وانما هى قضية من سيقوم بتدريس المنهج .

ان الكتابات المتداولة حول التربية الاسلامية ، وهى كثيرة كثيرة ، مما يستدعى التأنى ألف مرة ، لنفكر فى اعداد (المتخصص) فى التربية الاسلامية ، قبل أن نفكر فى خلق مقرر ليدرس للطلاب — اذ ما فائدة جعل مقرر يدرس للطلاب فى التربية الاسلامية ، سيقوم بتدريسه عالم من علماء الدين .. لا يعرف شيئا عن التربية ، كعلم وتخصص ، كما تشهد بذلك معظم المؤلفات التى تزخر بها المكتبات .. أو سيقوم

بتدريسه عالم من علماء التربية ، ليبرالى النزعة ، أو ماركسى النزعة ، كما تشهد على ذلك مؤلفات كثيرة ، فرضت نفسها على المجال مؤخرا .. أو هو على الأقل ، يفهم الاسلام ، بنفس (التركيبة العقلية) ، التى أعد بها ، على يد ليبراليين ، أو ماركسيين .

والاسلام ، هو الاسلام .. لا يمكن أن يكون ليبراليا كما يدعى البعض ، برغم حفاظه على (الحرية الفردية) ، واعتبارها من (المقدسات) ، حتى ولو كانت هذه الحرية .. حرية لغير مسلم .

والاسلام .. هو الاسلام ، لا يمكن أن يكون شيوعيا ، كما يدعى البعض ، برغم اعتباره مراعاة (الصالح العام) ، عملا دينيا مقدسا ...

ذلك أن منظور الاسلام الى الحرية الفردية ، يقوم على أساس فلسفى ، مناقض تماما للمنظور الليبرالى اليها ، وأن منظوره الى (الصالح العام) ، يقوم على أساس فلسفى ، مناقض تماما ، للمنظور الماركسى اليه .

وكم ستكون كارثة ، أن يكون هناك مقرر للتربية الاسلامية ، يقوم بتدريسه ، ليبرالى النزعة ، أو ماركسى .. لأن ذلك لا يعنى الا شيئا واحدا ، وهو (تخريب) الاسلام ذاته ، باسم الاسلام .

ودون هذه الكارثة بكثير ، ألا نعلم شيئا على الاطلاق ، عن التربية الاسلامية .

ومن ثم كان واجبا أن يكون لنا نحن المتخصصين فى التربية (موقف) ، من هذا (التيار) الجديد ، الذى صار يفرض نفسه على الجميع .. والا فاتنا القطار .. أو جرفنا تيار من التيارات ، التى تضعنا فى النهاية ، بعيدا عما يجب أن نكون ، أو نحب أن نكون .

ولقــد كان واجبا أن نكون نحن (السابقين) اليه ، بدلا من أن نكون لاحقين فيه ، على هــذا النحــو ، ولكن اقتحامنا اياه فى وقت متأخر ، خير لنــا من التمادى فى النكوص عنه •• حتى يفرض علينا بعد ذلك فرضــا •

وليكون لنا موقف من هذا التيار الجديد ، فاننا مضطرون أن نضع أيدينا فى أيدى المتصلين بنا اتصالا مباشرا ، على طريقه ــ وفى مقدمتهم علماء الدين ، الذين لا يمكن فهم (الفكرة الاســلامية) ، بدونهم •• وعلماءالنفس ، الذين نبنى ــ نحن المتخصصين فى التربية ــ كثيرا من تصوراتنا التربوية ، ونحدد مسارنا لتحقيق هــذه التصورات ، على ما يقدمونه لنا من معلومات •

الا أن علماء النفس أنفسهم ، فى حاجة الى أن يعيدوا النظر فى كثير من المعلومات المتوفرة لديهم ، بسبب ارتبــاط هــذه المعلومات ، بأصول غير اسلامية ، أو بتعبير أصح ، مضادة للاسلام ، ثم اللجــوء الى التجربة ، و (تريبيفهــا) ، لصبغها بالصبغة (العلمية) ، ليسهل خداع المخدوعين بهــا •

وهذه هى الفكرة ، التى يدور حولها هذا الكتاب ، ومن أجلهــا كان اصــداره •

وأصــل هـــذا الكتاب ••• دراســات ثلاث ، تقــدمت بهــا الى (مؤتمر التربية الاسلامية) ، الذى عقد فى بيروت ، فى النصف الثانى من مارس ١٩٨١ ، احتفــالا باستقبال القرن الخامس عشر الهجــرى •

ولتكون الدراسات الثلاث ، منظــومة متكاملة ، يكون لهــا هدف محدد ، تصل اليه ، قدمت لها بفصل عن المشاكل التى تقابل الاشتغال بالتربية الاسلامية ، وصعوبات العمل فى هــذا المجال ، كما نراها على الساحة الاسلامية المعــاصرة •

وقـد ألحقت بهذا الفصل فصلا ثانيا ، عن أعمال مؤتمر بيروت للتربية الاسلامية ، ومقررات هذا المؤتمر ، أو (بيانه الختامى) .

والدراسة الأولى (الفصـل الثالث) ، دعوة مفتوحة ، الى علماء الدين المسـلمين ، وموقفهم الذى يجب أن يقفـوه من (التربيـة الاسلامية) ، والدور الذى يجب أن يلعبوه فيها ، بوصفهم المسئولين أساسا عنها ، مسئوليتهم عن غيرها من ألوان النشاط ، التى تتطلبهـا الحيـاة .. فى المجتمع المسلم .

والدراسة الثانية (الفصل الرابع) ، دعوة مفتوحة ، الى علماء النفس المسلمين ، حول ما يقدمونه ، مضادا للفكرة الاسلامية ، معتمدين فيه على معطيات العلماء الغربيين فى هذا المجال ، وكلها معطيات دينية فى أساسها ، يهودية / مسيحية ، منتزعة من الكتاب المقدس ، بشقيه ، القديم (التوراة) ، والجديد (الانجيل) .

والدراسة الثالثة والأخيرة (الفصل الخامس) ، دعـوة مفتوحة الى علماء التربية المسلمين ، حول (أسلوب) تعاملهم الحالى مع التربية الاسلامية ، و (الأسلوب) الذى يجب أن يفكروا فيه ، للتعامل معها .

ولا تقدم الدراسات الثلاث ، وجهات نظر محددة ، فى الموضوعات المحـددة ، التى تدور كل منها حولها .. بقـدر ما تطرح قضـايا ، للمتخصصين فى المجـالات الثلاثة .. ليفكروا فيهـا .. على طريق (التربيـة الاسلامية) .

ومن ثم فهو كتاب — ليس كغيره من الكتب ، التى تدور حـول موضوع واحد ، رغم أن هـذا الكتاب — كغيره من الكتب — له هدفه المحدد ، أو خطه الواضـح .. برغم (تنوع) الموضـوع ، بحسب من وجهت اليه الدعوة .. من المتخصصين .

وأيا كان الأمر ، فهو خطــوة على طريق (التربية الاسلامية) الطويل .. أرجو أن يكون له أثره فيه ، وعلى الله وحده قصد السبيل .

دكتور عبد الغنى عبود

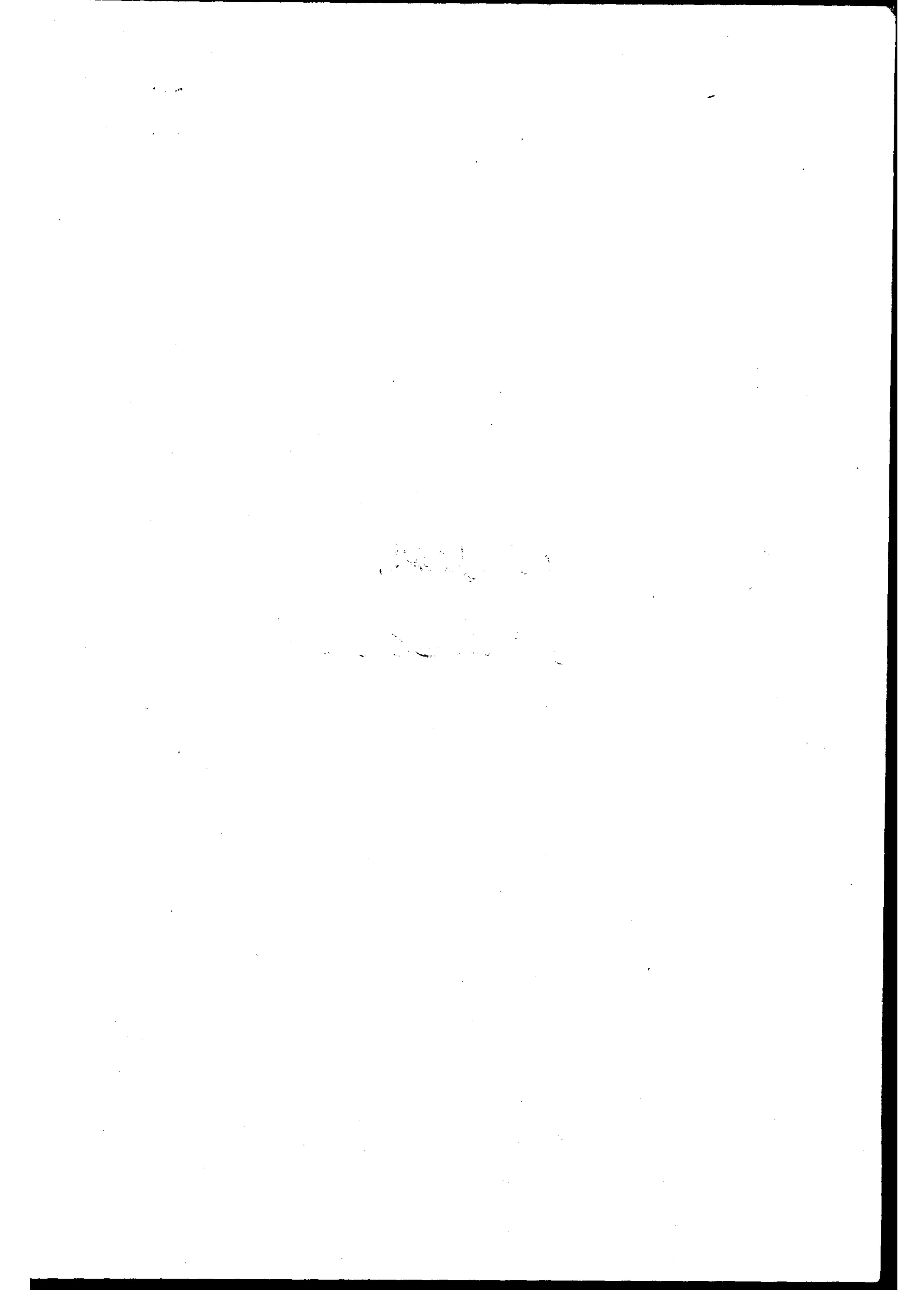
القاهرة فى : — رمضان ١٤٠٢هـ .

— يوليــو ١٩٨٢م .

محتويات الكتاب

الفصل الأول

لماذا كانت هذه الدعوات ؟



— أمن الاسلاميات ، الى التربية الاسلامية ؟

— أم من التربية الاسلامية ، الى الاسلاميات ؟

وربما كان الاستهلال بهذين السؤالين ، أو اذا أردنا الدقة فى التعبير ، بهذا السؤال الواحد ، المزدوج الاتجاه ، استهلالا غريبا ، ولكنه — من وجهة نظرى — ضرورى ، لأنه لب قضيتنا هنا ، فى هذا الكتاب على الأقل ، ولب قضيتنا ، اذا نحن أردنا أن نتطلع الى (التربية الاسلامية) ، فى القرن الخامس عشر الهجرى ، على نحو ما سنرى .

ومسح للجهود التى بذلت على طريق التربية الاسلامية ، فى القرن الرابع عشر الهجرى وما قبله ، يؤكد أن الطريق الى التربية الاسلامية ، يسلك طريقا واحدا ، يبدأ بالاسلاميات .. وينتهى الى التربية الاسلامية ، فقد كان معظم من كتبوا فى المجال ، من علماء الدين ، الذى خاضوا مجال التربية الاسلامية ، بعد كتابات كثيرة لهم .. فى الاسلاميات . ومن ثم كانت كتاباتهم فى التربية الاسلامية ، ككتاباتهم فى غيرها ، من (الاسلاميات) ، كتابة يمكن أن توصف بأنها (توضح رأى الاسلام) فيما يكتب ، دون أن تلتزم (بمنهجية) الكتابة العلمية .. فى التربية .

وصحيح أن من بين ما كتب بهذه الطريقة ، وعلى يد هؤلاء (الاسلاميين) ، كتابات بلغت حدا كبيرا من الروعة والدقة والاتقان ، ولكن معظم ما كتب فيها ، كان يكتب عن أى شىء .. الا التربية[1] .

---

(١) واعتقد انه من المناسب هنا ، عدم التعرض لأسماء مؤلفين ، أو عناوين كتب — لأسباب ثلاثة :

— أولها — ان القصد ليس تجريح أحد ، أو الاساءة اليه ، وانما القصد هو الاستفادة مما يحدث على الساحة فقط .

— وثانيها — أن أصحاب هذه الكتابات قد اجتهدوا ، ولهم من الله جزاء المجتهدين ، واننى انا شخصيا ، قد استفدت من اجتهادهم ، كما استفاد منه غيرى من المتخصصين فى التربية ، حيث (وظفنا) جميعا اجتهادهم هذا . ولولا جهودهم تلك ، لبدانا نحن من فراغ .

— وثالثها — أن هذه المحاولات ، موجودة فى الأسواق ، وفى المكتبات ، وفى قوائم مراجع من درسوا موضوعا من موضوعات التربية الاسلامية ، فهى ليست سرا .

وقبل كتابة هذه السطور بأيام قليلة ، أتانى أحد الأصدقاء من الكويت ، بكتاب من جزءين ، يحمل عنوان (التربية الاسلامية) بشكل أو بآخر ، عندما علم منى أنى لم أسمع عن الكتاب ولا عن مؤلفه ، وعرف رغبتى فى الاطلاع عليه .. فرأيت صورة صارخة ، لهذا الرأى الذى أدعيه ، بالرغم من أن الكتاب ، من أروع ما قرأته لهؤلاء (الاسلاميين) من كتابات ، فى المجال .

وكانت النسخة التى أحضرها لى الصديق العربى ، نسخة من الطبعة الثالثة للكتاب ، الذى طبع طبعته الأولى سنة ١٩٧٦ ، والثانية سنة ١٩٧٨ ، والثالثة (التى بين يدى) سنة ١٩٨١ .

أى أن الكتاب ، المنشور فى بيروت وحلب معا — واسع الانتشار .

ويتكون الجزء الأول من الكتاب من ٦٢٨ صفحة ، وينضم الجزء الثانى الى الجزء الأول ، ليبلغ عدد صفحات الكتاب ١١٢٠ صفحة .

أى أنه سفر ضخم أيضا .

ويتكون **الجزء الأول** من الكتاب من قسمين ، يتكون **القسم الأول** منهما من عدة مقدمات ، وأربعة فصول ، هى :

— **الفصل الأول : الزواج المثالى ، وارتباطه بالتربية** ، ويتكون من العناوين الفرعية التالية :

(أ) الزواج فطرة انسانية .

(ب) الزواج مصلحة اجتماعية .

(جـ) الزواج انتقاء واختيار .

— **الفصل الثانى : الشعور النفسى نحو الأولاد** ، ويتكون من العناوين الفرعية التالية :

(أ) الأبوان مفطوران على محبة الولد .

(ب) الرحمة بالأولاد ، منحة من الله للعباد .

(جـ) كراهية البنات جاهلية بغيضة •

(د) فضيلة من يتجلد لموت الولد •

(هـ) تغليب مصلحة الاسلام على حب الولد •

(و) عقوبة الولد ، وهجره لمصلحة تربوية •

ــ **الفصل الثالث : احكام عامة تتعلق بالمولود** ، ويتكون من أربعة مباحث ، هى :

ــ المبحث الأول : ما يفعله المربى عند الولادة •

ــ المبحث الثانى : تسمية المولود وأحكامها •

ــ المبحث الثالث : عقيقة المولود وأحكامها •

ــ المبحث الرابع : ختان الولد وأحكامه •

ــ **الفصل الرابع : اسباب الانحراف ومعالجتها** ، ويضم العناوين الفرعية التالية :

(أ) الفقر الذى يخيم على بعض البيوت (الأسس الاسلامية فى مجابهة الفقر) •

(ب) النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات (الأسس الاسلامية فى التفاهم بين الزوجين) •

(جـ) حالات الطلاق وما يصحبها من فقر (متناولا ثلاثة عناوين أصغر) •

(د) الفقر الذى يتحكم فى الأولاد (متضمنا عنوانين صغيرين) •

(هـ) الخلطة الفاسدة ، ورفاق السوء (الاسلام يوجه الى مراقبة الأولاد) •

(و) سوء معاملة الأبوين (ويتضمن ثلاثة عناوين أصغر) •

(ز) مشاهدة أفلام الجريمة والجنس •

(ح) انتشار البطالة فى المجتمع (علاج الاسلام لبطالة المضطر — وعلاجه لبطالة الكسول) .

(ط) تخلى الأبوين عن تربية الولد (ويتضمن عنوانين صغيرين) .

(ى) مصيبة اليتم .

ثم يأتى **القسم الثانى** من هذا الجزء الأول ، فيشتمل على مقدمة ، تدور حول محورين ، أولهما هو (مسئولية المربين ، أظهر المسؤوليات) ، والثانى هو (طائفة من طرائف الأولين وأخبارهم) — ثم تلى هذه المقدمة سبعة فصول ، هى :

— الفصل الأول : مسؤولية التربية الايمانية :

ويضم العنوانين الفرعيين التاليين :

— مبادىء نبوية فى تلقين العقيدة .

— حدود مسؤولية الوالدين .

— الفصل الثانى : مسؤولية التربية الخلقية :

ويضم هو الآخر عنوانين فرعيين اثنين ، يندرج تحت كل منهما عناوين كثيرة أصغر ، وهذان العنوانان الفرعيان الكبيران ، هما :

— الظواهر الأربعة المتفشية فى الأولاد (وهى الكذب والسرقة ، والسباب والشتائم ، والميوعة والانحلال) .

— مبادىء فى الحفاظ على الشخصية والخلق .

— الفصل الثالث : مسؤولية التربية الجسيمة :

ويضم العناوين الفرعية التالية ، تحت عنوان أكبر ، تأتى بعده عدة عناوين صغيرة ، تحت عنوان الفصل ذاته — وهذا العنوان الأكبر ، هو (الظواهر المتفشية فى الأولاد) — وهى عنده :

أولا — ظاهرة التدخين .

ثانيا ــ ظاهرة العادة السرية •

ثالثا ــ ظاهرة المسكرات والمخدرات •

رابعا ــ ظاهرة الزنى واللواط •

ــ الفصل الرابع : مسؤولية التربية العقلية :

ويضم ثلاثة عناوين فرعية ، تحت كل منها عناوين أصغر عديدة • وهذه العناوين الفرعية الثلاثة ، هى :

١ ــ مسؤولية الواجب التعليمى •

٢ ــ مسؤولية التوعية الفكرية •

٣ ــ الصحة العقلية ــ وعنوانه الصغير واحد ، هو (قول كارليل فى الغريزة الجنسية) •

ــ الفصل الخامس : مسؤولية التربية النفسية :

وهو يضم عددا من العناوين الفرعية ، تحت عنوان أكبر ، هو (الظواهر النفسية عند الولد) ، وهو يحصر هذه الظواهر ، فيما يلى :

١ ــ ظاهرة الخجل •

٢ ــ ظاهرة الخوف •

٣ ــ ظاهرة الشعور بالنقص •

٤ ــ ظاهرة الحسد •

٥ ــ ظاهرة الغضب •

ــ الفصل السادس : مسؤولية التربية الاجتماعية :

ويضم العناوين الفرعية التالية (وتحت كل منها عناوين فرعية كثيرة) :

أولا : غرس الأصول النفسية •

ثانيا : مراعاة حقوق الآخرين •

ثالثا : التزام الآداب الاجتماعية العامة •

رابعا : المراقبة والنقد الاجتماعى •

ــ الفصل السابع : مسؤولية التربية الجنسية :

ويتضمن عناوين فرعية ، يتفرع كل منها الى عناوين أصغر كثيرة ــ هى :

١ ــ آداب الاستئذان •

٢ ــ آداب النظر •

٣ ــ تجنب الإثارات الجنسية (يتوسط العناوين الفرعية عنوان آخر ، هو وسائل ايجابية للاصلاح) •

٤ ــ تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ •

٥ ــ الزواج والاتصال الجنسى •

٦ ــ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا •

٧ ــ هل يجوز مصارحة الولد جنسيا ؟

وبهذا ينتهى **الجزء الأول** من الكتاب ، ويضم قسمين ، كما سبق •

أما **الجزء الثانى** من الكتاب ، فانه يضم القسم الثالث من الكتاب، ويتضمن ثلاثة فصول ، هى : ــ

ــ الفصل الأول : وسائل التربية المؤثرة :

ويتضمن عددا من العناوين الفرعية ، تحت كل منها عناوين أصغر :

١ ــ التربية بالقدوة (الرسول هو القدوة) (وتحته ١٨ عنوانا فرعيا أصغر) •

٢ ـ التربية بالعادة (منهج الاسلام فى اصـلاح الكبار ـ منهج الاسلام فى اصلاح الصغار) •

٣ ـ التربيـة بالموعظة (طريقـة القرآن فى أساليب الموعظة ـ منهج الرسول فى القاء الموعظة) •

٤ ـ التربية بالملاحظة •

٥ ـ التربية بالعقـوبة (الطريقة الاسـلامية فى عقوبة الولد ـ الطرق التى فتحها الاسلام فى المعالجة) •

ـ الفصل الثانى : القواعد الأساسية فى تربية الولد :

ويتضمن عددا من العناوين الفرعية ، تنقسم أولا الى اثنين ، هما:

ـ صفات المربى الأساسية •

ـ مخططات التآمر (الشيوعية والصليبية واليهودية والماسونية والاستعمارية) •

وبعد حديثه عنهما ، فى حوالى أربعين صفحة ، يعود فيقسم الفصل الى الحديث التفصيلى عنهما ، فيتحدث عن :

القواعد الأساسية ـ ويفصلها فى :

١ ـ قاعدة الربط :

أولا : الربط الاعتقادى •

ثانيا : الربط الروحى •

ثالثا : الربط الفكرى •

رابعا : الربط الاجتماعى ـ وينقسم الى :

١ ـ ربط الولد بالمرشد الربانى •

٢ ـ ربط الولد بالصحبة الصالحة •

٣ — ربط الولد بالدعوة والداعية — ويتحدث فيه أيضا عن :

— المراحل فى تهيئة الولد دعويا •

خامسا : الربط الرياضى (ويتحدث فيـــه عن عنوان كبير آخر ، هو : المنهج الرياضى وحدوده) •

٢ — **قاعدة التحذير** : ويتحدث فيه عن :

أولا : التحذير من الردة •

ثانيا : التحذير من الالحـــاد •

ثالثا : التحذير من اللهـــو المحرم (ويتحدث عن أصناف اللهـــو المحرم ، كاللعب بالنرد ، والاستماع الى الغناء والموسيقى ، ورؤية السينما والمسرح والتليفزيون ، واللعب بالميسر — كما يتحدث عن ألوان شرعها الاسلام من اللهـــو الحلال) •

رابعا — التحذير من التقليد الأعمى •

خامسا : التحذير من رفقة السوء •

سادسا : التحذير من مفاسد الأخلاق •

سابعا : التحذير من الحـــرام — ثم يتحـــدث عن أهم هـــــذه المحرمات •• ، وهى :

(أ) الحرام فى الأطعمة والأشربة •

(ب) الحرام فى الملبس والزينة والمظهر •

(جـ) الحرام فى المعتقدات الجاهلية •

(د) الحرام فى التكسب •

(هـ) الحرام فى التقاليد الجاهلية •

— الفصل الثالث : اقتراحات تربوية لابد منها :

وهو يضع هـــذه المقترحات تحت العناوين الفرعية التالية ، التى تتفرع — كسابقاتها — الى عناوين فرعية أصغر :

١ — تشويق الولد الى أشرف الكسب .

٢ — مراعاة استعداد الولد الفطرية .

٣ — ترك المجال للولد فى اللعب والترويح .

٤ — ايجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة .

٥ — تقوية الصلة بين المربى والولد .

٦ — السير على منهج تربوى فى اليوم والليلة :

(أ) عند الصباح (دعاء الاستيقاظ .. الخ) .

(ب) عند المســاء .

٧ — تهيئة الوسائل الثقافية النافعة .

٨ — تشويق الولد الى المطالعة الدائمة .

٩ — استشعار الولد بمسؤوليته فى الاسلام .

١٠ — تعميق روح الجهاد ، فى نفسية الولد .

ثم يختم الكتاب بعنوان ، هو (خاتمة المطاف) .

وبخاتمة المطــاف فى الكتاب ، تنتهى الرحلة الطويلة مع أكثر من ألف ومائة صفحة ، من القطع الكبير ، يتوزع الكتاب عليها ، فى جزءين ، وثلاثة أقسام ، وأربعة عشر فصلا (٤ + ٧ + ٣) ، مضافا اليها ، عدد من المقدمات لكل قسم .

وواضح من استعراض فصــول الكتاب — رغم قيمتــه العلمية ، والاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف فى كل ما يورده فيه —

أنها فصول كتاب من كتب الفقه ، لا كتاب من كتب التربية ، كما يدل على ذلك عنوانه ، وأنها أشبه بكتاب ككتاب (فقه السنة) ، للشيخ سيد سابق ، أو (الفقه على المذاهب الأربعة) ، الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، أو ما اليها من كتب الفقه .

ورغم ذلك ، فقد اخترت هذا الكتاب بالذات ، من بين الكتب التى تمثل هذا الاتجاه ، مما كتبه علماء الدين ، لأسباب عدة :

— منها ، أنه — كما قلت قبل الحديث عنه — من أروع ما قرأته لهؤلاء الاسلاميين — رغم بعده — كما يبدو من عناوين فصوله ، والعناوين الفرعية فى هذه الفصول — عن التربية ، بمعناها العلمى .

— ومنها ، عدد مرات طبعه ، فى فترة زمنية محدودة ، مما يعنى سعة انتشاره ، وسمعته الطيبة ، التى هو لها — بالفعل — أهل .

— ومنها ، أنه مقرر فى عدد من كليات التربية فى العالم العربى — فى حدود علمى .

— ومنها ، أنه بحجمه الكبير الذى صدر به ، كان بالفعل أحسن حظا من معظم ما يصدره علماء الدين تحت عنوان (التربية) ، حيث يصدرون ما يكتبونه فى كتيبات ، محدودة الحجم ، محدودة الصفحات . ولقد كان هذا الحجم الكبير للكتاب ، مما أعطى مؤلفه فرصة ، لأن يخرج على خط الفقه أحيانا ، ليقدم لنا (شيئا) عن (التربية) ، وهو ما عجز أصحاب (الكتيبات) عن عمله ، مقيدين بعدد الصفحات المحدود فى الكتيب .

— ومنها — أخيرا — أن هذه الميزات كلها ، هى التى تظهر (حجم المأساة) ، التى انتقلت بها (التربية الاسلامية) ، من قرنها الرابع عشر للهجرة ، الى قرنها الخامس عشر ، والتى علينا أن نتصدى

لهـا ، اذا نحن — فى قرننا الجـديد — أردنا أن نتحدث عن هـــذه (التربية الاسلامية) ، بمعناها (الأكاديمى) ، الذي يتفق عليه علمـاء التربية ، والمتخصصون فيها .

* * *

على أن المسح للجهود التى بذلت على طريق التربية الاســلامية ، فى القرن الرابع عشر الهجرى وما قبله ، يظهر جهودا محدودة ، بذلت على الطريق الآخر(٢) ، الذى يبدأ بالتربية ، وقد ينتقل منها الى الاسلاميات . وقد كان الذين سلكوا هذا النهج عادة ، من المتخصصين فى المجـالات الأخرى غــير الدين ، وخاصة فى مجال التربية ، ممن اقتحموا الميدان ، بغير اعداد دينى ، يكفى لاقتحامه .

ومعظم من نهجوا هذا النهج ، نهجوه عادة ، على طريق الحصــول على درجة علمية (للماجستير أو الدكتوراه) ، فى احدى كليات التربية ، أو فى احـدى كليات الآداب(٣) ، أو فى كلية أخرى يمكن أن يتصـل موضوع الدراسة فيها ، بالتربية الاسلامية ، بصورة أو بأخرى(٤) .

وقليل منهم نهجوه ، على طريق الاهتمام بالتربية الاسلامية وحده .

---

(٢) الطريق الأول ، هو الطريق الذى يبــدأ بالاســلاميات ، وينتهى بالتربية الاسلامية ، وقد تحدثنا عنه فيما ســبق ، بــدءا من ص ١٧ من الكتــاب .

(٣) من أقسام كليات الآداب ، قسم الفلسفة ، وقسم التاريخ ، وقد تمت دراسة موضوعات تتصل بالتربية الاســلامية ، بشكل ما ، فى أحــد هــذين القســمين .

(٤) معروف أن كليــة دار العلوم جامعة القاهرة مثلا ، فيها قســم للفلسفة الاسلامية ، وقسم آخر للتاريخ الاسلامى ، ينطبق عليهما ما قلناه عن قســمى الفلسفة والتاريخ فى كليــة الآداب .

وما ينطبق على كليــة دار العلوم ، ينطبق على كليــة اللغة العربية بجامعــة الأزهر ، كما ينطبق على كليــات أخرى كثــيرة فى خارج مصر والعــالم العربى ، تتصل برامجها بصورة أو بأخرى ، بالتربية الاســلامية ككليــة البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة مثلا .

وفى السنوات العشر الأخيرة ، من القرن الرابع عشر الهجرى ، بدأ المتخصصون فى التربية ، يقتحمون المجال ، ببطء وتثاقل أول الأمر ، ثم بخفة أخذت تزداد يوما بعد يوم •• سواء من خلال ما كتبوه شخصيا ، ومن خلال ما أشرفوا عليه من رسائل علمية ، يحصل بها طلابهم على درجة علمية ، كان فضلهم فيها ، توجيههم للطلاب الى هذا الميدان ، وقيادتهم للعمل فيه ، حتى ينتهوا من الدراسة •

* * *

ويلاحظ أن مثل هذه الكتابات فى التربية الاسلامية ، التى كتبها غير علماء الدين ، أقرب الى النهج العلمى فى الكتابة التربوية ، من تلك الكتابات التى كتبها علماء الدين •• وان كانت هذه الكتابات ، ينقصها العمق الدينى ، بقدر ما يتوفر فيها العمق التربوى •

وتتيجة لهذا الافتقار الى العمق الدينى فى مثل هذه الكتابات ، نجد فى بعض الكتابات ، أمورا عجيبة حقا • فالبعض يقتحم المجال ، متأثرا بالفكرة الغربية فى التربية ، فنراه يدرس التربية الاسلامية فى ضوئها ، فاذا به — تنيجة للخطأ الأول — يقع فى احد خطأين ، يترتبان على هذا الخطأ الأول :

— فنراه اما أن يهاجم الكتاب والحفظ وسلبية المتعلم وجمود المعلم •• الخ ، على أساس أن ظروف العصر كانت هى التى تفرض هذه الأمور فى الماضى — ذلك اذا كان من المتحررين ، أو أحرار الفكر ، كما يحبون أن يسموا أنفسهم ، أو يصفهم غيرهم •

— واما أن نراه يلتمس فى تراث الماضى ، تلك الصور التى تتفق مع التربية المعاصرة فى الغرب ، من تكافؤ فرص ، وحرية للمتعلم ، ومراعاة للفروق الفردية ، وغيرها ، ليصل فى النهاية الى أن التربية الغربية المعاصرة ، ان هى الا صورة مكررة للتربية الاسلامية ، فى أزهى عصورها ، أو للتربية الاسلامية ، كما يجب أن تكون •

وقد نجد بين الاتجاهين أو المسلكين ، اتجاهات أو مسالك أخرى ، بين المسلكين المتناقضين ، أو غير المسلكين السابقين .. ولكنها — كالمسلكين — تضع (الفكرة الغربية) ، نصب العين .

وقليل من الدراسات من هذا النوع ، هي تلك التي استطاعت أن تتحرر ، من هذه (الفكرة الغربية) ، ومن ثم تحررت مثل هذه الدراسات ، من ذلك (القيد) الثقيل ، الذي كبل من التزموا بهذه الفكرة . ولكنها كانت — فى النهاية — هى الأخرى — تعانى من الدوران فى فراغ .

وقليل من الدراسات من هذا النوع أيضا ، هى تلك التى كان أصحابها على (وعى كامل) (بالفكرة الاسلامية) ، وعلى (المام كامل) بالمنابع الأصيلة لهذه الفكرة .

وقد كان هذا الوعى والالمام .. هما مصدر الغنى والثروة — بحق — فى مثل هذه الدراسات .

* * *

وقد كنت واحدا ممن اقتحموا المجال — مجال التربية الاسلامية ، وكنت بحكم اعدادى العلمى ، فى التعليم المدنى ، واحدا ممن سلكوا الطريق الثانى .. بمعنى أننى كنت من المتخصصين فى التربية ، الذين اقتحموا الميدان — ميدان التربية الاسلامية ، بلا أساس دينى يذكر .

وأعتقد أننى وقعت فى كثير من أخطاء من سلكوا نفس طريقى ، سواء فيما كتبت فى هذا المجال — وهو كثير ، وفيما أشرفت عليه من رسائل علمية ، حصل — ويحصل — بها أصحابها على درجة علمية ، ولكننى أعتقد أيضا ، أننى كنت أحاول دائما أن أتعلم ، من خلال ما أسمع ومن خلال ما أناقش وأتناقش ... ومن خلال ما أقرأ ، وهو — بحمد الله — كثير كثير .

وعلى طريق التعلم هذا ، قرأت كل ما وقع تحت يدى ، وما سمعت عنه ، متصلا بالمجال ، دون أن أجد صدرى يضيق لحظة ، بما أقرأ ، مهما كان غثا .. فقد وجدتنى أتعلم حتى من هذا الغث .. شيئا .

وعلى طريق التعلم هذا ، كنت أجد سعادة غامرة ، فى أن اتناقش مع أصحاب الرسائل المسجلة معى ، حول جزئية محدودة ، الساعات الطوال ، دون أن أمل .. لا تناقش أستاذ مع طالب ، بل تناقش صديق مع صديق ، أو تناقش اثنين من طلاب العلم ، يسيران معا على طريق واحد .. وعر طويل .

ولم يكن غريبا ، أن تتحول علاقتى بأول طلابى على هذا الطريق المبارك ، « بسرعة ، من أستاذ/تلميذ ، الى صديق/صديق »(٥) ، وأن يصل النقاش بينى وبين الثانى الى درجة « الخلاف بيننا ، الى حد أتعبنى فعلا ، فكانت منى ثورة عليه ، لم أكن أحبها ، لا لشىء ، الا لأنها كانت فى منزلى »(٦) ، وأن يعجبنى فى الثالث ، « أنه — بطبعه — (متمرد) ، كما قلت فى هذا التقديم ، أو (مشاكس) ، كما قلت له

---

(٥) حسن عبد العال : التربية الاسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى — الكتاب الأول من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ١٣ (من التقديم ، للدكتور عبد الغنى عبود) .

وقد حصل صاحب الرسالة على درجة الدكتوراه اوائل سنة١٩٨١، فى رسالة كان عنوانها (أصول تربية الطفل فى الاسلام) ، تعد الآن للطبع، ضمن سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) ، التى تنشرها (دار الفكر العربى) .

(٦) على خليل ابو العينين : فلسفة التربية الاسلامية ، فى القرآن الكريم — الكتاب الثانى من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٢٧ (من التقديم ، للدكتور عبد الغنى عبود) .

وقد حصل صاحب الرسالة على درجة الدكتوراه فى أواخر سنة ١٩٨١ ، فى رسالة كان عنوانها (الأصول الفلسفية للتربية فى مصر الحديثة، بين الفكر الاسلامى ، والفكر التغريبى) — وهى تعد الآن للطبع ، ضمن هذه السلسلة .

فى أثناء مناقشة الرسالة »(٧) ، وأن تكون رسالته ، « رسالة (متمرد) قادر على أن (يثور) على المفاهيم البالية ، ويأتى بالجديد ، الجدير بأن نستمع اليه ، ونقرأه » (٨) .

واذا كان هذا ما نشر فعلا ، فى تقديمى لما نشر من هذه الرسائل، فان مالم ينشر ، أكثر بكثير مما نشر ، ولكننا — عند النشر — لا نقول دائما ، كل ما يحدث .

وقد انتقلت رغبتى فى التعلم تلك ، من مجال (التربية الاسلامية) هذا ، الى كل مجال من مجالات البحث والعلم والمعرفة .. فصار (لين الجانب) سمتى ، مشرفا على الرسائل العلمية ، ومتعاملا مع الآخرين من الزملاء ، ومحاضرا لطلاب الدراسات العليا ، أو لطلاب الليسانس والبكالوريوس .. مع أن من يعرفوننى عن قرب ، من غير الطلاب .. يعرفون عنى أننى لست لين الجانب .. أبدا — وان كنت أتمنى أن يكون ذلك طبيعة أصيلة فى .

وقد كانت رغبتى فى التعلم تلك ، مما جعلنى أسير على الدرب ، ببطء حقا ، ولكن فى ثقة أيضا ، بحمد الله .

* * *

وقد بدأ تفكيرى فى اقتحام المجال — مجال التربية الاسلامية ، وأنا أعمل فى رسالتى للدكتوراه ، التى سجلتها فى كلية التربية جامعة عين شمس ، تحت عنوان (دراسة مقارنة ، لنظام البحث العلمى ،

---

(٧) على سالم النباهين : نظام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر — الكتاب الثالث من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨١ ، ص ٥١ (من التقديم ، للدكتور عبد الغنى عبود) .

وقد سجل صاحبها رسالته للدكتوراه ، تحت عنوان (دراسة مقارنة للأوضاع التعليمية للأقليات المسلمة فى الهند وسريلانكا ويوغوسلافيا) ، فى قسم التربية المقارنة والادارة التعليمية ، بكلية التربية جامعة عين شمس .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

فى مصر ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى) ــ حيث (لاحظت) أن من أسباب (تفوق) الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى مجال البحث العلمى ، وبالتالى فى مجال الحضارة والتقدم ، (ارتباط) (العلم) و (التعليم) و (البحث العلمى) فى كل منهما ، بالواقع القومى ، أو (بالتراب الوطنى) بتعبير أدق • وعلى هذا الارتباط ، وجدت (اتفاقا) بين البلدين المتناقضين آيديولوجيا ، على عكس ما يتصور الكثيرون ، وعلى عكس ما كنت أتصور أنا شخصيا ، قبل دراستى للموضوع • كما لاحظت ــ فى الوقت ذاته ــ أن من أسباب (تخلف) مصر على الطريق ، تطلعها الدائم ــ منذ عصر محمد على ــ الى مستوى البلاد المتقدمة ، وخاصة الولايات المتحدة ، أو الاتحاد السوفيتى ، وبالتالى (انفصال) (العلم) و (التعليم) و (البحث العلمى) فيها ، عن هذا الواقع القومى ، وعن ترابها الوطنى •

وليس المقصود بالتراب الوطنى هنا وهناك ، هو مجرد (الوجود المادى) من حول النظام •• وانما هو يتسع ليشمل (روح الأمة) ، التى تتصل بهذا (الوجود المادى) ، على نحو أو آخر •

وبعبارة أخرى : ان (الدين) بمعناه الواسع ، مقصود بالدرجة الأولى ، عند الحديث عن هذا (التراب الوطنى) •

ومن ثم كان من مقترحاتى فى الرسالة ، العودة الى الاسلام ــ روح مصر ، اذا نحن أردنا أن نسير ــ بالفعل ــ فى طريق التقدم الحضارى •

وبالرغم من اقتناعى بالاسلام حلا ــ فقد كان على هذا الاقتناع أن يتحول الى أسلوب عمل ، يترجم الاقتناع ، الى حياة آكاديمية تعاش •

وبدأت القراءة فى التراث الاسلامى ، باحثا ــ آول الأمر ــ عما يتصل بالتربية المقارنة ، التى تخصصت فيها ، وفى قسمها بكلية

التربية جامعة عين شمس أعمل ... فوجدت الكثير ، وسجلت ما وجدته حينئذ ، في أول كتاب صدر لي سنة ١٩٧٤ مشتركا مع الأستاذة الدكتورة نازلي صالح ، حيث اتفقنا — عند بدء العمل — على تحديد أبواب الكتاب وفصوله ، وتحديد الباب المخصص لكل منا ، وكان من نصيبي في الكتابة ، كما يبدو من فهرس الكتاب ، أو محتوياته : الأبواب الثلاثة : الأول ، والثاني والرابع .

وكان الباب الأول يحمل عنوان (التربية المقارنة) ، وفيه تعرضت لمراحل تطورها ، وعند المرحلة الأولى من هذه المراحل (مرحلة وصف نظم الحياة في البلاد الأجنبية عموما) ، وجدت أن الجهد هنا يكاد أن يكون جهد العرب وحدهم ، يشهد على ذلك مؤلفات أمثال ابن خلكان والبغدادي والادريسي والعبدري وابن حوقل والهمذاني والاصطخري وابن جبير وابن بطوطة وغيرهم في المجال(٩) .

أما الباب الرابع ، فقد كان عنوانه (الأيديولوجيا والتربية) ، وهو يضم الفصول من الرابع الى التاسع (١٠) ، وفيه تأكيد لما توصلت اليه في الدكتوراه ، من أن نظام التعليم ، يعكس (الأيديولوجيا) السائدة في كل بلد ، وهو ما عبرت عنه في رسالة الدكتوراه ، (بالتربة) ، أو (التراب الوطني) .

ثم نمت الفكرة أكثر بعد ذلك ، فكان عنوان هذا الباب (الأيديولوجيا والتربية) ، هو عنوان كل كتابي التالي ، وهو كتاب (الأيديولوجيا والتربية)(١١) — بعد نمو الفكرة أكثر في نفسي ، وزيادة عمقها .

---

(٩) دكتورة نازلي صالح ، ودكتور عبد الغني عبود : في التربية المقارنة — الطبعة الأولى — عالم الكتب — ١٩٧٤ ، ص ١٨ — ٢٢ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٨٧ — ٣١٤ .

(١١) صدر عن درا الفكر العربي : الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦ والثانية سنة ١٩٧٨ ، والثالثة سنة ١٩٨٠ — وقد صدرت الطبعة الأولى في ٦٠٠ صفحة ، والثانية في ٦٤٠ صفحة ، والثالثة في ٥٥٨ صفحة — بعد أن جمع الكتاب فيها ببنط أصغر . والكتاب يعد الآن بتعديلات جذرية فيه ، ليدفع به الى المطبعة ، لطبعه الطبعة الرابعة .

ومع (الأيديولوجيا والتربيــة) ، بابا من أبواب كتاب ، ثم كتابا مستقلا قائما بذاته فيما بعد ، صدر لى (مع الدكتور عبد الغنى النورى)، كتاب (نحو فلسفة عربية للتربية)(١٢) ، الذى تتلخص فكرته ، فى أنه ليس هنــاك من سبيل ، تخرج به التربية العربية المعاصرة ، من أزمتهــا الحالية .. سوى الاسلام ، ونظام التربية فيه .

ومع الكتب ، بدأت أفكار محدودة ، تفرض نفسها على ، فأبدآ فى دراستها ، على طريق التربية الاسلامية ، فكان مقال فى (تعليم الجماهير) ، عن (التربية المستمرة فى الاسلام)(١٣) ، ردا على مقال صدر فى عــدد سابق من المجلة ، يدعى أن التربيــة المســتمرة ، من منجزات التربيــة المعــاصرة ، تحت ضغط القرن العشرين ، وما فرضــه على العــالم من (متغيرات) . ثم كانت لى فى نفس المجــلة ، مقالات أخرى ، حول موضوعات أخرى .

ثم كان (المؤتمر الدولى للتنمية وتعليم الكبار) ، الذى عقــد فى دار الســلام بتنزانيا ، فى الفترة من ٢١ ــ ٢٦ يونيو ١٩٧٦ ، وشاركت فيه (المنظمة العربية ، للتربية والثقافة والعلوم) ، فكلفتنى بكتابة دراسة تتفق وموضوع المؤتمر ، تعكس (التراث الاسلامى) ــ وتلقيه المنظمة باسمها فى المؤتمر ــ فكتبت دراسة عنوانهــا (التعليم مدى الحياة فى الاسلام) ، ترجمت الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ووزعت باللغتين ، واللغة العربية أيضا ، ضمن دراسات المؤتمر ــ ثم نشرت ــ بعد ذلك ــ

---

(١٢) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحــو فلسفة عربية للتربية ــ دار الفكر العــربى ــ الطبعــة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

(١٣) دكتور عبد الغنى عبود : « الاسلام وتحدى العصر : التربيــة المستمرة فى الاسلام » ــ **تعليم الجماهير** ــ مجلة متخصصة ، تصدر عن : الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار ــ الســنة الثالثة ــ العــدد الخامس ــ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٦ ، ص ٧٠ ــ ٨٤ .

فى العدد الثامن من مجلة (تعليم الجماهير)(١٤) ٠

وأغرانى ذلك كله ، بأن أقتحم الميـدان ، بدراسـة كبرى — أى بكتـاب ٠

وخططت لفصول الكتاب بالفعل ، وقسمته الى قسمين ، أحدهما نظرى ، والثانى تطبيقى ٠

وبدأت — بالفعل — فى كتابة الجزء النظرى ، وفى الوقت ذاته ، عملت على جمع المـادة العلمية المتعلقة بالجزء التطبيقى ، الذى اخترت له أربعة بلاد ، رأيتها تمثل العالم الاسلامى المعـاصر ، هى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، وباكستان ، والجزائر ٠

واستعنت — فى جمع المـادة العلمية — بأصدقائى الموجودين فى هـذه البلاد — ومع المـادة العلمية عن بلد من هـذه البلاد ، مع أحد الأصـدقاء ، ذوى الخبرة الطويلة ، بحكم تنقله المسـتمر ، واحتكاكه المتصل ، بالمحافل العلمية فى الخارج — معه جاءت مع المـادة العلمية ، النصيحة الغالية ، التى غيرت المسار ٠

وكانت هذه النصيحة ، تتلخص فى ضرورة (التأنى) و (الحذر) الشديد ، عند الكتابة فى (الاسلاميات) ، لأن المبشرين والمستشرقين ، (يحسنون) استغلال ما يكتبه المسلمون عن الاسلام ، خاصة اذا كان فى هذه الكتابة (غفلة) ، أو (سطحية) ٠٠ يحسنون استغلالها ، فى (ذبح) الاسـلام ذاته ٠

وتذكرت — مع النصـيحة — ألمى الشخصى ، وأنا أقرأ كثيرا من

---

(١٤) دكتور عبد الغنى عبود : « التعليم مدى الحياة .. فى الاسلام » — **تعليم الجماهير** — مجلة متخصصة ، تصدر عن : الجهاز العربى لمحـو الامية وتعليم الكبـار — السنة الرابعة — العـدد الثامن — يناير ١٩٧٧ ، ص ٤٩ — ٦٠ ٠

هـذه الكتابات ، على نحو ما وضحت بصـورة أو بأخرى ، فى كلامى السـابق(١٥) •

ثم رأيت — مع توقفى عن الكتـابة — أن ألخص الجـزء النظرى الذى كتبته ، وأن أنشره فى (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس)، تحت نفس العنـوان ، الذى كنت قـد اخترته للكتـاب كله ، وهـو (الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام)(١٦) •

وبتوقفى عن الكتابة ، وتلخيصى لمـا كتبت ، ونشره ، بدأت أتجه اتجاها آخر ، يمكننى من تحقيق بغيتى ، وهو الاتجاه الى تعميق فهمى للاسلام ذاته — فبدأت قراءة مكثفة فيه •

ثم رأيت أن تكون هـذه القراءة (منهجية) هادفة ، فكان اصدار سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ، منذ منتصف سـنة ١٩٧٦ ، على هـذا الطريق • ومنذ فترة قصيرة ، صدر كتابهـا الثانى عشر ، بعنوان (الدولة الاسلامية ، والدولة المعـاصرة) ، وعما قريب باذن الله ، يدفع الى المطبعة بكتابهـا الثالث عشر ، بعنوان (اليهـود ، واليهـودية ، والاسـلام)(١٧) •

ولا يكون أمام السلسلة ، سوى كتابين ، هما الكتاب الرابع عشر، والكتاب الخامس عشر ، وتنتهى السلسلة ، وتكون قد حققت رسالتهـا فى نظرى — وأستطيع — بعدها — فى تصورى — اعادة كتابة (الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام) ، ككتاب متكامل ، من جديد •

---

(١٥) ارجع الى ص ٢٨ ، ٢٩ من الكتاب .

(١٦) دكتور عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » — **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** — بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس — المجلد الثالث — دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٧٦ ، ص ٢١ — ٧٥ .

(١٧) يقال ذلك ساعة كتابة هـذه السطور ، لا ساعة ظهور الكتاب فى الاسـواق .

ومع صـدور كتب سلسلة (الاسـلام وتحديات العصر) ، كانت أفكار تتصـل بالتربية الاسلامية ، تفرض نفسـها على ، فلا أتردد فى تسجيلها ، ونشرها ، كما حدث مع مجلة (التربية) القطرية [١٨] ، التى نشرت لى دراسـة عن (المسجد ودوره فى التربية الاسـلامية) [١٩] ، وأخرى عن (دور الكتاب فى التربية الاسـلامية) [٢٠] ، وثالثـة عن (المدرس فى التربية الاسـلامية) [٢١] ، ورابعة عن (فلسـفة التربية الاسلامية) [٢٢] .

ومع صدورها أيضا ، كان عملى فى الرسائل المسـجلة فى التربية الاسلامية ، وما يستتبعه الاشراف عليها ، من مشـاركة فيها ، وحوار حول الموضوع الذى يدرس .

ومع هذا وذاك ، كان جمع للمادة العلمية ، لا يتوقف ، وكان تفكير مستمر ، فى الكتاب الذى أستعد لاصداره باذن الله .

* * *

ووسط هذا (الانغماس) التام فى الموضوع ــ موضوع التربية الاسلامية ــ على هذا النحو ، كان ذلك (الحدث) الهام ، الذى أعتقد أنه سيكون ذا أثر بالغ ، فيما سأكتب .

كان ذلك فى صـيف سـنة ١٩٨٠ ، حيث كان القرن الرابع عشر الهجرى يوشك على الأفول ، فاذا بالحكومة الباكسـتانية تطلب منى

---

(١٨) تصـدر عن اللجنـة الوطنية القطرية ، للتربية والثقافة والعلوم .

(١٩) نشرت فى العدد الثانى والعشرين ، الصادر فى شعبان ١٣٩٧هـ (اغسطس ١٩٧٧م) ، ص ٥٨ ــ ٦١ .

(٢٠) نشرت فى العدد الرابع والعشرين ، الصـادر فى ذى الحجـة ١٣٩٧هـ (ديسمبر ١٩٧٧م) ، ص ٧٠ ــ ٧٣ .

(٢١) نشرت فى العدد السادس والعشرين ، الصادر فى ربيع الثانى ١٣٩٨هـ (ابريل ١٩٧٨م) ص ٣٤ ــ ٣٦ .

(٢٢) نشرت فى العدد الخامس والثـلاثين ، الصادر فى ذى القعـدة ١٣٩٩ هـ (اكتوبر ١٩٧٩م) ، ص ٧٥ ــ ٧٧ .

دراسة ، أشارك بها في مؤتمر يقام هناك ، بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى •• فكتبت — بالفعل — دراسة بعنوان (التربية الاسلامية والقرن الخامس عشر الهجرى) — ولكن المؤتمر لم ينعقد ، ربما لظروف باكستان الداخلية ، وربما لظروف غزو أفغانستان ، وتأثيره المباشر ، على جارتها باكستان •

وما أن انصرم الصيف ، وجاء الخريف ، حتى عدت من عطلتى الصيفية الى القاهرة ، ليزورنى فى بيتى وفد يمنى ، يمثل (مكتب التوجيه والارشاد العام) باليمن الشمالى ، يطلب منى القاء سلسلة من المحاضرات هناك ، فى زمان أحدده • وتكون منى استجابة ، ويكون تحديد الموعد ، فى مارس ١٩٨١ ، حيث أكون قد انتهيت من تدريس مقرراتى لطلبتى ، أو أوشكت على الانتهاء منها •

وما أن انتهيت من الاجراءات الادارية اللازمة للسفر ، حتى فوجئت بمكالمة تليفونية ، ظننت القائم بها يمنيا ، يسألنى عما تم فى اجراءات السفر الى اليمن ، فاذا به يقول : أى يمن ؟ اننى أحدثكم عن السفر الى بيروت •

وكان المتحدث ، هو الأستاذ عبد الله الشريف ، مندوب دولة الرئيس صائب سلام الشخصى ، ليدعونى أنا ، والدكتور حسن عبد العال ، للمشاركة فى (مؤتمر التربية الاسلامية) ، الذى سيعقد فى بيروت ، فى الفترة من ١٥/٢١ مارس — واتفقنا على اللقاء ، والتقينا عدة مرات •

وحاولت أن أرشح أسماء أخرى فى مصر تشاركنا فى المؤتمر ، فكان الرد أنه لا ترشيح ، لأن لجنة (احتفالات القرن الخامس عشر الهجرى) ، ولجنة (تنظيم المؤتمر) قد قامتا بكل شىء •

وسألته : وكيف عرفنى القوم عندكم ؟

فكان الرد : انهم يعرفونك جيدا ، من خلال مؤلفاتك •

وسألت : وكيف عرفوا الدكتور حسن عبد العال ، وهو لم يحصل على الدكتوراه ، الا منذ شهر واحد ، وليس له فى المكتبات ، سوى كتاب واحد ، هو (التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ، الذى استهللت به (مكتبة التربية الاسلامية) •

فكان الرد : انه تلميذك — وهذه شهادة تكفيه •

وطلب منى ترك هذه الأسئلة ، التى لا تفيد ، والتى سأجد الاجابات عليها ، عند لقائى بالمنظمين للمؤتمر فى بيروت ، للتفرغ لما يفيد — وهو معرفة سر اختيار بيروت بالذات ••• مكانا لانعقاد المؤتمر ، وأوضاع المسلمين فى لبنان (٢٣) ، وللحديث عن الدراسات المناسبة ، وما يطلب منى أنا شخصيا أن أكتبه •• الخ •

ووجدت أن المطلوب منى بالذات ، هو دراستان على الأقل •

واضطررت الى الاعتذار للاخوة اليمنيين ، أو تأجيل سفرى اليهم ، فقبلوا التأجيل •

ثم اضطررت الى اتخاذ اجراءات ادارية جديدة ، نبدأ بالسفر الى لبنان ، ثم السفر الى اليمن ، ثم المرور بالسعودية ، فى طريق العودة ، لأداء العمرة •

ثم اضطررت — فى الوقت ذاته — الى تكثيف قراءاتى ، والى الشروع فى الكتابة ، بادئا بالورقة الأخيرة (التربية الاسلامية ، ومدرستها العلمية المفتقدة) ، وبعد الانتهاء منها ، انتقلت الى كتابة الورقة الثانية (الفكرة الغربية ••• فى علم النفس المعاصر) •

---

(٢٣) كانت أخبار لبنان قبلها هى الشغل الشاغل للاذاعات ووكالات الأنباء ، وكان هناك اجماع كامل فيها ، على أن الاسلام فى لبنان قد انتهى أمره •• وعلى أن المسلمين فيها قد تمت ابادتهم •• وهو ما رأيت عكسه تماما ، بعد سفرى الى بيروت .

ثم جاء دور الورقة الأولى (التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى) ، وقد كانت مكتوبة عندى بالفعل ، لتلقى فى باكستان — كما سبق (٢٤) ، ولم يكن ينقصها الا تغيير محدود فى الافتتاحية — قمت به ، وأرسلت الأوراق الثلاثة ، عن طريق السفارة اللبنانية بالقاهرة — كما اتفقنا ، لتصل فى اليوم التالى ، الى المسئولين عن المؤتمر .

وسافرت الى بيروت ، ظهر يوم السبت ١٤/٣/١٩٨١ ، وفى الطائرة — صدفة — اطلعت على صحفها ، فوجدت مؤتمرا صحفيا عقده الرئيس صائب سلام من أجله ، ووجدت حديثا مطولا فى الصحف عنه ... ووجدت برنامج الجلسة الافتتاحية يوم الأحد ١٥/٣/١٩٨١ ، ثم وجدت برنامج اليوم الأول فيه — بعد الافتتاح : يوم الاثنين ١٦/٣/١٩٨١ .

وكانت مفاجأة لى ، فقد كنت أنا أول المتحدثين فى المؤتمر ، وكان يرأس جلستى الدكتور عبد الله عبد الدايم ، ويناقشنى فى الورقة ، الدكتورة أمان شعرانى . والدكتور عبد الله عبد الدايم ، أشهر من أن يعرف ، فسمعته العلمية ، تغطى الساحة العربية والدولية — والدكتورة أمان شعرانى ، عرفت فيما بعد ، أنها مديرة كلية التربية فى الجامعة اللبنانية .

وهكذا دخلت بيروت مرتبكا بهذا الخبر الذى قرأته .. ثم زاد من ارتباكى ، أننا استقبلتنا على سلم الطائرة ، لجنة استقبال ، أخذتنا من السلم فى سيارة الرئيس صائب سلام الى ساحة كبار الزوار ، وفيها التقيت بالدكتور عبد الله عبد الدايم ، والدكتور صبحى الصالح ، والوفد المغربى ، ومعه المندوب الشخصى للملك الحسن الثانى ، وسفير المغرب ، وسفراء بعض الدول العربية ، كالكويت والسعودية مثلا .

---

(٢٤) ارجع الى ص ٣٧ ، ٣٨ من الكتاب .

وفي الفندق ، جاءتنا دراسات المؤتمر ، ولم تكن بينها دراستي ، التي لم توزع الا قبل انعقاد الجلسة الأولى بدقائق قليلة •

وكان سر التأخر في طباعتها ، كما فهمت فيما بعد ، هو أن الدراسات التي وفدت على المؤتمر ، كانت — على عكس ما يتصورون — أكثر مما يجب ، مما أدى الى ازدحام أعماله (٢٥) ، والى اضطرارهم الى الاعتذار للبعض ، مما أغضب الكثيرين •• ولم يكن معقولا — والحال هذه — أن تكون لمشارك في المؤتمر ، أكثر من دراسة واحدة ، وكان التأخر في الطباعة ، يعود الى حيرتهم : أي الدراسات الثلاثة يأخذون ، وأيها يدعون ، وكيف يعتذرون لي ، عما حدث •

ووزعت الورقة عليّ وعلى الحاضرين — كما سبق — قبل انعقاد الجلسة •• وفوجئت وأنا أتصفحها على المنصة ، والدكتور عبد الله عبد الدايم يقدمني ويقدم الدراسة للحاضرين •• بأن الورقة الموزعة ، ليست ورقة واحدة ، وانما ورقتان ، فهي تحمل عنوان احدى الدراسات (التربية الاسلامية ، ومدرستها العلمية المفتقدة) ، ومحتويات دراسة ثانية (التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجري) •• فزدات حيرتي ، خاصة وأن الجو أمامي كان في حد ذاته ، يدعو الى الارتباك :

قاعة بيت المهندس ، حيث ينعقد المؤتمر ، ملأى — بها عدد لا يقل

---

(٢٥) كانت أعمال المؤتمر تبدأ من الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة ، وتستمر حتى الثامنة مساء تقريبا .. يتخللها غداء أشبه بغداء عمل ، لأن الغداء في كل يوم ، كان يدعو المؤتمرين اليه ، شخصية ، أو هيئة لبنانية .. تتبادل على الغذاء فيه الكلمات ، ويتم الحديث عن أمور الاسلام والمسلمين . حتى يوم الجمعة ١٩٨١/٣/٢٠ — يوم العطلة — كانت لنا في الصباح زيارة لمستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية ، وقفنا فيها على نشاطها ، ومشروعاتها المستقبلة ، اختلسنا بعدها زيارة خاطفة للأماكن التي بدأ فيها اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ، ثم عدنا فصلينا الجمعة ، واصطحبنا بعدها خطيب الجمعة ، سماحة الشيخ حسن خالد ، مفتي لبنان ، الى دار الافتاء ، فتناولنا الغذاء .

عن الخمسمائة — يتصدرهم ممن عرفت فى يوم الافتتاح — فى الصف الأول — الرئيس صائب سلام ، وسماحة المفتى الشيخ حسن خالد ، والشيخ محمد مهدى شمس الدين ، والدكتور صبحى الصالح ، والدكتور عمر فروخ ، ومعظم رؤساء وزراء لبنان السابقين ، وكبار رجاله .. وكنت قدعرفت بعضهم فى جلسة الافتتاح متحدثين — ورأيت بعضهم الآخر فى نفس الجلسة — أو على الغداء ، الذى تلا جلسة الافتتاح .

ومع هذا كله ... الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، بكاميراته وأضوائه ... الخ .

ولم أجد ما أفعله ، سوى أن أعتذر للحاضرين أول الأمر ، عن الخطأ الذى حدث ، موضحا لهم أنى سأجد نفسى مضطرا الى أن أتحدث غير ملتزم بالورقة الموزعة ، بحيث أجمع ، فى نصف الساعة المقرر لى ، بين ما فى الورقتين .

وبالخوف كله بدأت ، وعلى الله اتكلت .. فكان تأييده لى ، خير عون — فقد أحسنت — كما يبدو — التلخيص والعرض ، وأثرت ما أحببت أن أثيره من قضايا .. دار حولها جدل كنت أريده .. وانتصرت وجهة نظرى ، على نحو ما سأعرض فيما بعد .

ثم جاء دور الدكتور عبد الله عبد الدايم ، وقد كان من أسباب ارتباكى ، أن يترأس جلستى ، فاذا به يثنى على العرض ، ويضم صوته الى صوتى فيما ذهبت اليه .. فيكون من أسباب تهدئة نفسى وراحتها .

وقد ازددنا بعدها ، قربا من بعضنا البعض ، وازددت منه افادة ، وله محبة ومودة .

ثم يأتى دور الدكتورة أمان ، فتلخص الورقة تلخيصا عكس ذاتها الصافية ، وعقليتها المستوعبة ، وخلقها النبيل .. وأضفى على ما عرضته — فى النهاية — بريقا ، ما أعتقد أنه كان يستحقه لولاها .

وقـد قامت (دار المقاصد الاسلامية ، للطباعة والنشر والتوزيع) فى بيروت ، بنشر أعمال المؤتمر ، فى خمسة كتب ، كان المحور الذى اتخذ للمحاضرات فى كل يوم ، كما نراه صفحات ٧١ ــ ٧٣ من هذا الكتاب ، هو العنوان الذى اختير لكل كتاب منها ، فكان عنوان الكتاب الأول ، هو (التربيــة الاسلامية ، والمركزية الغربية) ، وضم أربع دراســات ، كانت أولاها دراسـتى (صـفحات ٢١ ــ ٤١) ، تلتها كلمـة رئيس الجلسة ، الدكتـور عبد اللــه عبد الدايم ، ص ٤٣ ــ ٤٥ ، ثم مداخلة الدكتورة أمان كبارة شعرانى ، ص ٤٧ ــ ٧٩ •

ويلاحظ أن عنوان الدراسة ، كما وضع فى هذا الجزء الأول ، كان (التربية الاسلامية ، والقـرن الخامس عشر الهجرى ، مدخل لبحث المدرسة التربوية الاسلامية المفتقـدة) ، كمـا هو واضح ، صفحات ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، والمحتويات ص ٢٣٧ ، وذلك لتلافى الخطأ ، الذى حدث فى توزيع الورقة ، وأشرت اليــه ص ٤١ ، والذى جعل الدكتور عمـر فروخ يقـول فى مداخلته لهـا : لقد وزعت علينا ورقة ، وقال المحاضر كلاما ثانيا ، ثم قالت المناقشـة (أى الدكتـورة أمان شعرانى) كلاما ثالثا ــ مما أضحك الحاضرين جميعا ، ومما جعلنى أذكـره بمـا نبهت اليه أول كلامى ، مما وقع من خطأ •

* * *

وبعد هذه الجلسة الأولى ، كان لى حضور كامل ، فى كل ورقة قدمت ، شهد به كل الحضور ، ، وتحدثت عنه وسـائل الاعلام •• مما دفع بمن يعرفنى شخصيا ، ومن لا يعرفنى شخصيا ، فى جامعة بيروت العربيــة •• الى الاتصـال بى فى الفنـدق ، لشـكرى على تشريفى لمصر ، أو الحضور الى المؤتمر شخصيا ، لنفس الغرض ــ وهو نفس ما عبر عنه الأساتذة اللبنانيون المشاركون فى المؤتمر ، ممن تخرجوا فى أزهر مصر ، ومعظمهم الآن ، يقود حركة الحياة فى أزهر لبنان • هــذا بالاضافة الى كثير من المصريين العاملين فى مرافق مختلفة ، فى بيروت •

* * *

وكان المؤتمر يفتقر الى (الروح الواحدة) فى كل شيء •• وكان ذلك من أسباب غناه ، وما سببه لى شخصيا ، من متعة •• كنت أعلن عنها ، ولا أخفيها ، سواء فى تعليقى على الدراسات المقدمة ، طوال أيام المؤتمر ، أو عندما أسأل عنها ، من صحفى أو مذيع •

فقد كان من الدراسات التى قدمت دراسات تدعو الى اغلاق باب الاجتهاد تماما ، وتنكر الحضارة الغربية انكارا •• فى مقابل دراسات أخرى ، ترى فتح الباب على مصراعيه ، أمام هذه الحضارة الغربية ، على أساس أنها (بضاعتنا ، ردت الينا) •

وكان من الدراسات التى قدمت ، دراسات ترى التشبث بالتاريخ الاسلامى ، واستخراج درره المكنونة ، والاستفادة بها فى نهضتنا الاسلامية الراهنة •• فى مقابل دراسات أخرى ترى اغفال هذا التاريخ تماما ، والانشغال (بواقع) المسلمين المعاصرين ، حلا لمشكلاته •

وهكذا •

وكان لكل دراسة قدمت ، وجهة نظرها الوجيهة •• رغم ذلك •

وكان للرأى المضاد فى القضية المطروحة ، وجهة نظره الوجيهة •• أيضا •

وكان الرأى ، والرأى المضاد ، فى المؤتمر ، هو الذى زاد من (حيوية) المؤتمر ، والتفاعل بين المشتركين فيه والمشاركين •• مما جعل بيروت كلها ، ومن حولها العالم العربى كله ، الذى يعتبرها مركز اشعاع له •• ليس لها من حديث الا عنه ••• لفترة طويلة ، بعد انتهاء أعماله (٢٦) •

---

(٢٦) انتهت أعمال المؤتمر كما هو معروف ، بعد ظهر يوم السبت ١٩٨١/٣/٢١ ، حيث كانت جلسة صباحية ، تلتها التوصيات .. وفى المساء ، كانت زيارة بعض الأعضاء للرئيس صائب سلام فى منزله .. وكنت واحدا منهم . وفى صباح الأحد ١٩٨١/٣/٢٢ ، كانت عودتى الى القاهرة .

=

ولا ينطبق هـذا الاهتمام بطبيعـة الحال، على صحافتنا فى مصر للأسف ، التى لم تشر اليه على الاطلاق ، لأنها — كما نعرف — تشـغل نفسها بأمور أهم ، مثل استقبال مطرب عالمى ، أو نزلة برد ، أصابت مطربة ناشئة ، أو مرض كلب راقصة شرقية مشهورة ، أو ما الى ذلك.

كما كان هذا الرأى والرأى المضاد ، فى المؤتمر ، هو الذى أضاف الى كثيرا فيه .. فقد كان (اختلاف المشـارب العلمية ، وتأثيره) ، أحد محاور دراستى فى الدكتوراه (٢٧) ، ومن ثم كان من مقترحاتى ، ضرورة اعداد الباحثين العلميين ، فى داخل مصر ، على أن تتاح لهم فرصة السـفر الى الخارج ، والاتصـال بمدارسـه العلمية ، بعـد اعدادهم للدكتوراه ، لا من أجل هـذا الاعـداد .. لا يسـتثنى من ذلك ، الا التخصصات النادرة ، التى تحتاج اليها البلاد .. ولا مكان لاعداد كوادرها ، فى داخل البلاد .

كما كان (اختلاف المشـارب العلميـة ، وتأثيره) ، هو محور كلمتى ، التى قلتها فى المؤتمر .

وبرغم هذا وذاك ، كنت أعتمد على (الخيال) وحده فيما تصورته.. فجاء المؤتمر بدراساته ، وما دار حولها من مناقشات .. لتكون (التعبير الحى) ، عن هذا الاختلاف فى المشارب ، وما يمكن أن تكون له من آثار .. يمكن أن تكون مدمرة .

= وقـد علمت من أصدقاء كثـيرين ، فى انحاء الوطن العربى ، اهتمام الصحافة الغربيـة بالمؤتمر وأعمـاله .. حتى بعد انتهائه .

وفى طريق عودتى من اليمن الى القـاهرة ، عن طريق السـعودية ، وعلى شركة الطيران السعودية ، يوم السبت ١٩٨١/٤/١١ ، أخـذت — بالصـدفة — مجلة (اليمامة) الأسبوعية ، التى تصـدر فى الرياض ، لأقلب صفحاتها فى الطائرة .. فوقعت عينى — بالصـدفة ايضا — على عنوان (الضياع والتربية الاسلامية) ص ٥٧ — فاذا به يتحدث عن المؤتمر ، ويتحدث عن هـذا الضياع ، فى ضـوء كلمتى التى قلتها فى المؤتمر .. كما قال المقـال صراحة .

أما العـدد فهو رقم ٦٤٦ — السنة التاسعة والعشرون — الصادر فى يوم الجمعة ٦ جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١/٤/١٠) .

(٢٧) ارجع الى ص ٣٢ من الكتاب .

ولذلك كان المؤتمر ، مفيدا لكل من شاركوا — أو اشتركوا — فيه ، لأنه من خلال المناقشة ، والحوار العلمى الهادىء الهادف ، كانت (الصيغة الملائمة) دائما تفرض نفسها •

ولكنه — برغم ذلك كله — كان صدى طيبا ، لوجهة نظرى ، التى قلتها فى كلمتى ، فى الجلسة الأولى من جلساته •

لقد ظن البعض أنى أبالغ ، حين ادعيت أن (الفكرة الغربية) ، تسيطر علينا ، بالسلب أو بالايجاب ، ونحن نعمل فى المجال — مجال الاسلاميات معا •• وأن الغزو الفكرى كامن — بالفعل — فى أعماقنا ، وأننا قد ورثنا هذا الغزو من مصادر متعددة ، وأنه قد آن الأوان لنا •• أن (نفهم) أنفسنا ، حتى نحررها من هذه (الجرثومة) ، التى (عششت) فى أعماقنا •

ولكن جلسات المؤتمر ، وما ألقى فيه من دراسات ، وما دار حول الدراسات من مناقشات ، كان مما أكد هذه الفكرة ، وأكد ضرورة البحث عن •• حل •

وقد تأكد لى ذلك ، مما حدث فى المؤتمر ذاته — وعلى رأسه أمران أشير اليهما :

— أولهما — هو موقف بعض المشاركين فى المؤتمر ، الذين رأوا أنى (أبالغ) فى قصة هذه (الجرثومة) التى (عششت) فى أعماقنا ، وأننا — على العكس — بخير ••

ثم اذا بهم ، بعد تتابع جلسات المؤتمر ، كانوا يأتوننى قائلين : لقد كنت على حق ، فيما ذهبت اليه •

— وثانيهما — هو ما حدث بينى وبين سماحة مفتى لبنان ، الشيخ حسن خالد ، يوم الجمعة ٢٠/٣/١٩٨١ •

ذلك أن برنامج المؤتمر فى هذا اليوم ، كان يبدأ بصلاة الجمعة ، وينتهى بحفل غداء ، أعد للمشاركين فى المؤتمر ، فى دار الافتاء •

وبدأنا يوم الجمعة ، بالذهاب الى مسجد على بن أبي طالب ، بحى صبرا ، وأراد مرافقونا أن يميزونا بشيء ، فنزلنا من فندق كارلتون مبكرين ساعة ، لنمر على الأماكن التى بدأ فيها اطلاق النار في بيروت ، وبدأت منها بالتالى ، أحداث ـ أو مأساة ـ لبنان ، فسرنا وسط خرائب، كانت يوما ، هى محور الحياة الاقتصادية فى بيروت •

وبصعوبة كنا نتنقل ، وسط الجنود السوريين ، بمتاريسهم فى كل مكان ، يوجهون السلاح الى كل صدر يقترب •

وبعد الجولة ، توجهنا الى المسجد ، حيث خطب الشيخ حسن خالد خطبة الجمعة ، التى أذيعت على الهواء مباشرة من الاذاعة اللبنانية ، وكانت الخطبة تدور حول التربية الاسلامية ، وأهميتها ، مع شكر لمن تحملوا المخاطر ، ليشاركوا فى هذا المؤتمر ، من خارج لبنان •

وبعد الصلاة ، توجهنا الى دار الافتاء ، حيث الغداء •• فوجدنا الكثيرين من المدعوين ، قد سبقونا اليها •• يتوسطهم سماحة الشيخ حسن خالد ••

وترك سماحة المفتى من كان يحادثهم ، واتجه الينا مرحبا •• فظننت سماحته يستقبلنا هذا الاستقبال الحار •• كما استقبل غيرنا •• كضيوف عليه ـ فاذا بالوضع ـ كما فهمت فيما بعد ـ كان أكثر من ذلك •

لقد تركنا سماحة المفتى ، وانشغل بغيرنا •

ثم صعدنا الى الدور العلوى بدار الافتاء ، حيث مكتبه ، ومكتب ملحق به •• وهو معنا ، يتقدمنا ، وكانت وقفتنا فى هذا المكتب الملحق •

وما أن صعدنا الى أعلى ، حتى عاد حيث أقف ، ليكون الحديث عن المؤتمر ، وما يحدث فيه •• وقد كان حريصا على حضور معظم جلساته •

وقد كان يتركني — حيث أقف — ليحيى غيرى ويبادله الحديث — ثم ليعود الى ، ويستأنف الكلام من جـديد ، عن المؤتمر .. مما جعلنى أحس بأن (شيئا ما) ، يدور فى رأسه ، يريد أن يحدثنى عنه .

ويبدو أن الرجل — وهو لبق بطبعه — قد أدرك ما يدور فى رأسى ، فقرر اختصار الطريق على ، فوضع يده فى يدى ، واصطحبنى الى داخل مكتبه ، وما أن ابتعـدنا قليلا عن كنت أقف — ويقف — معهم ، حتى بادرنى سائلا ، عما اذا كنت أعرف شيئا عن هذا الكتاب — ومد يده الى كتاب موضوع على مكتبه ، وأحضره — فأخذت الكتاب منـه ، وأجبت عليه بالنفى . فقال مغضبا غضبا ظاهرا : شىء عجيب حقا . شىء عجيب .

واستأذنته فى أخذ الكتاب ، لتصفحه .. فسمح لى بأخذه تماما ، وكتب عليه اهداء الى ، بجانب اهداء المؤلف ، الذى أهداه به اليه ،

لصاحب السماحة الشيخ
حسن خالد
مع أسمى آيات الاحترام والتقدير
المؤلف
١٥ / ١٢ / ١٩٨١

وقلت له : لابد أن المؤلف معروف عندكم ــ فقال : لا ، أبدا ــ لم أسمع عنه أبدا ، ولا أعرف هويته • ولكنــه انسان عجيب (قالهــا بغضب شــديد) •

* * *

أما الكتاب ، فهو بعنوان (محنة العقل فى الاسلام) •

وأما مؤلفه ، فاسمه (مصطفى جحا) •

والكتاب مطبوع للمرة الأولى سنة ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ــ بلا ناشر•

ويبدو أن الكتاب ، كان خارجا من المطبعة ، للتداول فى السوق ، وأن المؤلف قد أهداه الى سماحة المفتى ، بمجرد استلام بعض النسـخ منه ، فى ١٥/٣/١٩٨١ •

والكتاب يقع فى ٤٣٨ صفحة ، من القطع المتوسط ، الا أن موضوعه (محنة العقل فى الاسلام) ، يستغرق ٣٤٩ صفحة ، وبقية الصفحات ، خصصها لبعض الملاحق المتناثرة •• ومنها (ما قاله النقاد فى « الخمينى يغتال زرادشت » الذى يحتل الصفحات ٣٩١ ــ ٤٣٦ •

و (الخمينى يغتال زرادشت) ، مسرحية يبدو أن المؤلف كان قــد ألفها ، وكتب عنها مادحا : هنرى زغيب ــ ألبير ضومط ــ نسيب عزر اميل أبى نادر •

وقــد كتب المؤلف تحت اهــدائه الكتاب لسماحة المفتى رقــم تليفونه •• ربما طامعا فى أن يقرأ المفتى الكتاب ، ويكتب عنه تقريظا ، ينشره فى صفحات حجزها له فى الطبعة الأولى ، أو لينشره فى الطبعــة الثانية ، كمــا فعل فى المسرحية ، ولكن رد الفعل كان عكسيا ، فقــد أغضب ما فى الكتاب سماحة المفتى كثيرا •• ويبدو أنه قرأ الكتــاب جيدا ، فى خمسة الأيام ، التى وقعت بين تسلمه الكتاب (١٥/٣/١٩٨١)، وتسليمه الكتاب لى (٢٠/٣/١٩٨١) •

وقلبت الكتاب على عجل فى المساء فى الفندق ، لأقف على سر ضيق سماحة المفتى به ، فكدت أصاب بالغثيان أيضا ، ومن ثم قررت اغلاقه ، حتى أعود الى القاهرة ، لأن زحمة العمل فى المؤتمر ، كان تتطلب انسانا نشيطا ، غير مصاب بالغثيان .

وفى القاهرة ، قرأت الكتاب ، وقررت أن أعتبر نفسى لم أقرأه ، لأنى قرأت بالفعل ما هو أسوأ منه فى موضوعه ، واستشهدت بما قرأته ، فى كتب كثيرة كتبتها — الا أنه كان لمؤلفين ، مثل القائمقام ترتن (فرنسى كاثوليكى) (٢٨) ، والايغومانس ابراهيم لوقا (قسيس أرثوذكسى) (٢٩) — لا لواحد (اسمه مصطفى)(٣٠) .

ويكاد الكتاب ، أن يكون نسخة مكررة ، من الكتابين المذكورين ، فهو (يلوى) الحقيقة الاسلامية ، ليحقق بها حاجة فى نفسه .. على نحو ما سنرى ، كما يفعل المؤلفان السابقان ، حتى أنهما يفسران القرآن عند حديثه عن مريم والمسيح ، تفسيرا يثبتان به ألوهية المسيح (هكذا) — ومن أجل ذلك ، كان (اشمئزاز) الشيخ حسن خالد منه ، كما سبق .

وقد فكرت فى أمر (التعامل) مع الكتاب ، وقررت ألا أشير اليه أية اشارة ، فى أى كتاب أكتبه ، لأن ما فيه أتفه من أن يرد عليه ، بالاضافة الى أن هدف المؤلف الأساسى ، هو أن يجد من يكتب عنه شيئا ، لعله يصيب شيئا من الشهرة . ومن هنا كان تحرشه فى الكتاب كثيرا ،

---

(٢٨) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب أفندى سعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر — ١٩٢٥ .

(٢٩) الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ .

(٣٠) كما علمت فى لبنان ، فان مصطفى ومحمد ومحمود ، يمكن أن تكون أسماء لمسيحيين ، كما أن جورج وصليب وحنا ، يمكن أن تكون أسماء لمسلمين ... وان كان المؤلف — كما سنرى — يدعى انه مسلم .

بأمثال الدكتور عمر فروخ ، والشيخ محمد مهدى شمس الدين ، وغيرهما ، لعل واحدا منهم ... يرد عليه . وقد قررت اهماله ، حتى لا أحقق له ما يريد .

ولكننى عندما أردت نشر هذه الدراسات الثلاث ، التى قدمتها لمؤتمر بيروت للتربية الاسلامية ، وكتبت لها هذا الفصل ــ كتقديم لها ــ وجدت المجال مناسبا للاشارة الى مثل هذا التفكير الغريب ، لأبين (حجم) هذه الجرثومة ، التى عششت فى أعماقنا .

وفكرت فى الاشارة الى ما فى الكتاب ، دون ذكر عنوانه ، أو اسم مؤلفه ، كما فعلت فى الكتاب الأول ، الذى استهللت الكتابة بالتعليق على محتوياته[٣١] ... ولكنى ــ بعد تفكير ــ وجدت الموقف مختلفا ، فالمؤلف السابق حسن النية ، وقد اجتهد ، وله أجر المجتهدين ، أما صاحبنا هذا ، فواضح أنه لا مجتهد ، ولا حسن النية .

يقول (جحا)[٣٢] ، أنه مسلم (ص ١٠) ، ولكنه كافر العقل (ص ١١) ، تبرأ من الاسلام (ص ٩٩) .

ومن ثم فقد حدد لنا ــ منذ البداية ــ هويته ، بأنه كافر ، أو أشد من الكفار أنفسهم كفرا .

والاسلام عنده هرطقة وكفر (ص ١٨٥) ، كان نبيه مصابا بالصرع (ص ١٤٧) وبالشيزوفرينيا (ص ٤٣) ، أو بنوع من الاغتراب على أحسن الفروض (ص ٤٦) .

ورسول الاسلام عنده نصاب ، ادعى تلقين العقيدة له ، مع أنه أمى (ص ٨٣) ، فقد نصب على عمر ، حتى جعله يسلم (ص ٩٧) .

وهو انسان ملىء بالنقائص ، التى يجب أن تدرس ، كبديل عن الايمان الأعمى به (ص ٥٢) ، وبمسلماته المفروضة على المسلمين

---

(٣١) ارجع الى هامش ص ١٧ من الكتاب .

(٣٢) معظم الألفاظ الواردة فيما بعد ، هى نص كلام المؤلف ، والصفحات الوارد بها كلامه .

(ص ٧١ ، ٧٢) ، لأنهـا كلها تفاهات وجهالات ، تفرض علينا فى الدين والعقيدة والشريعة (ص ٥٥ ، ٥٦) •

وهو يستنكر استنكارا مرا ، زواجه فى الخامسة والعشرين ، من خديجة فى الأربعين ، لأن هذا الزواج كان صفقة تجارية (ص ٥١) ، ثم يستنكر زواجه بعائشة بعد ذلك ، فى سن السـابعة (ص ٦٤) لأن كارثة المسلمين بدأت — عنده — من زواج جائر (ص ٦٤) — ويعتبر هذا الزواج (اغتصابا) لعائشة ، يتخلص به من عقدة زواجه الأول — عقدة البكارة (ص ٦٦) ، ولكن المشكلة — عنده — لم تحل، بل زادت تعقيدا ، فقد تنقل من امرأة الى امرأة (ذكرهن واحدة واحدة صفحات ٦٦ — ٦٩) ، وزادت فحولته الصحراوية ، بعد أن وهبته عائشة المرودة والعملقـة (ص ٧٠) • انه الشبق الجنسى (ص ٧٠ ، ٧١) ، الذى أسس به الرسول — على حد زعمه — مجتمع الارتواء الجنسى (صفحات ١٣٠ — ١٣٧) •

ولا ينسى أن يشير — هنا — الى حديث الافك ، الذى يرى أنه قد جاء ، عندما ضعف جنسيا (١٣٣ ، ١٣٤) •

كما لا ينسى، أن يتهم المسلمين ، والمدافعين عن الاسلام ، كمصطفى محمود ، وبنت الشاطىء ، بالساقطين فى مستنقع العقيدة (ص ١٢١) • ويتهم المسلـمين جميعا بالنصب وتزوير التـاريخ (ص ٩٩ ، ١٠٠) ، ويهاجم حتى ميشيل عفلق لرأيه الطيب المعروف فى الاسلام ، بينما يمتدح على عبد الرازق وطه حسين وساطع الحصرى ، لخروجهم على الاسلام (ص ٣١٢ — ٣١٤) •

كما يرى أن الاسلام فى أساسه ، دين يقوم على الوثنية والمسيحية معا (ص ٢١٥) ، وأنه قد تم تلفيقه من كل الأديان ، التى وجدها رسوله عند ظهوره (ص ٧٦ — ٨٠) ، وان كان تأثره بالمسيحية كان هو الأوضح (ص ١٢٤ — ١٣٠ و ص ١٨٦) — لأن الرسول فى الحقيقة قد تتلمذ على يد القس ورقة بن نوفل ، والراهب بحيرا (ص ٤٧) ، وتأثر بهمـا

(ص ١٠٤ ــ ١٠٦) ، وعن طريقهما تأثر ببولس بالذات (٣٣) (ص١٨٢)٠

ويرى جحا ، أن الرسول لم يدع الى دينه ، من أجل الله ، بل من أجل أن تكون مكة مكانا ذا منزلة فى النفوس ، ومن هنا أيدته قريش (ص ٨٠ ــ ٨٤) ، ومن ثم كان عنصريا متطرفا (ص ٢٣٢) ، وكان هو الذى وضع أساس النزعة العرقية العربيــة ، التى ظهــرت بعــده (ص ٣٠٥ ــ ٣٠٧)٠وهو بذلك يفسر قرار البدوى ، القابع فى مكة ، الخروج من عزلته ، لتكوين امبراطورية (ص ٨٢ ــ ٨٥) ٠

كما يرى أن الرسول فى حكمه كان محبا للسيطرة (ص ١٥١) ، مستبدا ، يبيد خصومه (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٧) ، تحيط به جماعة من المــافيا (ص ٢٧٠) ، ومن هنا حاربوا بعــده مسيلمة (ص ١٠٧ ، ١٠٨) ــ وأن هــذا الرسول المحب للســيطرة ، كان دكتاتورا مطلقا ، يدعى أنه يأخذ أوامره من الله (ص ١٣٧ ــ ١٤٠) ، ويعتمــد على الأسطورة فى تثبيت نفوذه (ص ١٥٢ ، ١٥٣) ، ومن أجل ذلك اخترع قصة الاسراء والمعراج ، لتثبيت هــذه الأسطورة (ص ٤١ و ص ١٤٣) ٠
ولكن الجميع ــ فى نظره ــ قد تخلوا عنه ، كما تخلى عنه جبريل ذاته ، ساعة الموت (ص ٢٧٠) ٠

وقد اختار أبا بكر للحكم من بعده ، بحكم صــلة المصاهرة به ، وحبه لعائشة (ص ٢٧١) ٠

ولا ينسى جحا ــ بعــد أن اعتبر الوحى ــ والقرآن ــ أسطورة مزيفة ــ أن يشير الى الحديث الشريف ، فيرى أنه كذب شرعى وسموم

---

(٣٣) هو الذى يسمى فى المسيحية ببولس الرســول ، الذى يعتبره المؤرخون ، المؤسس الحقيقى للمسيحية ، كبديل عن المسيح .

ومتاهات ومخـدرات (ص ٢٧٥ ، ٢٧٦) ويتساءل : لماذا نستمد منها فقهنا ؟ (ص ٢٨٥ ، ٢٨٦) •

***

واذا كان (جحا) قد قرر لنا منذ البداية بصراحة ــ أو قل بوقاحة ــ أنه كافر ، فانه لم يقرر : الى أى فئات الكفر ينتمى ؟

الا أن خطه الفكرى العام ، على طول الكتاب ، كان يحدد هويته من هذه الناحية •

انه من ضحايا (الغزو الفكرى) للعالم الاسلامى ، وأكثر هؤلاء الضحايا عددا ، موجودون فى لبنان •• ومن هنـا كانت مأساته ــ أى مأساة لبنان ــ ولذلك فانه متعاطف تعاطفا تاما ، مع المسيحية والمسيحيين ، على الخط الذى رسمه بولس ، كما سبق ، وبولس ــ كما نعرف ــ يهودى النزعة • وهو يتحدث برقة وأدب وحب شديد ، عن القس ورقة بن نوفل ، والراهب بحيرا •• ثم هو ــ أخيرا ــ متعاطف ــ فى الأزمة التى يعيشها لبنان اليوم ــ مع المسيحيين فيه ، مع أن الجميع يعرفون أن مأساة لبنان بدأت منهم •• خاصة الموارنة • وهو يخصص الفصل السادس من الكتاب كله (ص ٢٩١ وما بعدها) ، ليظهر كل الود للمسيحيين ، وحقهم فى لبنان ، ويصب جام غضبه على المسلمين والخلافة الاسلامية والامامة (ص ٣٠٠ وما بعـدها) ، وعلى الفلسطينيين • ثم يزيد على ذلك ، فيجعل أحد ملاحقه ، لعقد مقارنة بين آيات من القرآن الكريم ، وأخرى من التوراة والانجيل ، ليثبت فيها ، أن القرآن مأخوذ منهما ، وأنه لم ينزل على محمد من السماء ، كما يدعى ! !

أى أن خطه الفكرى يدل ، على أنه يحارب مع مناحم بيجن وسعد حداد ، معركتهما الشرسة ، فى سبيل القضاء على اسلام لبنان •

***

لقـــد كنت مترددا فى تلخيص الكتـــاب ، ثم توكلت على الله ولخصـــته ــ كارها ، لنعرف حجم المأساة التى تعيشها أمتنا • فوجود أمثال مصطفى جحا فى لبنان ، هو الذى أدى الى ما صار اليه لبنـــان اليوم •• وليس تمسك لبنان بالاسلام/الخرافة ، هو الذى أدى اليه ــ على حـــد ما يدعى • ومن ثم كان غضب سماحة المفتى ، الشـــيخ حسن خالد ، عندما قرأ الكتاب ، وكانت اصابتى بالغثيان ، عنـــدما تصفحته هناك • لقد وجدت نفسى وجها لوجه ، أمام (الصديد) الذى يمتلىء به (جرح) هـــذه الأمة ، منـــذ ابتعادها عن منهج الله ، ووجدت نفسى ــ بالتالى ــ أمام مسئولية علماء هذه الأمة ، عن هذا الجرح وصديده •• والعبء الملقى عليهم لمواجهـــة الغد ، قبـــل أن يتحول العالمـــان العربى والاسلامى •• الى لبنان كبير •

ان العودة الى منهج الله ، هى الضمان الوحيد ، لحصر الجرح ، فلا ينتقل الى بقية العالم الاسلامى ، ثم لعلاجه فى لبنـــان ذاته ، فيعود لبنان ــ كما كان دوما ــ منارة فكرية ، و (يوتوبيا) حقيقية •

وقد كان ذلك سببا من أسباب عقد المؤتمر فى بيروت ــ كما فهمت من المسئولين عنـــه •

* * *

والكتاب مثير • والأكثر اثارة فيه ، أن يكتبه مسلم ، كفر عقله كما يدعى ــ وأن يهديه هذا المســـلم ، الى مفتى المســـلمين فى بلاده ، ينتظر منه تقريظا له ، أو حوارا فيه على أسوأ الفروض بالنسبة له •

ولكن الكتاب ــ على اثارته ــ ينبهنا الى حقيقة الخطر المحدق بنا •

ان هـــذا الخطر ، لا يأتينـــا عبر البحار ، من الولايات المتحـــدة أو الاتحـــاد السوفيتى ، أو أية دولة من دول الغرب ، كما أنه لا يأتينا عبر الحدود •• من اسرائيل ، كما يبدو لقصار النظر ، ولكنه يأتينا من أعماقنا نحن ــ من تلك الجرثومة التى تسمى (الفكرة الغربية) ، التى

زرعها الغرب فى ضمائرنا ، بعد فشله فى الحروب الصليبية ، أو التى زرعناها نحن فى هذه الضمائر ، بحكم تخلفنا ، فالمغلوب دائما يقلد الغالب ، على حد تعبير العلامة العربى ، عبد الرحمن بن خلدون .

وهو — على اثارته — ينبه علماء هذه الأمة ، الى آن الوضع لم يعد يحتمل التأجيل أو التسويف ، ولم يعد يحتمل الاكتفاء بالقاء الخطب ، التى صارت الى السخرية والرثاء آدعى ، منها الى الاحترام والتوقير .

لقد صار كل منا — أردنا ذلك أم لم نرده ، أحببناه آم كرهناه — مصطفى جحا .

وصحيح أننا لا نفترى افتراءه ، ولا نجاهر مجاهرته ، ولا نجهل جهالته ، ولكننا (بترديدنا) فكر الغرب ، (وانكار) (الفكرة الاسلامية) تحت أى شعار ، نفعل فعله ، ولو بأسلوب مغاير لأسلوبه .

ومن ثم كانت كلماتى تلك ، الى ثلاث جماعات من العلماء ، أراهم المسئولين بالدرجة الأولى عما كان ، وعما سيكون ، بوصفهم المسئولين عن قيادة هذه الأمة ، و (تشكيل) الانسان فيها .

لقد كانوا هم المسئولين ، عن ظاهرة (مصطفى جحا) ، التى نراها صارخة جارحة ، فيما استعرضناه من كتابه ، أو نراها مستترة ، فى كل منا ، على نحو أو آخر .

لقد كانت (الفكرة الغربية) ، هى التى خلقت (محنة العقل فى الاسلام) ، وتاريخ الاسلام الطويل ، يدل على (نعمة العقل فى الاسلام) ، وعلى أن (المحنة) الحقيقية ، موجودة فى عقل مصطفى جحا ، ومن سار سيره .. وربما كان العنوان الأدق للكتاب ، هو (محنة العقل عند مصطفى جحا) — ومن سار سيره ، بطبيعة الحال ،

على يد (مصطفى جحا) كظاهرة ، أو كمأساة ، كانت مأساة فلسطين ، ومأساة لبنان ، وكل مأساة من مآسى هـــذه المنطقة ، التى أعطاها الله الموقع ، ومصـــادر الثروة ، والدين •• فبددت ذلك كله ، حـــين فرط علماؤها فى الأمانة ، أو قصروا فى أدائها — على أحسن الفروض •

ولقد بدأت مأساتنا بفلسطين ، ثم أخذت تتسع ، فوصلت الى لبنان والى غيره ، نتيجة لهذا التفريط أو التقصـــير ، ولكن الوقت لا يزال فيه متسع ، وان كان هذا المتسع ، لن يستمر الى الأبد •

وقبل أن يتحول عالمنا العربى كله الى (فلسطين) ، أو (أندلس)، كان لابد من وقفة •• لمجرد التفكر والتـــأمل ، فيما كان ، وفيما هـــو كائن ، وفيما يخطط لأن يكون فى بلادنا ••• وأن نكون نحن •

* * *

على أنه يجب هنا أن نوضح ، الى أن حذرنا من (الفكرة الغربية)، لا يعنى نبذنا (للحضارة الغربية) ، فالفكرة الغربية شىء ، والحضارة الغربية •• شىء آخر •

* * *

وأعود الى السؤال ذى الشقين ، الذى استهللت به هذا الكلام :

— أمن الاسلاميات ، الى التربية الاسلامية ؟

— أم من التربية الاسلامية ، الى الاسلاميات ؟

والاجابة على السؤال ليست سهلة ، لأن المجال صعب ، غير محدد المعالم بعد ، لايستطيع السير فيه واحد بمفرده ، وانما هو يحتاج الى (رفقة الطريق) •

اننى كلما (تعمقت) فى المجال ، زاد وقوفى على شعبه الكثيرة ، وكلما سرت على (الطريق) ، زاد احساسى بوعورته ومخاطره •

ولذلك فانني أعجب أشد العجب ، كلما قابلت واحدا من المتخصصين في التربية •• يسهل الطريق لي أو لنفسه ، وأعزو هذا التسهيل منه، الى انعدام خبرته به •

وكنت — فيأول الأمر — أظهرعجبيهذا ، لمن يأتونني متحمسين•• فلما وجدت أن البعض يعتبر ذلك تثبيطا له ، غيرت أسلوبي في الرد ، من اظهار العجب ، الى تمني الخير •

وكم من متخصص متحمس للمجال•• انطفأ حماسه ، عندما اقتحمه ، وأحمد الله أنني أعتبر نفسي لم أقتحمه بعد •• ومع ذلك فحماسي له يتزايد •

وأعتقد أن (رفقة) على الدرب الطويل ، مما يسهل السير فيه ، وتبين شعابه ، واجتياز مخاطره ، والتغلب على وعورته •

وليس مما يشغل البال ، أن يكون ذوو الأيدي المتشابكة على الطريق الوعر المتشعب •• مختلفين فيما بينهم ، على أول الطريق الطويل •• لأن وعورة الطريق ومخاطره •• مما يجمع العقول والقلوب، على الهدف الواحد •

ومن أجل ذلك ، كان اصراري في كلمتي في المؤتمر ، على ضرورة أن يكون هذا المؤتمر ، هو أول الطريق ، لا نهايته ، وأن يتبعه مؤتمر ومؤتمر •• على نفس الطريق الوعر •

ومن أجله ، كان تأكيدي على هذا الاصرار ، كلما سنحت لي الفرصة ، اذا كنت أبدي رأيا ،في ورقة معروضة ، وما أكثر ما سنحت لي مثل هذه الفرصة •

وأعتقد أن المؤتمر قد استجاب — مشكورا — لوجهة نظري ، اقتناعا بها على الأغلب ، بعد أن بينت جلساته الطويلة ، وما دار فيها

من مناقشات •• الحاجة الفعلية ، الى مؤتمر ومؤتمر •• يجتمع فيه المهتمون بقضية التربية الاسلامية ، ويتناقشون •• ليقترب بعضهم من بعض ، ويتفقوا — فى النهاية — على كلمة سواء •

ومن أجل ذلك — أخيرا — كان تفكيرى ، فى نشر ما تقدمت به الى المؤتمر من دراسات •

وليس الهدف من نشرها ، أن أعلم غيرى شيئا لا يعلمه •• لأنى أعتبر نفسى على هذا الطريق •• من المتعلمين •

وليس الهدف من ذلك ، أن أقول جديدا ، توصلت اليه فى المجال •• فالجديد فيه ، لا زلنا جميعا تنتظره •• على الطريق المشترك الطويل •

وانما الهدف منه •• هو مجرد الدعوة الى الحوار — مع علماء الدين الاسلامى ، بوصفهم (متخصصين) فى الاسلام — ومع علماء النفس المسلمين ، بوصفهم هم الذين يقدمون للمتخصصين فى التربية ، (صورة الانسان) ، وعلى أساس هذه الصورة ، يخطط التربويون ، ما يرون تخطيطه من نظريات ، ومن سبل يسلكونها ، لتحقيق هذه النظريات — والحوار — أخيرا — مع علماء التربية المسلمين ، الذين تلقى الأمة الاسلامية كلها على عاتقهم ، تبعة المستقبل كله ، من خلال (تشكيلهم) للانسان المسلم ، الذى بيديه يصاغ هذا المستقبل ، ويحدد شكله •

والدعوة الى الحوار هنا •• ليست دعوة الى الحوار معى ، أو مع غيرى ، وانما هى دعوة الى الحوار مع النفس — وهو حوار واجب ، فى المرحلة الراهنة ، من مراحل تطور العالم الاسلامى •

ذلك أننا فى العالم الاسلامى ، صرنا نعيش (عالة) على الغرب ، فيما يقدمه لنا من أفكار ، وصار همنا كله ، أن (نلهث) جريا وراء

هـذه الأفكار . وعلى طريق الجرى وراء الغرب وما يراه .. صـار المتخصصون فى عالمنا الاسلامى ، أشبه (بالأمنـاء) على ما ينقلونه ، غير القادرين على اتخاذ موقف منه .. الا أن يكون موقف الرضا عنه ، والتسليم بما فيه .

والغريب أن الغربيين أنفسهم ، فى مختلف مجالات العلم والمعرفة ، خاصـة فى مجـال العلوم الانسـانية ، بدءوا يقفون — فى أحيـان كثيرة — موقف (المتـأمل) فيما وصـلوا اليه ، المتفحص فيـه ، والناقد له ، رغم أنهم يعيشون وسط ركامه — أما نحن على البعـد ، فلم نصل الى هذه المرحلة بعد ، مع أننا نعيش بعيدا عن هذا...الركام ، ومن ثم فان المفروض ، أننا نعيش متحررين منه .

فالدعوة الى الحوار هنا ، دعوة الى (وقفة مع النفس) ، حـول ما تعلمته ، وما آمنت به زمنا .. لعل هـذا الذى آمنت به ، أن يكون غير جدير بهذا الايمان .

وبالنسـبة لعلماء الدين الاسـلامى ، الذين اتجهت اليهم الدعوة الأولى .. هناك التراث ، وبعضـه ثابت لا يتغير بطبعه ، بتغير ظروف الزمان والمكان .. وهو — هنا — القرآن الكريم ، والحديث الشريف — وبعضه — وهو تفسيرات هذه الثوابت — جمـد عند مرحلة تاريخية معينة ، لظروف كثيرة ، ليس هنا مجال ذكرها .. وما كان يجب عليـه أن يجمد .

وبجانب هذا التراث ، بثوابته ومتغيراته .. هناك الآراء الحديثة ، المتعلقة بالاسـلام ، وبحياة المسـلمين ، خاصـة ما وفد الينا عنه من الغرب ، عدو الاسلام اللدود .. وهذه الآراء تفعل فعلها فينا — أردنا هذا أم لم نرده — قبلناه أم رفضناه .

والمسـلم العادى ، الذى نسـعى لتشكيله من خلال التربية —

وعلمـاء التربية المسلمون ، الذين يسعون للاصلاح •• حائرون فيما يفعلونه ، ينتظرون رأيكم ، فماذا أنتم قائلون ؟

ولن تستطيعوا أن تقولوا لهم ما تريدون ، الا أن تحطموا جدار الصمت ، الذى فرضتموه على أنفسكم •• وتقولوا ، ما يجب أن يقال•• بعد هذا الحوار المطلوب مع النفس ، ومع المتخصصين معكم فى نفس المجال •

وبالنسبة لعلماء النفس المسلمين ، الذين اتجهت اليهم الدعوة الثانية •• هناك علم نفس اسلامى ، ان صحت تسميته بهذا الاسم ، يعكس وجهة نظر الاسلام فى القضية الأزلية (قضية الانسان)••وهناك علم نفس آخر ، مضاد للاسلام ، صار الغربيون أنفسهم فى شك من أمره •• فكيف يكون حالنا نحن ، وهو مضاد لما نؤمن به ، بل هادم لهذا الايمان ؟

واذا كان الحوار بالنسبة لعلماء الدين المسلمين واجبا،فانه بالنسبة لعلماء النفس المسلمين أوجب — ولكن : ما السبيل الى تصحيح المسار ؟

انها قضيتكم أنتم ، بوصفه تخصصكم •• ان أردتم أن تكونوا — بحق — مسلمين ، وان أردتم أن تحلوا قضية الانسان،للانسانية كلها ، بعد أن صار سلاح علماء النفس الغربيين باعترافهم هم أنفسهم — سلاحا مفلولا •

وبالنسبة لعلماء التربية المسلمين ، الذين اتجهت اليهم الدعوة الثالثة — وأنا واحد منهم — هناك وجهات نظر متعددة ، تتصل بالتربية ، وباجراءاتها التطبيقية •• ولا يضير المتخصصين فى التربية ، أن يعرفوها كلها أو بعضها •• بل على العكس ، يشرفهم أن يكونوا على هذه المعرفة •• ولكن الذى لا يشرفهم فعلا ، هو أن يعرفوا كل شىء •• الا ما يتصل بمجالهم الحيوى ، الذى يعملون فيه ، أو يجب أن يعملوا

فيه •• وهو مجال الاسلام ، الذى تعمل فيه التربية فى عالمنا الاسلامى، أو يجب أن تعمل •

واذا كان الحوار بالنسبة لعلماء الدين المسلمين واجبا ، وبالنسبة لعلماء النفس المسلمين ، واجبا ، فانه بالنسبة لعلماء التربية المسلمين ، أوجب وأوجب •• لأن تشكيل ضمير الأمة ، بعد أن خرب هذا الضمير•• متوقف عليهم ، وعلى ما يفكرون فيه ، ويتحاورون بشأنه •• ويقررونه •

والله أسأل ، أن يوفق الجميع ، الى ما فيه خير دينهم ودنياهم •

* * *

ولا أخفى ، أن هذه الدعوات الثلاث ، قد أضفت اليها ، وحذفت منها •• لتناسب عرضها فى كتاب ، على هذا النحو ، الا أن ما أضفته كان قليلا ، وما حذفته كان أقل •

فالدعوة الأولى ــ كما سبق ــ كانت قد كتبت لباكستان (٣٤) ، ثم اضطررت الى أن أعدل فيها تعديلا محدودا ، لتناسب مؤتمر لبنان •• ثم اضطررت ــ أخيرا ــ الى أن أعدل فيها أيضا ، لتكون صالحة للنشر فى كتاب كهذا ، يسعى لتحقيق هدف معين ، يقف وراء تأليف الكتاب كله •

وهو هدف قريب ولا شك ، من هدف مؤتمر بيروت للتربية الاسلامية ، الا أن المقام هنا يختلف ، ولكل مقام مقال ــ كما يقولون•

والدعوة الثانية ، كانت قد كتبت لمؤتمر بيروت •• الا أنها ــ كالدعوة الثالثة ــ كانت قد كتبت على عجل ــ وفى ظروف صعبة •• وقد رأيت ــ عند التفكير فى نشرها ــ أنه يمكن اضافة جزء اليها ، قرب

---

(٣٤) ارجع الى ص ٣٧ ، ٣٨ من الكتاب .

نهـايتها ، يتحدث عن (أزمة علم النفس المعاصر) ـ ليجعل الجهـد المطلوب من علماء النفس المسلمين ، ليس واجبا دينيا فحسب ، بل واجبا أكاديميا أيضا •

والدعوة الثالثة ، كانت قد كتبت هى الأخرى لمؤتمر بيروت •• ومع ذلك رأيت استبدال جملة بجملة ، أو فقرة صغيرة ، بفقرة صغيرة ، أو اضافة جزء محدود •• لتكون صورتها أدق وأوضح ، وأكثر تعبيرا عما أريد •• بوصف هـذه الدعوة ، هى (المحور) الذى يدور حوله الكتاب كله •• فعلى طريق محتواها •• كانت الدعوتان السابقتان عليها •

* * *

وقـد رأيت ـ تماما للفائدة ـ أن أنشر (البيان الختامى لمؤتمر التربية الاسلامية) فى بيروت ، قبل توجيه هذه الدعوات إلى أصحابها •• حتى يكون هـذا البيـان ، فى حـد ذاته ، منـارة على الطريق ، بوصـف المؤتمر كان يشـمل النوعيات الثـلاثة ، التى تتجه اليهـا الدعوات •• وزيادة ، ومن ثم ، فبيـان المؤتمـر ، يصـلح لأن يكون (محـورا) ، يدور حوله تفـكير من يفـكر ، ممن سيستجيبون من المتخصصين ، لمـا وجهته له من دعوة •

كما رأيت أن يسبق هذا البيان ، بيان بأعمال المؤتمر ، والمشاركين فيه ، كما ظهـر فى برنامج المؤتمر ، الذى وزع على النـاس ، والذى سار المؤتمر عليـه •

والله سبحانه ، هو الموفق لكل خير ، والمعين عليه •

الفصل الثاني

أعمال مؤتمر بيروت للتربية الإسلامية

الدعوة الموجهة للمشاركين فى المؤتمر

اللجنة العليا لاحتفالات
القرن الخامس عشر
الهجري
ص ب ١١/٥٢٧١

بسم الله الرحمن الرحيم



رقم

حضرة الفاضل الدكتور عبد الغني عبود المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

فانه يسرنا ان نعلمكم ان اللجنة العليا لاحتفالات القرن الخامس عشر للهجرة بلبنان ، قررت ان تقيم بين ١٥ — ٢١ مارس آذار ١٩٨١ " مؤتمرا علميا للتربية الاسلامية " بمشاركة علماء وباحثين مختصين من لبنان والخارج .

ان اللجنة ترى ان مؤتمرا كهذا مفيد في مجال دعم الوحدة الحضارية للمسلمين في لبنان . كما انه مفيد في مجال تنمية علاقة المسلمين بأبناء الديانات الاخرى في وطنهم والعالم .

السيد الاستاذ

ان اللجنة العليا التي تعرف وتقدر ما لكم من اسهامات في هذا المجال والمجالات العلمية الاخرى ، يسرها دعوتكم للمشاركة في اعمال المؤتمر سواء باعداد بحث في احد المواضيع المقترحة . او الحضور للمشاركة في المناقشات التي ستجرى حول اوراق العمل والدراسات التي ستقرأ في المؤتمر . وتتمنى الحصول على موافقتكم المبدئية على المشاركة وعلى زمن انعقاد المؤتمر كما نرجو في حال رغبتكم باعداد بحث ان تحددوا الموضوع الذي ترغبون الخوض فيه من بين المواضيع التالية :

١ — التربية والتربية الاسلامية
٢ — الاتجاهات الراهنة في التربية الاسلامية .
٣ — الفكر التربوي الاسلامي قديمه وحديثه .
٤ — مقارنة بين التربية الحديثة والتربية الاسلامية .



بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة العليا لاحتفالات
القرن الخامس عشر
الهجري
بيروت. ص.ب ٧/٥٢٧٩

رقم

وهي اذ تأمل ان تلقى دعوتها تجاوبا وايجابية من جانبكم
تود اللفت الى ما يلي

- ان نفقات الانتقال ذهابا وايابا والاقامة في لبنان تتحملها اللجنة .
- ان اللجنة المشرفة على تنظيم المؤتمر قد قررت منح مكافأة مادية لكل من
يقدم بحثا علميا مستندا الى المصادر الموثوقة :

هذا ونأمل اخيرا ان نتلقى من جانبكم ردا سريعا على العنوان
التالي

لجنة تنظيم مؤتمر التربية الاسلامية

المقاصد ص.ب ٥٨٢٢ بيروت - لبنان
تلكس: ٢١٢٤٥ هاتف: ٢١٢٣٧٠
٢١١٦٥٥

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

الامين العام
الدكتور حسين القوتلي

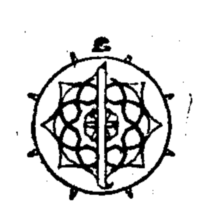


رئيس اللجنة العليا لاحتفالات
القرن الخامس عشر الهجري
الشيخ صبحي الصالح

اللجنة العليا لاحتفالات القرن الخامس عشر الهجري
بالتعاون مع
جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت



برنامج
مؤتمر التربية الإسلامية



تنعقد في قاعات بيت المهندس
بئر حسن - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة العليا لاحتفالات القرن الخامس عشر الهجري

تتشرف بدعوتكم لحضور محاضرات

مؤتمر التربية الإسلامية

التي ستلقى خلال انعقاده من:

١٠ - ١٦ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ
١٥ - ٢١ آذار ١٩٨١ م

وذلك في بيت المقدس - برنس

اليوم الأول، الأحد ١٠ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ
١٥ آذار ١٩٨١ م

الساعة العاشرة من قبل الظهر

حفل افتتاح المؤتمر في قاعة الأونيسكو

المنهاج

- عشر من القرآن الكريم
- كلمة اللجنة العليا لاحتفالات القرن الخامس عشر الهجري
  سماحة الشيخ الدكتور صبحي الصالح
- كلمة مفتي الجمهورية التونسية
  سماحة الشيخ الدكتور الحبيب بلخوجة
- كلمة نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
  سماحة الشيخ العلامة محمد مهدي شمس الدين
  وموضوعها: فلسفة التربية الإسلامية
- كلمة الرئيس صائب سلام
  رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية
  رئيس اتحاد المؤسسات التربوية الإسلامية

عريف الحفلة: الدكتور زهير حطب

اليوم الثاني الاثنين ١١ جمادى الأولى ١٤٠١هـ
١٦ آذار ١٩٨١م

محور المحاضرات، التربية الإسلامية والمركزية الغربية

__من الساعة ٩ - ١١ ق.ظ.__

● المدرسة التربوية الإسلامية المفتقدة

المحاضر *. د. عبد الغني عبود
رئيس الجلسة. د. عبد الله عبد الدايم
المناقشة . د. أمان شعراني

استراحة

__من الساعة ١١,١٥ - ١٣ ظهراً.__

● التغريب الثقافي والتربية الإسلامية في الجزائر

المحاضر . د. علي الشابي
رئيس الجلسة. د. عمر فروخ
المناقش . د. تركي رابح

استراحة

__من الساعة ١٦ - ١٧,٣٠ ب.ظ.__

● الشخصية الإسلامية تواجه المركزية الغربية

المحاضر . د. محمد سعيد رمضان البوطي
رئيس الجلسة. الأستاذ مصطفى بيضون
المناقش . د. منيف حمدان

استراحة

__من الساعة ١٧,٤٠ - ١٩ مساءً.__

● الإسلام والمركزية الغربية

المحاضر . د. وجيه كوثراني
رئيس الجلسة. الشيخ طه الصابونجي
المناقش . د. يحيى الكعكي

اليوم الثالث . الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ١٤٠١هـ
١٧ آذار ١٩٨١م

محور المحاضرات، الفكر التربوي الإسلامي

__من الساعة ٩ - ١١ ق.ظ.__

● كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة والمنهج التربوي الإسلامي

المحاضر . د. رضوان السيد
رئيس الجلسة. سماحة الشيخ
محمد مهدي شمس الدين
المناقشة . د. وداد القاضي

استراحة

__من الساعة ١١,١٥ - ١٣ ظهراً.__

● فلسفة التربية الإسلامية في تكوين المواطن الصالح

المحاضر . د. تركي رابح
رئيس الجلسة. د. عزمي رجب
المناقش . د. رضوان السيد

استراحة

__من الساعة ١٦ - ١٧,٣٠ ب.ظ.__

● المدرسة في المغرب حتى أواخر القرن التاسع الهجري
في ضوء كتاب المعيار للونشريسي

المحاضرة . د. وداد القاضي
رئيس الجلسة. د. عبد الهادي التازي
المناقش د. إحسان عباس

__من الساعة ١٧,٤٥ - ١٩ مساءً.__

● التربية الاجتماعية عند الشيخ الفاضل أبي هلال

المحاضر . د. عباس أبو صالح
رئيس الجلسة. معالي الأستاذ خالد جنبلاط
المناقش . الأستاذ عمر مسقاوي

اليوم الرابع الأربعاء ١٢ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ
١٨ آذار ١٩٨١م

محور المحاضرات : التربية الإسلامية أمام التحديات

من الساعة ٩ - ١١ ق.ظ.

● التيارات التربوية الحديثة في ضوء التعاليم التربوية الإسلامية

المحاضر . د. علي عثمان
رئيسة الجلسة . د. راجية قندورة
المناقش . الأستاذ كامل شاهين
استراحة

من الساعة ١١,١٥ - ١٣ ظهراً.

● المسلمون والتطور التقني الحديث

المحاضر . د. ياسر علايلي
رئيس الجلسة . د. جوزيف طعمه
المناقش . د. كمال شهوان

من الساعة ١٦,٣٠ - ١٨,٣٠ ظهراً.

● الغزو التربوي الغربي

المحاضر . د. أحمد صيداوي
رئيس الجلسة . دولة الرئيس
الدكتور سليم الحص
المناقش . د. منير بشور

اليوم الخامس . الخميس ١٣ جمادى الأولى ١٤٠١هـ
١٩ آذار ١٩٨١م

محور المحاضرات . التربية والتعليم في ظل الإسلام

من الساعة ٩ - ١١ ق.ظ.

● التعليم والدولة الأموية

المحاضر . د. عدنان الأمين
رئيس الجلسة . د. إحسان عباس
المناقش . د. طريف الخالدي
استراحة

من الساعة ١١,١٥ - ١٣ ظهراً.

● في طبيعة العلاقة بين العالم والمتعلم في الفكر التربوي الإسلامي

المحاضرة . د. هيام الملوحي
رئيس الجلسة . د. صبحي الصالح
المناقش . د. عمر التومي الشيباني
استراحة

من الساعة ١٦ - ١٧,٣٠ ب.ظ.

● تربية الطفل في الإسلام

المحاضر . د. حسن عبد العال
رئيس الجلسة . معالي الوزير
الدكتور عبد الرحمن اللبان
المناقش . د. مصطفى حجازي

من الساعة ١٧,٤٥ - ١٩ مساءً.

● التربية عند المسلمين بين الأصالة والتجديد

المحاضر . د. محمود حلاوي
رئيس الجلسة . الشيخ محمود فرحات
المناقش . د. عبد الهادي خلف

اليوم السادس ، السبت ١٦ جمادى الأولى ١٤٠١هـ
٢١ آذار ١٩٨١م

محور المحاضرات : لبنان والتربية الإسلامية

من الساعة ٨,٣٠ - ٩,٣٠ ق .ظ .

● **اتجاهات الحداثة والمعاصرة في التعليم الإسلامي في لبنان**

المحاضر : د . خليل أحمد خليل
رئيس الجلسة : د . زهير حطب
المناقش : د . عفيف دمشقية
استراحة

من الساعة ٩,٣٠ - ١٠,٣٠ ق .ظ .

● **التعليم الإسلامي في المدارس الرسمية في لبنان**

المحاضر : د . حسين القوتلي
رئيس الجلسة : د . معن زيادة
المناقش : د . محمد علي موسى

استراحة

من الساعة ١٠,٤٥ - ١٢ ظهراً .

● **التربية الإسلامية في لبنان بين الواقع والمرتجى**

المحاضر : د . هشام نشابة
رئيس الجلسة : معالي الدكتور جميل كبي
المناقش : الشيخ طه الصابونجي

من الساعة ١٢ - ١٣ ظهراً .

توصيات
المؤتمرون

من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً من طرق الجنة . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

"حديث شريف"

من آداب العالم معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام وكظم الغيظ ، وكف الأذى عن الناس واحتماله منهم ، والإيثار ، والإنصاف ، وإيجاد الراحة ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب إلى الجيران والأقرباء ، والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم .

"ابن جماعة"

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر التربية الإسلامية

بين ١٠-١٦ جمادى الأولى ١٤٠١هـ
١٥-٢١ آذار ١٩٨١م

البيــــان الختــــامى
لمؤتمــر التربيــة الاسلامية

دعت اللجنة العليـا لاحتفالات القرن الخامس عشر الهجرى ، الى عقد مؤتمر عام للتربية الاسلامية ، ضمن سلسلة النشاطات التى تنظمها ، لتأكيد الحضور الاسلامى ، دينيا وثقافيا وحضاريا ، فى العالم ، بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجرى •

وقد بادرت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت،الى تنظيم هذه الدعوة ، فعقد (مؤتمر التربية الاســلامية) ، ما بين ١٠ — ١٦ من جمادى الأولى ١٤٠١ هـ ، الموافق ١٥ — ٢١ آذار (مارس) ١٩٨١م ، ولبى الدعوة لحضــوره شخصيات علمية ودينية وتربوية اسلامية ، من الأقطار العربية الآتية :

لبنــان — ســوريا — الكويت — مصر — ليبيــا — المغرب — الجزائر — فلسطين •

كما حضره ممثلون عن المؤسسات التربوية فى لبنان •

وخلال المؤتمر ، نوقشت عشرون دراســة هامة ، تناولت مختلف جوانب التربية الاسلامية ، وتحلقت حول الموضوعات الرئيسية التالية :

١ — معالم الفلسفة التربوية الاسلامية •
٢ — الفكر التربوى فى الاسلام •
٣ — التحديات التى تواجهها التربية الاسلامية •
٤ — لبنان والتربية الاسلامية •
٥ — الطريق الى صياغة نموذج تربوى اسلامى أصيل •

ولقد أجمع المشاركون فى المؤتمر ، على ضرورة قيام نظام تربوى اسلامى ، يستمد أسسه ، من روح التربية الاسلامية ، كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله ، وباقى الأصول الاسلامية الصحيحة ، مستجيبا لحاجات التربية فى البلدان العربية والاسلامية ، ومنفتحا على ما يتوافر فى الفكر التربوى الانسانى ، من اتجاهات ونتائج ، لا تتعارض مع تلك الأصول .

كما أدرك المؤتمرون ، أن أخطر ما تتعرض له الأمة العربية والاسلامية فى الوقت الحاضر من تحديات ، يكمن فى الغزو الثقافى ، الذى يهدف الى استلاب شخصيتها ، والى قتل قدرتها الذاتية على الابداع والعطاء ، والى ضمان تبعيتها للأجنبى ، وتوظيف طاقاتها المادية والبشرية ، فى خدمة مراكز قواه ، وأهدافه البعيدة عن بناء مجتمع انسانى نام ، ومتعاون ، ومجعول لخدمة الانسان ، وقيمه الروحية المثلى .

ومن هنا فان المؤتمر ، بعد سبعة أيام من البحوث والمناقشات المستفيضة ، رأى ضرورة القيام بجهد موصول ومستمر ، من أجل جلاء معالم النظام التربوى الاسلامى المنشود ، وتوضيح منطلقاته ومناهجه وطرائقه وأساليبه ، ووضعها موضع العمل والتطبيق ، بحيث يتكون من هذا كله درع حصين ، يحمى الأجيال الاسلامية ، من مخاطر التغريب ، ويحفظ هويتها الذاتية ، وثقافتها الاسلامية ، ويجعل من التربية نظاما قادرا على بناء المجتمع الاسلامى ، بأيدى أبنائه وطاقاتهم ، ويشحذ قواهم ، ويفتق امكاناتهم الخلاقة ، بفضل ما يمتلكون من ايمان ، يحفز هممهم ، وعلم يوفر لهم القدرة ، وتقنية تزودهم بأساليب البناء والتطوير .

وأكد المؤتمر أن النظام التربوى الاسلامى المطلوب ، ينبغى أن يتماشى مع التربية الاسلامية الصحيحة الأصيلة ، التى تهدف الى اعداد

الجيل المسلم ، لدينه ودنياه ، والى توفير الشروط اللازمة لبنائه الخلقى والروحى من جهـة ، ولاعداده العلمى والتقنى من جهـة أخرى ، والى تكامل الأصـالة والحداثة فى تكوينه ، والى تحقيق التفاعل بين تجربته والتجربة العالمية ، على أسس سليمة •

وأجمع المشاركون فى المؤتمر على أن تعزيز التربية الاسـلامية فى لبنان ، من شـأنه أن يحقق الوحدة بين المسلمين وسواهم ، على نحو أكمل ، لمـا تتضـمنه التربية الاسـلامية من روح التعاون مع سـائر الأديان ، ولكون الثقافة العربية الاسلامية ، ارثا مشتركا بين المسلمين وسواهم ، ممن أسهموا فى بناء هـذه الثقافة ، وتأثروا بها وتمثلوها ، ولأن بناء نظام تربوى ذاتى وأصيل ، مطلب يهم سائر المواطنين فى لبنان• فالتربية المنطلقـة من مبادىء الاسـلام ، الذى يؤمن بالتعـايش بين المواطنين ، وبالتكافل فيما بينهم ، لبناء حياتهم المشتركة ، تضيف جهدا أساسيا ، الى الجهود الوطنية الشاملة ، التى تعمل على تحقيق الوحدة والتآخى ، بين المواطنين فى لبنان •

وقد استبانت من خلال المحاضرات التى ألقيت فى المؤتمر ، ومن خلال المناقشات التى تمت فيه ، طائفة من الأفكار الهامة ، هى بمثـابة المنطلقات الكبرى ، التى ينبغى أن ينطلق منها العمـل ، لوضع النظام التربوى الاسلامى ، نوجزها فى النقاط الآتية :

١ ــ أشار المحاضرون والمشاركون ، فى أكثر من موضع ومناسبة ، الى مخاطر التغريب الثقافى ، الذى تتعرض له الأجيال الاسلامية ، وهو تغريب ناجم عن التبعية للأجنبى ، فى الشرق والغرب ، فكرا وسلوكا ، وعن الانجذاب الى ثقـافته ، انطلاقا من فكرة شاعت ــ بتأثير الثقافة الأجنبية نفسها ــ قوامها أن هنالك نموذجا ثقافيا واحدا ووحيدا ، هو النموذج الغربى ، وأن كل ابتعاد عنه ، عجز وتخلف •

وأشاروا فيما أشـاروا ، الى أن هذا التغريب الثقافى ، ما يزال

يحول بيننا وبين آن نختار طريقنا الثقافى الاسلامى المتميز ، اختيارا واعيا ، وأن الخلاص منه وكسر التبعية للغرب ، هما اللذان يمكناننا من أن نحقق التكامل بين ثقافتنا وثقافة سوانا ، من دون عقد أو خوف أو رفض عاطفى . ذلك آن التضامن الحقيقى ، والحوار الخصب بين الثقافات ، هو الذى يتم فى اطار عملها جميعها ، من أجل رفض النموذج الذى يريد أن يستلبها كلها ، وينفيها جميعها .

وقد عرفت البلاد العربية الأهداف الحقيقية لهذا التغريب ، ولمستها لمس اليد ، عن طريق تجربة الجزائر مع الاستعمار الفرنسى . فلقد استهدفت استراتيجية التغريب التى ساقها المستعمر — كما نعرفها وكما فصل الحديث عنها ، البحث الخاص الذى قدم للمؤتمر — العزل القسرى للتراث العربى الاسلامى ، ومحو الهوية الثقافية الراسخة فى الجزائر ، والقضاء على اللغة العربية ، لغة القرآن ، وذلك عن طريق السعى الى استئصال المناعة الاسلامية ، والجذور الاسلامية ، التى تقف وحدها عقبة كأداء ، فى طريق بلوغ الأهداف الاستعمارية .

٢ — وقد نبه المشاركون الى الدور الخاص ، الذى تلعبه وسائل التواصل الجماهيرى ، مثل الصحافة والمذياع والتليفزيون ، ووسائل الاعلام الأخرى ، فى تدمير الهوية الثقافية العربية والاسلامية ، فضلا عن دورها الخطير فى القضاء على التنمية الاقتصادية والاجتماعية الذاتية المستقلة للشعوب .

٣ — وبين المشتركون ، أن مما يزيد فى خطورة التغريب ، والتبعية للنموذج الحضارى الأجنبى فى الغرب والشرق ، آن هذا النموذج قد وصل الى طريق مسدودة ، وفشل فى بناء مجتمع جدير بالانسان . وأشاروا الى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والنفسية ، التى يعانى منها هذا النموذج الحضارى ، التى أطنب فى

الحديث عنها الغربيون أنفسهم ، والى فشله فى علاج مشكلات العالم المتقدم نفسه ، والى توسيعه للهوة القائمة بين البلدان المتقدمة ، والبلدان النامية ، والى ما أدى اليه من تعاظم اللامساواة بين الشعوب ، واستغلال ثرواتها المادية والبشرية • وذكروا بالخلل الأساسى القائم فى صلب هذا النموذج ، حين لم يستطع أن يحقق التوازن بين التطور العلمى والتكنولوجى من جانب ، والتطور الانسانى الروحى من جانب آخر ، بحيث جعل الانسانية أكثر تقدما فى الظاهر ، دون أن يجعلها أكثر سعادة ، وبحيث نأى بها عن رسالتها الحقيقية ، رسالة تسخير الكون لخدمة الانسان ، ولتحقيق المزيد من انسانيته وقيمه •

٤ ــ وأمام مخاطر التغريب ، وأمام الضياع الذى يعانى منه النموذج الحضارى العالمى ، رأى المشاركون فى المؤتمر ، أن الملجأ الحقيقى الذى يحمى الحضارة العالمية جملة ، والحضارات القومية الخاصة ، هو فى سعى الثقافات المختلفة ، الى العود الى ذواتها ، وينابيعها الأصيلة ، لتبحث فيها عن طريق الخلاص ، وليتكون من تفاعل هذه الثقافات فيما بينها بعد ذلك ، طريق جديد للانسانية جمعاء • والثقافة الاسلامية التى جعلها الدين الاسلامى شاهدة على الناس ورحمة للعالمين، مدعوة خاصة الى أن تعود الى أصولها وينابيعها ، حفاظا على ذاتها ، وسعيا لهداية الانسانية ، بل ان ارتباطها بهويتها هو سبيلها الى النجاح فى معارك التحرير التى تخوضها ، ولا سيما مع العدو الصهيونى ، ومع القوى الطامعة فى خيراتها •

٥ ــ على أن المشتركين فى المؤتمر ، نبهوا الى أن هذا العود الى الذات ، لا ينفى الانفتاح على الآخرين ، بل هو شرط له • فعلى الثقافة الاسلامية أن تكون أولا ما هى ، أى أن تدرك ذاتها ، وتعى قوامها وبنيانها ، اذا هى أرادت حقا أن تفيد من حصاد التجارب العالمية والفكر الانسانى • ان عليها أن تقف على أرض حرة ، وأن تختار نموذجها الحضارى ، طائعة مختارة ، اذا هى عزمت على أن تجعل من حوارها

مع الآخرين ، اغتنـاء وثراء ، لا امحاء وخنوعا ، واذا هى آلت على نفسها أن يكون لها فى صنع مستقبلها ومستقبل الانسانية ، دور وشأن .

لقد تفاعلت الثقافة العربية فى ماضيات أيامها مع سائر الثقافات ، دون وجل أو استـحياء ، في حين انطلقت من منطلقاتها أولا ، وبذلك استطاعت أن تقدم للانسانية عطاءها العلمى والانسانى ، وأن تكون من مصادر الحضارة الحديثة . لقد أطلقت فى أيام ازدهارها حضارة ، يقوم التوازن ضمنها ، بين التقدم العلمى المـادى والتقدم الانسانى الروحى ، وعليها اليوم أن تعيد الحضارة التى أطلقت شرارتها الى هذا التوازن ، بعد أن أصابه الخلل ، وبعد أن غدا خلله مبعثا لضياع الانسانية جمعاء .

٦ ــ ومن هنا وصل المشـاركون فى المؤتمر الى أن هـذه المهمة الانسانية الكبرى ، الملقاة على عاتق الثقافة الاسلامية ، من أجل اعادة بنائها الذاتى ، ومن أجل الاسهام فى اعادة بنـاء الحضارة الانسانية ، لن يتأتى الا عن طريق تربية صحيحة سليمة ، تحمل أعباء هذه الرسالة .

وقد رأوا أن من الطبيعى ــ انطلاقا من كل ما تقدم ــ أن تنطلق هذه التربية ، أولا من أسس الثقافة الاسلامية ومبادئها ، وأن تتخذ من هذه الأسس المتكأ الأمين ، لتفاعلها مع التجارب التربوية العـالمية ، من أجل توليد نظام تربوى اسلامى ، أصيل وحديث معا .

ولا شك أن توضيح هذه الأسس ، التى ينبغى أن تبنى عليها التربية الاسلامية ، جهد يتطلب العديد من المؤتمرات والحلقات والدراسات ، غير أن المؤتمر استطاع مع ذلك ، أن يحـدد بعض معالم الصـورة ، وبعض سمات التربية الاسلامية ، التى تصلح منطلقا لوضع أسس النظام التربوى الاسلامى المنشود :

(ا) فمن منطلقات التربية الاسلامية الأساسية ، أنها تربية شاملة ، تتناول مختلف جوانب الشخصية الانسـانية ، وتهدف الى

تحقيق التوازن ، بين التكوين النفسى والروحى والخلقى والعلمى والمهنى .

(ب) ومن منطلقاتها ، أنها تربية تمنح مكانة خاصة للتربية الأخلاقية.

(ج) ومنها أنها تربية تقوم على أساس بناء الفرد من داخل ذاته ، وتحمله مسؤولية تكوين نفسه ، وتجعل من واجبات كل مسلم ، أن يعنى بتحقيق انسانيته وحياته ، مكتملة غنية .

(د) ومنها أن التوجيه الدينى والخلقى فيها ، ينبغى أن يشمل منظومة التربية بكاملها ، مناهج ومواد وطرائق ، وسوى ذلك .

(هـ) ومنها أنها تعنى بالفرد فى مراحل حياته جميعها ، بل قبل أن يولد ، فترسم نهج تربيته ، جنينا وطفلا وشابا وكهلا وشيخا ، وتقول بالتربية المستمرة المتجددة من المهد الى اللحد ، ولا ترى حدا للتعليم ، الا المزيد من التعلم .

(و) ومن منطلقاتها أنها تجل العلم والعلماء ، وتؤمن بالصلة الحية بين العالم والمتعلم ، وتكبر من شأن القدوة والمثال .

(ز) ومن منطلقاتها أنها تؤمن بالفروق الفردية ، وتقيم لها وزنا ، فى مناهج التربية وطرائقها ، وتؤكد أهمية الكشف عن القابليات الفردية ، وتوجه كل انسان الى ما هو له أهيأ ، بحكم فطرته واستعداده .

(ح) ومنها أنها تجعل الاعداد المهنى والتقنى ، للأفراد المهيئين له ، بحكم قابلياتهم ، واجبا من واجبات الكفاية ، لكى يكون فى كل بلد من يسد حاجة أبنائه ، من الصناعات المختلفة .

(ط) ومن منطلقاتها أنها لا ترى أن تتم عملية التعليم فى اطار جامد ثابت لا يحول ، هو اطار الصف المدرسى ، بل ترى أنها يمكن أن تتم فى أماكن متعددة ، أهمها وأبرزها ، المسجد ، وأن تأخذ صورا متنوعة ، وأن يقوم بها الكبار والصغار ، وأن يلجأ فيها الى التعلم الذاتي ، أى تعليم المرء نفسه بنفسه ، وغير تلك من الصور والأساليب ، التى تحقق المرونة والتكيف ، مع أوضاع كل فرد .

(ى) ومنها أنها تحترم العمل ، بأشكاله المختلفة ، وتوصى باتقان الانسان لما يصنع ، وتأمر بالاخلاص والصدق والأمانة فيه .

(ك) ومنها أنها توصى بالانفتاح على الأقوام الأخرى ، وتعلم لغاتهم ، افادة من فكرهم ، وتحقيقا للتعارف بين الشعوب ، والتفاعل مع تجاربها .

(ل) ومنها أنها تؤمن بحرية الرأى والعقيدة ، وحرية المعلم والمتعلم ، وتدعو الى الاقتناع ، والى جدال الآخرين بالتى هى أحسن ، كما تهيب بالمسلم أن يستخدم عقله ، ويتبصر فى آيات الكون ، وأن يدرك أن العقل والنقل صنوان ، لابد أن يلتقيا ، وأن الحكمة والشريعة متصلتان .

(م) ومنها أنها توصى بتربية المرأة ، وتجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وتيسر لها من خلال هذه التربية ، دورا أساسيا فى بناء الأسرة والمجتمع .

(ن) ومنها أنها تؤمن بأن العناية باللغة العربية ، لغة القرآن ، شرط لازم لتعليم الثقافة الاسلامية ونشرها ، وادراكها فى أصولها ، وللقاء الفكرى العميق ، مادامت وحدة الفكر من وحدة اللغة ، ومادام التفكير والتعبير متآخذين .

٧ — وقد أشار المشاركون الى أزمة النظم التربوية السائدة فى الغرب ، مما يؤكد ضرورة العمل على توليد نظام تربوى ذاتى أصيل ، يستمد أصوله من الثقافة الاسلامية ، ويغتذى بما تدعو اليه أحدث الاتجاهات التربوية فى العالم ، من اصلاحات جذرية ، فى بنية التعليم واطاره ومحتواه وأهدافه ، ويلتقى مع الجهود المتعاظمة والتجارب المتكاثرة التى تقوم بها البلدان النامية ، خاصة فى سبيل البحث عن نموذج تربوى جديد .

وانطلاقا من هذا كله ، يوصى المؤتمر بما يأتى :

١ — اتخاذ الخطوات اللازمة لوضع النظام التربوى الاسلامى المتكامل والمنشود ، وذلك على النحو الآتى :

(أ) تكوين أمانة دائمة لمؤتمر التربية الاسلامية ، مقرها بيروت .

(ب) تتشكل هذه الأمانة من شخصيات عربية معروفة باهتماماتها التربوية الاسلامية .

(ج) تضع هذه الأمانة قانونها الأساسى ، وتعين أمينها العام ، وجهازها الادارى والفنى .

(د) تشرف الأمانة العامة على وضع النظام التربوى الاسلامى المشار اليه ، وتعمد لهذه الغاية الى كل الوسائل اللازمة ، بما فى ذلك تكوين لجان تربوية متخصصة ، للقيام بالبحوث التربوية المطلوبة ، وجمع الوثائق والبيانات ، والاتصال بالمفكرين العرب والمسلمين ، والهيئات العربية والاسلامية والدولية ، لتبادل الخبرات والتجارب ، وتحقيق التفاعل الخصب معها .

٢ — التمنى على الدول والمنظمات العربية والاسلامية ، أن تقدم المساعدات المالية ، اللازمة لانفاذ هذه الخطوات ، وتحقيق الأهداف التى يرجوها المؤتمر .

٣ ـ توجيه اتنباه المنظمات العربية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية لدول الخليج ، واتحاد الجامعات العربية ، واتحاد الجامعات الاسلامية ، ومجامع اللغة العربية ، بالاضافة الى وزارات التربية والجامعات ، والمعاهد المعنية فى البلاد العربية والاسلامية ، الى مزيد من العناية بنشر التراث التربوى الاسلامى ، والتعريف به وتدريسه ، والى تشجيع البحوث المتصلة به ، تعريفا علميا صحيحا •

٤ ـ عقد ندوة خاصة بتدريس التربية الاسلامية ، فى مختلف مراحل التعليم ، تتولى وضع أسس مناهجها وطرائقها ، والمبادىء اللازمة لتأليف الكتب المدرسية فى هذا المجال ، وتعنى برسم أساليب اعداد معلمى هذه المادة ، اعدادا يمكنهم من تربية الأجيال الاسلامية ، تربية قويمة رشيدة •

٥ ـ العمل الجاد ، على تطوير وسائل الاعلام ، وتوجيهها توجيها يؤدى الى تكاملها مع نظام التربية الاسلامية ، وتحريرها من عبوديتها للفكر الغربى ، وأهدافه الغريبة عن الحاجات الحقيقية للمجتمع • ولهذه الغاية ، يوصى المؤتمر بانشاء جهاز اعلامى ، تتضافر فيه جهود الدول العربية والاسلامية •

٦ ـ تعاون المؤسسات الدينية فى الدول العربية والاسلامية ، من أجل رعاية الكفاءات الشابة ، وتعهدها تعهدا سليما ، وتيسير وسائل الدراسة والاطلاع والبحث لها ، بحيث تتكون منها قيادات واعية جديدة ، قادرة على تحمل مسؤولية بناء التربية الاسلامية المرجوة ، ونشرها وتطبيقها ، ويوصى المؤتمر خاصة بتوفير الشروط اللازمة للحفاظ على الكفاءات ، والحيلولة دون هجرتها الى الخارج •

٧ ـ تعاون المسلمين فى لبنان ـ على تنوع طوائفهم ـ من أجل اصدار مرجع أساسي فى التربية الدينية ، يدرس فى المؤسسات الاسلامية جميعهـــا .

٨ ـ وفى لبنـــان أيضا يطالب المؤتمـــر ، بأن تدخل الحـــكومة اللبنانية ، مادة التربية الدينية ، فى مناهج التعليم فى المدارس الرسمية .

وأخيرا حرص المشاركون فى المؤتمر ، على توجيه الشـــكر الى الذين قاموا بالدعوة الى هذا المؤتمر الهام ، وتولوا الاعداد له ، وتنظيم أعماله ، والى الذين شاركوا فى أبحاثه ومناقشاته ، الأمر الذى وفر له أفضل مناخ ، للقيام بأعماله ، وانجاز المهمة التى أوكلت اليه .

ويخص المشاركون بالشـــكر ، اللجنـــة العليا لاحتفـــالات القرن الخامس عشر الهجرى ، التى قررت الدعوة الى هذا المؤتمر ، وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ، التى تولت تنظيمه وتمويله ، وأدت مهمتهـــا على خير وجه ، وعبأت من أجل انجـــاحه ، كامل امكاناتها ، مســـتهدية بتوجيه دولة رئيسها صائب ســـلام ، الذى يسخر قدراته وطاقاته ، فى سبيل تدعيم التربية الاسلامية فى لبنان .

وفى مقدمة ما شد من عزيمة المؤتمر ، وسدد خطاه وأعماله ، رعاية سماحة مفتى الجمهورية ، الشيخ حسن خالد له ، وحضـــوره جلساته ، وامداده بالنصح والارشاد .

وقـــد أكد تعاون المسلمين جميعا فى سبيل انجاح هـــذا المؤتمر ، مشاركة سماحة نائب رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الأعلى ، الشيخ محمد مهدى شمس الدين ، ومساهمة سماحة شيخ عقل الطائفة الدرزية ، الشيخ محمـــد أبو شقرا ، فى أعماله ، بالاضافة الى مشاركات أصحاب الدولة والمعالى والفضيلة وسائر العاملين فى مجال الفكر الاســـلامى ، والتربية الاسلامية ، فى لبنان وخارجه ، فى نشاطاته .

وقد توج هذه المشاركة المباركة، الدعم الذى قدمه دولة رئيس مجلس الوزراء فى الجمهورية اللبنانية ، الأستاذ شفيق الوزان ، الذى لم يبخل بالكثير من وقته الثمين ، من أجل مشاطرة المؤتمر نشــاطاته ، وتوجيه أعمـــاله .

فاليهم جميعا يوجه المؤتمر شـــكره ، ويرى فى دعمهم وتأييدهم ما يفتح الآمال عريضة ، أمام مستقبل هــذه الخطوة المباركة ، ويؤكد العزم الأكيد ، على متابعتها .

الفصل الثالث

التربية الإسلامية
والقرن الخامس عشر الهجرى

(دعوة موجهة الى علمـــاء الدين المسلمين)

صار موضوع التربية الاسلامية ، من الموضوعات التى (تفرض) نفسها على المشتغلين بالتربية ، والمتخصصين فيها ، كما تفرض نفسها على غيرهم من المسلمين ، من غير المشتغلين بها ، والمتخصصين فيها ••• على السواء •

ومنذ سنوات قليلة مضت ، كان المشتغلون بالتربية ، والمتخصصون فيها ، يرون (استحالة) وجود نظام اسلامى للتربية ، لأن وجود مثل هذا النظام ، فى زعمهم ، كان يعنى عودة المسلمين الى الوراء عدة قرون •• ليعيشوا فى عصر غير عصرنا الذى نعيش فيه ، فى وقت تفرض فيه مصلحة المسلمين والاسلام ، القفز الى الأمام سنوات ، لتعويض التخلف الذى فرض على المسلمين فرضا ، أو الذى أدى بهم اليه ، بعدهم عن (منهج الله)، اذا نحن أردنا الدقة فى التعبير •

وكان من يدعو الى هذه التربية الاسلامية ، من بين المشتغلين بالتربية ، والمتخصصين فيها ، (يتهم) اتهامات شتى ، قد يكون الاتهام بالرجعية والتخلف وغيرهما ، مما ألفت آذاننا سماعه ، أخف هذه الاتهامات على الاطلاق•وأقول أخفها ، لأن مثل هذه الدعوة ، والاصرار عليها ، وتبريرها ، كان يمكن أن يؤدى بهؤلاء المصرين ، الى مصير مظلم — كما أدى بالفعل بالكثيرين •

ومن ثم كانت الدعوة الى التربية الاسلامية ، عملا انتحاريا •• أقبل عليها البعض ، لأسباب مختلفة كثيرة •

وما هى الا سنوات قليلة من اصرار المصرين ، وتحملهم ما تحملوه، حتى صارت هذه الدعوة ، دعوة المسلمين جميعا ، لا دعوة المشتغلين بالتربية والمتخصصين فيها وحدهم ، وهو فضل من الله به علينا وعلى الناس ، لا نملك الا أن نشكر الله سبحانه عليه •

ويكفى أن نستعرض أسماء من يكتبون فى مجال التربية الاسلامية اليوم ويتحمسون له ، لنرى أن أكثرهم كانوا بالأمس ، من المنكرين له ، لأسباب رأوها يومها ، قبل أن يصيروا — بحمد الله — من المتحمسين لها اليـــوم .

واذا كنـــا نحتفل باستقبال القرن الخـــامس عشر الهجرى اليوم ، فان احتفالكم بالمنـــاسبة الكريمة ، يجب أن يتميز عن احتفال القـــاعدة الاسلامية العريضة بها ، وقد تعودت هذه القاعدة الاسلامية العريضة ، أن تحتفل بمثله ، باللهو والعبث ، حتى صارت حياتنا كلها عبثـــا ، وصار أمرنا كله نكرا .

ذلك أن قدركم أنكم الى فئة العلماء تنتسبون ، وللعلماء فى الفكر الدينى الاسلامى منزلة تقترب من منزلة الأنبياء ، حتى أن بعض المفسرين يرون ، أنهم هم المقصودون بقوله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (النساء — ٤ : ٥٩) ، وأنه ليس الحكام وحدهم ، هم المقصودين به ، لأسباب سنراها فيما بعد .

ومن ثم كان ما يجوز من القاعدة الاسلامية العريضة ، لا يجوز من علماء المسلمين ، الذين يحتلون من هـــــذه الأمة ، ما يحتله العقل من الجسم ، وانما الذى يجوز منهم فى هذه المناسبة الكريمة ، هو أن يرتفعوا الى مستواها ويرفعوا الناس معهم الى هذا المستوى ، على النحو الذى وضحته السيرة النبوية المطهرة ، فرفع المسلمين الى مستوى الاســـلام ، هو مسئولية العلماء ، ومن أجل ذلك كان تكريمهم عند الله ، لا من أجل غيره — وفى الوقت ذاته ، فان المسلمين لا يمكن أن يرتقوا الى مستوى أن يكونوا « شهداء على الناس » (البقرة — ٢ : ١٤٣) ، الا اذا هم ارتقوا الى مستوى الاسلام ذاته ، يقودهم العلماء فى ذلك بطبيعة الحال ، ويأخذون بأيديهم اليه .

أما عندما يهبط المسلمون ، ويأخذون الاسلام معهم فى هذا الهبوط، فانها تكون الطامة الكبرى .

وحال المسلمون اليوم ، هى خير شاهد ، على هذه الطامة الكبرى .

فاذا جاز للناس فى العالم الاسلامى ، أن يحتفلوا باستقبال القرن الخامس عشر للهجرة ، بمألوف ما عودونا عليه ، من استقبال لمثله،وجروكم معهم الى هذا المألوف ، مسايرة منكم لهم ، أو تقصيرا منكم فى أداء حق عليكم لهم ، تثابون على أدائه خير ثواب ، بقدر ما تحاسبون على التقصير فى أدائه شر حساب ... اذا جاز للناس ذلك ، فانه لا يجوز لكم ، وانما الذى يجوز ، ولا يجوز غيره ، هو أن ترتقوا الى مستوى المناسبة ، وتقدموا لأمتكم ، ما تنتظر منكم أن تقدموه لها ، بحكم وضعكم الممتاز والمتميز ، فى ضمير هذه الأمة ، كأثر من آثار الاسلام المتمكن فى القلوب ، برغم ما يبدو لعيون بعض المتشائمين منا ، مهما كان دافعهم الى هذا التشاؤم .

ولترتقوا الى مستوى المناسبة ، فانه لابد من تقديم (كشف حساب)، لقرن مضى ، (تخططون) على أساسه ، لاقتحام قرن جديد .

أليس هذا ما يفعله غيركم ، من رجال الدين فى غير الاسلام .. كل سنة ، لا كل قرن من الزمان ؟

وعند محاولة تقديم مثل هذا الكشف ، ستجدون مقدمات واضحة، قد أدت الى الوضع المتردى الذى يعيش المسلمون فيه اليوم ، من كافة الجوانب ، وهذه المقدمات الواضحة ، تتلخص فى بعد المسلمين عن الاسلام ، كأسلوب حياة ، فى الاقتصاد والاجتماع ونظم الحكم ، وفى الحياة الخاصة والعامة ، برغم التمسك بالاسلام ، من جانب الكثيرين ، كمجموعة من الشعائر والطقوس .

والاسـلام لا يمكن أن يعاش مجموعة من الشعائر والطقوس ، ويكون اسلاما ، برغم أهمية هذه الشعائر والطقوس فيه ، لأن هـذه الشعائر والطقوس ــ كما تعلمون ــ لا تقصد فيه لذاتها ، وانما باعتبارها (مداخل) الى الاسلام الذى يعاش ، فلا قيمة للصلاة ، التى تتحقق فيها (صلة) المسلم بربه ، مالم ترتق به هذه (الصلة) فى حياته العـادية ، مع الناس والأشياء ، أو على حد تعبير القرآن الكريم : « ان الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (العنكبوت ــ ٢٩ : ٤٥) ــ ولا قيـمة للصيام ، مالم يؤد الى التقوى ، أو على حد التعبير القرآنى أيضـا : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون » (البقرة ــ ٢ : ١٨٣) ، وتقـوى الله هى الأخـرى ــ كالانتهـاء عن الفحشاء والمنكر ــ أسلوب حيـاة يعاش ، مع النـاس والأشـيـاء .

ولم يكن غريبا أن تلخص السيدة عائشة أخلاق الرسول صلى الله عليه وسـلم ، فيما يرويه عنها البخارى وغيره من أصحاب الصـحاح ، بقولها : « كان خلقه القرآن » ــ والقرآن ــ كما نعلم ــ أسلوب حيـاة يعاش ، يمكن تلخيصه فى (تقوى الله ، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر) ، نتيجة لتقوى الله .

والى انعدام تقوى الله ، برغم تمسك البعض بالشعائر والطقوس ، صارت بلاد المسلمين اليوم ، تسود فيها الأنانية والرشـوة والمحسوبية والظلم السياسى والفساد الاجتماعى والتخلف العلمى والثقـافى ، حتى وجدها أعداء الاسلام فرصة ، يربطون فيها بين هـذه المفاسد والشرور كلها ، مما يكتوى المسلمون أنفسهم به .. وبين الاسلام ذاته ، فيرون أن الاسـلام ، هو سبب ما يعيشـه المسلمون .. من فسـاد وتخلف وجـمـود .

واذا كنا نظلم أنفسنا بأنفسنا ، على هـذا النحو الصارخ ، فاننا لا نستغرب أن نعيش على السـاحة الدوليـة ، مستضعفين مستذلين ،

تتحكم فى مقدراتنا ، دول كبرى ، وآن يعيش العالم الاسلامى على الساحة الدولية ، كما يعيش الأيتام ، على مأدبة اللئام ، بعد أن صارت هذه الساحة الدولية اليوم ، غابة ، لا مكان فيها لحمل ضعيف ، وانما المكان كله للذئاب ، وأشباه الذئاب .

أى أننا — مقدما — ظلمنا أنفسنا ، ببعدنا عن (منهج الله) : فلم يكن غريبا أن يظلمنا غيرنا ، فى (غابة) اليوم ، التى لا يرحم فيها قوى ضعيفا ، لأنها لا ترى حقا الا لأصحاب القوة ، القادرين — بهذه القوة — على فرض حقهم — أو فرض ظلمهم بعبارة أصح — على الضعفاء والمستضعفين .

وأمارات هذا الظلم ، الذى يمارسه الأقوياء على الساحة الدولية ، ضد الاسلام والمسلمين فى عالم اليوم ، أوضح من أن أتحدث عنها لكم ، بل ان المفروض أن تتحدثوا أنتم عنها ، وتوضحوها لأبناء أمتكم ، كما توضحون لهم سبل رفعه ، بحكم وضعكم الاجتماعى المتميز ، ونعمة العلم التى من الله بها عليكم ، فى الوقت الذى حرم معظم أبناء أمتكم منها ، نتيجة لعوامل كثيرة ، ليس هنا مجال ذكرها .

ألستم قادة هذه الأمة ، التى جعلها الله « خير أمة أخرجت للناس » (آل عمران — ٣ : ١١٠) ، والمسئولين — بالتالى — عن بعدها عن منهج الله ، وعن اعادتها الى هذا المنهج ، من جديد ؟

ولكن : لماذا نبتعد عن منهج الله فى حياتنا ، أفرادا وجماعات ، مع أن كلا منا يؤمن بأنه لا منجاة لنا مما نحن فيه من ذلة وضعف ، وهوان على النفس وعلى الغير ، سوى هذا المنهج ، الذى أخرج أجدادنا من الظلمات الى النور ، ومن الضعف الى القوة ، ومن التفكك الى الوحدة ، ومن التخلف الى الحضارة ؟

لمــاذا نبتعــد عن منهج الله ، وهــذا الاحساس بأهميته لنــا ، لا يقتصر عليكم أنتم وحدكم ، ولا على المتعلمين منا وحدهم ، وانما هو يتسع ليشمل القاعدة الاسلامية العريضة ، فى كل بلاد المسلمين ؟

ولو أننا توجهنا بهذا السؤال الى كل مســلم ، وتلقينا الاجابات عليه ، لوجدنا أمرا عجيبا .

سنجد كل مسلم ، يختلف مع كل مسلم ، حول سبب هذا البعد الواضح والفاضح ، عن (منهج الله) أو أسبابه ــ مع اعتراف الكل ، بضرورة العودة اليه ــ وسنجد الجميع ــ فى النهاية ــ رغم ذلك ــ يتفقون .

سيختلف كل مسلم ، عن كل مسلم ، لأنه سينظر الى القضية من منظوره هو ، ومن ثم سنجد الحكام يتهمون المحكومين ، والمحكومين يتهمــون حكامهم ، كما ســنجد العلماء يتهمــون الأمة ، والأمة تتهم علماءها .. وهكذا .

أى أن الكل ، سيختلف مع الكل ، وسيتفق الجميع فى النهاية ، على (تبرئة) النفس ، و (اتهــام) الغير ، والقــاء التبعة على هــذا الغــير .

وفى مثل هــذه الحالة ، نجــد الكل (متهما) فى الواقع ، لأن الفصل بين (الفرد) و (المجموع) ، لا مكان له فى الاسلام ، ان وجد له مكانا فى غيره ، فقانون الاسلام الذى يقرر ، « ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (النجم ٥٣ : ٣٨ ــ ٤١) ــ هو نفس القانون الذى يقرر أيضا ، أنه « اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » (الاسراء ــ ١٧ : ١٦) .

فالكل ــ فى الاسلام ــ مسئول عن الكل، مسئوليته عن نفسه .

واذا جاز لأحد أن يبرىء نفسه .. فانه لا يجوز لواحد من هؤلاء العلماء ، الذين يقودون الأمة .

ان الواحد منا كثيرا ما يقابل محافظا على الشعائر يرتشى ، أو يهمل عمله ، أو يكذب ، أو يفعل المنكر بشكل عام ، فاذا ما سألته عن هذا التناقض الذى يقع فيه ، كان هناك ألف رد ورد ، مما يجعلك تقتنع ، بأنه ليس هناك تناقض على الاطلاق ، ومما يوحى اليك بالتالى بأن الاسلام يقر الرشوة والاهمال والكذب واتيان المنكر .

ولقد رأينا من قبل ، أن أعداء الاسلام ، لم يقفوا عند حد الادعاء برضا الاسلام عن هذه الانحرافات ، بل تعدوا ذلك ، الى درجة الربط بين الاسلام ذاته وبينها ، فاعتبروه من أسبابها ، أو هو (الدافع) اليها ! ! .

والمخالفة للاسلام ، لا تقف عند حد الرشوة والاهمال والكذب واتيان المنكر .. فهناك مخالفات كثيرة ، نقع فيها جميعا ، ليست بالضرورة بهذا الوضوح ، ولكنها — ولا شك — مخالفات ، تباعد بيننا وبين منهج الله ، وبالتالى تباعد بيننا وبين الاسلام — ومع ذلك فنحن نجد لها تبريرا فى سلوكنا ، تماما كما يجد الواقعون فى (الكبائر) لهم .. المبررات .

لقد صار كل منا يخضع الاسلام لهواه ، بدلا من أن يخضع نفسه وهواه للاسلام ، وهذه هى المأساة .

وهى مأساة يشارك كل منا فيها ، أراد ذلك أم لم يرده ، فكل منا يرى الجميع مخطئين ، ويرى نفسه وحده على صواب ، وكل منا يحاسب غيره الحساب العسير ، ويترك نفسه على هواها ، ثم يترك لها بعد ذلك العنان ، حتى لتحكم على هذا بالكفر ، وعلى ذلك بالضلال .

واذا كان هذا هو شأننا نحن الكبار — فهل نلوم بعض المراهقين والشباب ، حين (يقلدوننا) فيما نفعل ، ويرون أنهم وحدهم ، هم الذين يسلكون السبيل المستقيم ، وأن من حقهم — بركيعات يصلونها، وبعض من القرآن يحفظون ويدرسون — أن يحكموا على هذا بالكفر ، وعلى ذلك بالضلال ؟

انه مرض اجتماعى ، والأمراض الاجتماعية — كالأمراض العضوية — تنتقل بالعدوى ، من المريض الى الصحيح ، وليس هناك من سبيل لمقاومة هذا (المرض) ، سوى (بالوقاية منه) ، بالنسبة لمن لم يصبه بعد ، و (محاصرته) ، بالنسبة لمن أصيب به ٠

وليس هناك من قادر على القيام بهذا الدور المزدوج ، سواء الوقاية من المرض ، ومحاصرته ٠٠ سوى العلماء على اختلافهم ٠٠ يتقدمهم — بطبيعة الحال — علماء الدين ، بوصفهم كانوا عبر تاريخ الاسلام الطويل — قادة المسيرة ٠

على أن منطق الأشياء يقول ، بأنه اذا كان غير العالم يخطىء مرة واحدة ، عندما يبرىء نفسه من الخطأ على هذا النحو ، ويلقى بالخطأ كله على غيره ، فان العالم يخطىء عشرات المرات ، عندما يفعل نفس الشيء ، لأنه لن يستطيع أن يعتذر بالجهل ، أو سوء التقدير ، أوالغفلة ، أو غيرها ، مما يمكن أن يعتذر به غيره ، ولن يستطيع أن يهبط عن مستوى امرأة العزيز حينما قالت : « وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا من رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم » (يوسف — ١٢ : ٥٣)٠

بل اننى أستطيع أن أدعى أن ما نحن فيه اليوم ، نتيجة لخطأ العلماء ، قبل أن يكون نتيجة لخطأ غيرهم ، فالمعروف عبر تاريخ البشرية الطويل ، أن فساد الأمم ، يترتب على ضلال علمائها ، وما فساد بنى اسرائيل عبر تاريخهم الطويل ، الا نتيجة لضلال علمائهم ، على حد

قول القرآن الكريم فى آيات كثيرة ، عنـد حديثه عن بنى اسرائيل ، وما أكثر حديثه عنهم ، وعن علمائهم الضالين المضللين .

والى هذا المعنى يشير الامام الغزالى ، فى رسالته الى تلميذه ، المشهورة بـ (أيها الولد) ، حيث يقول لهذا التلميذ : ان « من حصـل العلم ، اذا لم يعمل به ، تكون الحجة عليه آكد ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم (أشـد الناس عذابا يوم القيامة ، عالم لم ينفعه علمه) » .

ونعود الى من رأى أن العلماء هم المقصودون بقوله تعالى فى سورة النساء « وأولى الأمر منكم » ، وهو ابن قيم الجوزية ، فى « الرسـالة التبـوكية » ، حيث يرى أن العلمـاء ، أولو الأمر أو ولاته ، « فان العلماء ولاته حفظا وبيانا ، وذبًّا عنه ، وردا على من ألحـد فيه ، وزاغ عنه » ، « والأمراء ولاته قياما وعناية وجهادا ، والزاما للناس به ، وأخذهم على يد من خرج عنه » .

فالعلماء مكرمون اذن ، لا من أجل العلم الذى يحملونه ، فى حد ذاته ، لأن هذا العلم يمكن أن يكون حجة عليهم ، على حد تعبير الامام الغزالى السـابق — ولكن من أجل تحملهم (لتبعات) هـذا العلم ، واستغلاله لتحقيق الخير ، لكل المسلمين .

ان العلماء ، هم المسئولون عما أصاب أمتنا ، بعد أن قصروا فى بيان الأمر ، والذب عن دين الله ، والرد على من ألحد فيه وزاغ عنه ، على حد تعبير ابن قيم الجوزية ، ثم ساوروا بعد ذلك ، مع السائرين حيث ساروا — بينما كان العلماء — عبر تاريخ الاسلام الطويل — هم الذين يقودون المسيرة ، الى حيث يجب أن تسير .

والتاريخ الاسلامى الطويل ، حافل بقصص العلماء ، الذين عرفوا قدرهم ، وآمنوا بحق الله عليهم ، فتصدوا للمظالم والمفاسد ، أيا كان

مصـــدرها ــ وبذلك جنبوا أنفسهم (خطيئة السكوت على الظلم) ، وترك الفســاد يستشرى ، حتى يقتـلع كل خير فى المجتمع ، فجنبوا أنفسهم ــ بالتالى ــ ذلك المصير الأسود ، وهو أن يكونوا فى النهاية ــ من علماء السوء •

وكم تصدوا للسلطة ، على طريق تصديهم للظلم ، واحتسبوا عند الله ، ما لاقوه من السلطة من بطش •

وكم تصدوا للعامة ، على طريق تصديهم للفســاد والافســاد ــ وللعامة أيضا بطشها •• وان اختلف عن بطش السلطان •

ومن حسن حظ علماء الدين فى قرننا الهجرى الجديد ، أن الناس أكثر استعدادا لأن يسمعوهم ، ويفهموهم ، مما كانوا من قبل ، مع من سبقوهم فى القرن المـاضى ، وأن حكام المســلمين فى قرننا الجديد ، أكثر اســتعدادا لأن يتجاوبوا معهم ، ويســتمعوا الى نصحهم ، أكثر مما كان الحكام فى القرن المـاضى ، وأن هناك متغيرات دولية كثيرة ، تجعل الأرض ممهدة لزرعهم ، فى داخل العالم الاسلامى ، وخارج هذا العـالم ، فى الوقت الذى كانت فيه أرض الســابقين عليهم فى القرن المنصرم ، جدباء ، من كل جانب •

ولكن تغير الظروف على هذا النحو فى القرن القادم ، يلقى على هؤلاء العلماء ، عبئا أكبر ، من ذلك العبء ، الذى كان ملقى على عاتق علماء القرن المـاضى • ان علماء القرن المـاضى ، قد يجدون ما يعتذرون به أمام ربهم ، فيما قصروا فيه ، وهو ما لن يجده علماء القرن الجديد ، لأنه ليس أمامهم ــ والجو مهيأ أمامهم هكذا ــ ما يعتذرون به •

ان هناك صحوة اسلامية عارمة ، فى داخل أرض الاسلام ، وخارج هــذه الأرض ، لا يستطيع أن ينكرها منكر ، مهما بلغ به الضــلال ، والكل متفائل بهذه الصحوة ، التى تصل الى حد الانتفاضة ، فى أجزاء

كثيرة من الأرض ، وهى فرصة سانحة للعلماء ، أن ينزلوا الى الميدان ، ليقوموا برسالتهم ، والآذان كلها مفتوحة .. استعدادا لسماع ما يقال — على أن يكون ما يقال ، جديرا — بالفعل — بأن يسمع .

واذا كانت هذه (الصحوة) الاسلامية مبعث (تفاؤل) الكثيرين ، من الغيورين على الاسلام ، فاننى أستطيع أن أدعى، أننى لست واحدا من هؤلاء المتفائلين ، بالرغم من أننى أعتبر نفسى من الغيورين على الاسلام.

ولقد كنت مستعدا لأن أتفاءل مع المتفائلين ، لو أن هذه الصحوة كانت ناتجة عن اقتناع عقلى ، كان علماء الأمة ، هم الذين قادوه ، ولم تكن ناتجة — كما هى اليوم — عن مجرد احساس غير واع ولا مدرك، بأن الاسلام يمكن أن يكون (بديلا) من البدائل ، بعد أن فشلت البدائل الأخرى ، كالرأسمالية والشيوعية .

ومن ثم فاننى مضطر الى أن أكون مشفقا على هذه الصحوة ومنها ، أكثر منى متفائلا بها .

واشفاقى عليها ومنها ، مصدره وضع الاسلام فى كفة ، مقابلة لكفة النظم والشرائع والأيديولوجيات ، التى صارت اليوم فى مجتمعاتها، بمثابة أديان وضعية ... أفلست أخيرا ، وقد كانت — يوما ما — ناجحة .

يضاف الى ذلك ، أن معظم حملة هذه الصحوة من الشباب ، خاصة طلاب الجامعات ، وهم محدودو الثقافة الدينية ، وهم — بآيات محدودة من كتاب الله الكريم ، وأحاديث محدودة من كلام سيد المرسلين ، ينصبون من أنفسهم حراسا على الاسلام ، ويجرمون من لا يجاريهم فى مهاجمة الكبار ، من آباء وعلماء وحكام ، ومن ثم توجد (فجوة) ما كان يجب أن توجد ، بين هذا الشباب بنقائه وطهره ، وبين الدين الحنيف ذاته ، كما توجد نفس الفجوة التى ما كان يجب أن توجد ، بين خير

شباب هذه الأمة ، وجيل الكبار فيها ، ومن بين هؤلاء الكبار : الحكام، وأساتذة الجامعات — أساتذتهم — والآباء أنفسهم، وعلماء الأمة الدينيون •

ويحظى علماء الدين من هؤلاء الشباب بالنصيب الأكبر من السباب واللعنات ، فتثور ثائرة العلماء ، (فيهبطون) الى مستواهم ، ويتهمونهم بشتى التهم ، ويستعدون عليهم السلطة والكبار ، بدلا من أن (يرفعوهم) الى مستوى الاسلام ، ويأخذوا بأيديهم الى منهج الله ، بعد أن ضلوا طريقهم الى هذا المنهج ، نتيجة لأخطاء الكبار أنفسهم ، بما فيهم علماء الأمة ، المسئولون عنها فى حاضرها ومستقبلها ، مسئولية الحكام ، ان لم تزد •

لقدأدت هذه الصحوة الاسلامية العارمة ، الى انقسام المتمسكين باسلامهم ، الى مجموعة من الشباب ، المتحمس المسطح الفكر ، المحدود الثقافة والخبرة ، الساخط على الجميع ، ومجموعة من الكبار ، الذين لم يستطيعوا بعد ، أن يقيموا (جسورا) تربطهم بالجيل القادم ، من المتمسكين بالاسلام ، ممن لابد أن يتسلموا منهم الراية فى المستقبل •

وقامت معركة ما كان يجب أن تقوم ، بين هؤلاء وهؤلاء ، وكم أتمنى ألا تصل هذه المعركة الى نهاية ، لأن نهايتها لابد أن تكون لفريق على فريق ، والمجتمع الاسلامى منذ قام ، قام على الفريقين معا ، ولم يقم على واحد منهما وحده — وانما الذى أتمناه ، هو أن تقوم بين الفريقين (جسور) ، لا يستطيع أن يقيمها جيل الشباب بفكره المسطح ، وخبرته المحدودة — وانما يستطيع ذلك جيل الكبار وحدهم ، وعلى رأسهم علماء الدين ، بحكم خبرتهم وعلمهم وواسع تجاربهم ، ومسئوليتهم عن ذلك أمام الله سبحانه •

ترى هل وضحت أسباب اشفاقى من هذه الصحوة الاسلامية العارمة ؟

على أن الفرق كبير ، بين (اشفاقي) على هذه الصحوة الاسلامية العارمة ومنها ، وبين (التشاؤم) ، فأنا لم أصل بعد الى أن أكون متشائما مع المتشائمين منها ، ولن أصل الى هذا الحد ، باذن الله .

ذلك أن التشاؤم ، يعنى فقدان الأمل فى الصلاح والاصلاح ، وهو ما يرفضه الاسلام رفضا يصل الى حد تجريمه « قال : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (الحجر — ١٥ : ٥٦) — أما الاشفاق ، فهو يعنى التفاؤل ، المشوب بالحذر ، الآخذ بالأسباب ، والمتعلق — معها — برحمة الله ، وتأييده لعباده المؤمنين ، فى النهاية .

ولم يصل اشفاقى الى درجة التشاؤم ، لأن المسيرة الاسلامية المعاصرة ، يمكن أن تبلغ مداها ، وتحقق وعد الله لها بالنصر ، اذا ما اتخذت لهذا النصر أسبابه ، وفى مقدمة هذه الأسباب ، اجتماع الكلمة ، والتنظيم ، والأخذ بالأسباب ، وتجنب أسباب الخلاف ، وتحديد الهدف وتوضيحه ، وتعميقه فى أذهان الجميع .

ومعنى ذلك ، أن هذه المسيرة الاسلامية المعاصرة ، لن تبلغ مداها ، الا اذا عاد معنى (الأمة) الاسلامى ، يشق طريقه الى القلوب ، فيجمع ذلك الكم الهائل (المتناثر) ، ليجعل منه (كلا) واحدا ، قادرا — بالفعل — على الفعل .

والأمة — فى الاسلام — صغار وكبار ، ورجال ونساء ، وعلماء وعامة .. وكل له فى هذه الأمة مكانه ومكانته .

وعودة معنى (الأمة) الى القلوب ، يعنى أن يجتمع على صعيد واحد ، الكبار فى الأمة الاسلامية ، وعلى رأسهم فريق العلماء ، وله علمه وثقافته وخبرته ، وقدرته على توجيه المسار ... وفريق الشباب ، بحماسه وحيويته وقدراته وطاقاته ، التى لها فى الاسلام ألف حساب ، كما كان لها حسابها أيضا فى النظم المختلفة ، غير الاسلامية .

ولن يكون هـذا اللقـاء بين الفريقين ممكنا ، مالم تكن هنـاك (أرضية مشتركة) ، يقفان عليها معا ، وتلك هي وظيفة التربية ، في القرن الخامس عشر الهجرى — بعد أن استطاعت التربية في القرن الرابع عشر الهجرى ، أن (تمزق) الأمة الواحدة ، على النحو الصارخ ، الذى نراها عليه اليوم ، حيث نجد علماء دين ، لا علاقة لهم بالدنيا ، وعلماء دنيويين ، لا علاقة لهم بالدين .

ولعلنا نعلم جميعا ، أن نظم التعليم في البلاد الاسـلامية اليوم ، نظم تقوم على الازدواج التعليمى ، بمعنى أن بكل بلد منهـا نظامين للتعليم ، لا نظاما واحـدا ، فهنالك نظام يتخـذ من الدين الاسـلامى محورا له ، سواء سمى هـذا النظام بالنظام الدينى أو النظام القديم ، وهناك نظام ثان ، يتخذ من العلوم الحديثة محورا له ، سواء سمى هذا النظام بالنظام الحديث ، أو بالنظام الغربى .

وقد نجد علوما حديثة في التعليم الدينى ، كما نجـد بعض علوم الدين في التعليم الحديث ، ولكن هذه الظاهرة لا تقرب بين النظامين ، بقدر ما تباعد بينهما ، لأن (حشر) بعض العلوم هنا أو هنـاك ، يعنى (الاحساس) بالمشكلة ، ولكنه يعنى أيضا (الالتفاف) من حولهـا ، بدلا من (مواجهتها) .

والازدواج التعليمى — كما نعلم جميعا — وافد الينا من الغرب ، مع ما وفد الينا منـه ، من مخترعات تكنولوجية ، ومن آراء وأفكار ، كان يحكم علاقتنا بها ، (الاحساس بالتخلف) الذى سيطر علينا فترة من الزمن ، أول لقائنا بالغرب في العصور الحديثة . وفى الوقت الذى بدأت حدة الازدواج التعليمى فيه تخف في الغرب ، بعد أن حنت الكنيسة رأسها للجـديد ، حتى تعيش ، بدأت هـذه الحـدة ذاتها تزيد في بلاد المسلمين ، بفعل الاستعمار الغربى ، الذى أراد ذلك ، لحاجة فى نفسه ، ثم بفعل الحـكام الوطنيين ، الذى تولوا الحكم بعـد التخلص من

الاستعمار ، فساروا على دربه ، لأسباب كثيرة ، ليس هنا مجال الخوض فيها .

ومما يلفت النظر ، أن التاريخ الاسلامى الطويل ، لم يعرف هذا الازدواج التعليمى ، حتى فى أثناء هجمة العلوم الأجنبية على التعليم الاسلامى ، وهذا هو سر ما نراه من معرفة تامة بعلوم الدين لدى علماء الطبيعة والكيمياء والطب والجغرافيا والتاريخ المسلمين ، من أمثال جابر ابن حيان وابن سينا والفارابى والادريسى وابن خلدون وغيرهم — وسر ما نراه من احاطة تامة بهذه العلوم الحديثة لدى علماء الدين المشهورين . ومن يقرأ (احياء علوم الدين) للغزالى مثلا ، لا يسعه الا أن يقف مشدوها أمام دقة ما ورد فيه من معلومات علمية ، فى مختلف مجالات العلم الطبيعى . والغزالى لم يأت بهذه المعلومات الطبيعية الدقيقة من فراغ ، وانما أتى بها من خلال ما أتيح له من فرص تعليمية فى (المدرسة النظامية) ببغداد ، سواء فى فترة حياته كطالب علم منتظم ، وبعد تخرجه واشتغاله بالتدريس فيها ، وتتلمذه — فى أثناء ذلك — على التراث الفكرى الرائع ، الذى كان موجودا فى مكتبتها الزاخرة ، وفى غيرها من المكتبات ، التى كان العالم الاسلامى يفيض بها .

بل ان التاريخ الاسلامى الطويل ذاته ، يقص علينا فى سير بعض الخلفاء ، كالمأمون العباسى مثلا ، كيف كان يناقش علماء الفقه كما لو كان فقيها ، وعلماء النحو كما لو كان نحويا ، وعلماء الطبيعة أو الكيمياء ، كما لو كان متخصصا فى الطبيعة أو الكيمياء .

وقد أدى هذا الازدواج التعليمى ، البعيد عن روح الاسلام ، الى انعدام (الأرضية المشتركة) ، التى يجب أن تكون موجودة ، بين أبناء الأمة الواحدة ، وهو أمر لا وجود له اليوم الا فى بلاد الاسلام ، وغيرها من بلاد العالم الثالث ، بعد أن ذابت الحدود والفواصل ، التى فرضت على بعض المجتمعات الغربية ، التفرقة بين التعليم الدينى والتعليم المدنى —

تلك الفواصل ، التي فرضتها ظروف تاريخية ، لم توجـد يوما فى بلاد المسـلمين .

وقـد كانت نتيجة ذلك الازدواج ، ذلك الصراع الذى تحـدثنا عنه آنفا ، بين علماء الدين ، وبين الشباب ، ومعظمهم شباب الجامعـات المدنية ، وكان انزواء الدين وعلمـائه فى ركن ضيق من أركان حيـاتنا المدنية ، يتضـاءل حجمه ــ وحجمهم معه ــ يوما بعد يوم ، ثم كان ــ أخيرا ــ تهجم السلطة على علماء الدين ، فى أكثر من بلد اسـلامى ، اذا لم يجـار العلماء السلطة ، والمتدينون فى البلد لا يستنكفون هـذا التهجم ، بل لعلهم يسعدون به ، لأنهم ــ رغم تدينهم ــ أو بسبب هذا التدين ربما ــ يرون أن علماء الدين جامدون ، وأنهم عقبة فى سـبيل تطوير البلاد والنهوض بها .

أو لعلهم يجدون فى هذا التهجم على علماء الدين .. تبرئة لهم من (تهمـة) البعد عن منهج الله ، التى تحدثنا عنها من قبل(١) ــ بعد أن حددت السلطة هذا (المتهم) بالفعل ! !

وكثير من النظم فى البلاد الاسلامية أرادت اصلاح هذا الوضع ، مخلصة فيما أرادت ، أو سيئة النية فيه ، فأدخلت بعض العلوم الحديثة فى المعاهد القديمة ، كما زادت من (الجرعة) المعطاة لمتعلمى المعـاهد الحديثة من علوم الدين ، واعتبرت نفسها ــ بذلك ــ قـد ضيقت من (الهوة) التى تفصل بين التعليمين ، ناسية أن (الهوة) لا تضيق بهذا الأسلوب البدائى ، بل انها يمكن أن تتسع ، كما نرى بوضوح فى نظم التعليم ، فى البلاد التى نحت هذا النحو .

ان التعليم ليس مجرد مجموعة من المواد تدرس ، وانما هو ــ قبل ذلك وبعده ــ (روح) تسرى فى النظام التعليمى كله ، سريان الروح

(١) ارجع الى ص ٩٤ ، ٩٥ من الكتاب .

فى الجسد الحى ، وتترك (بصمتها) على المواد التى تدرس ، كما تتركها على الطريقة التى تدرس بهـا ، وعلى ادارة المؤسسات التعليميـة ، وهكذا •

ثم ان التعليم لا يقف عند حد المؤسسات التعليمية ، مدرسة كانت أو جامعة ، وانما هو يتعدى ذلك ، الى كل ما له تأثير على الانسـان — فى المنزل ، وفى النادى ، وفى الشارع ، وفى أى مكان يوجد فيه هذا (الانسـان) ، محتكا بغيره من النـاس ، مؤثرا فيهم ، ومتأثرا بهـم بطبيعة الحال (١) •

وعلى رأس هذه المؤثرات التربوية بطبيعة الحال ، وسائل الاعـلام والثقافة ، فى عالمنا المعاصر •

أى أن التربيـة ، فى الفكر التربوى المعاصر ، هى هى التربيـة ، كما قال بها الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، (من المهـد الى اللحد) ، وفى كل مكان يكون فيه تأثير وتأثر • بل ان الفكر التربوى الاسلامى ، يسبق الفكر التربوى المعاصر ، فى مسائل كثيرة ، لا نقول بها من باب المباهاة والمفاخرة ، وانما نقول بهـا من باب احقاق الحق وحده ، ونسـتطيع آن نراها فى الكتابات الكثيرة ، التى تناولت هـذا الموضوع — موضوع التربية الاسـلامية ، ولا نخوض فى ذلك الآن ، حتى لا نخرج عن موضوعنا •

ومن ثم فان (الأرضـية المشتركة) لا يمكن أن توجـد بهـذا الأسلوب ، ومن ثم وصفته بالبدائية ، فيما سبق ، وقلت باحتمال سـوء النية ، ممن لجئوا اليه •

وانما توجد هذه (الأرضية المشتركة) ، من خلال النظام التعليمى الواحد ، الموحد للجميع ، حيث ينبغى التوحيد ، فى المراحل الأولى من

---

(١) ارجع الى تفصيل ذلك ، فى دعوتنا الثالثة — الأخيرة من الكتاب — الى علمـاء التربيـة المسلمين •

هـذا التعليم ، والمتنوع ، حيث ينبغى التنويع ، عنـدما تتبلور ميول المتعلمين ، فى مرحلة المراهقة ...

وقـد يقول قائل : ولكنك بدلا من أن تقـدم لنـا حلا ، زدت المشكلة تعقيدا .

وأرد على هذا القول ، ان ورد ، بأنى لم أرد بكلامى منذ البداية ، أن أقدم حلا ، وانما أردت ابراز المشكلة ، فان زادت هذه المشـكلة تعقيدا ، كان ذلك أجدى وأنفع ، من وجهة نظرى ، لأسباب :

ــ منها أن المشكلة لن تحل بسهولة ، وانما هى تحتاج الى جهـد سنوات ، مكثف ومخطط ومخلص ، ولكنه جهد واجب ، فلنبدأ به القرن الهجرى الخامس عشر . ولو أن المسـألة كانت تحل بسـهولة ، لحلتها دراسـة أو أكثر ، من الدراسـات الكثيرة ، التى ظهرت حول هـذا الموضـوع ، وكلها دراسـات جادة ، دافع معظمها هوحسـن النيـة ولا شك ــ أو لحلها مؤتمر واحد أو أكثر ، من المؤتمرات التى اتخذت من (التربية الاسلامية) عنوانا لها ، فى أكثر من بلد اسلامى ، ولكن كل مؤتمر منها ، لم يخرج بأكثر من مجموعة من التوصـيات ، التى قد لا تضر ، ولكنها بالتأكيد .. لا تنفع .

ومن ثم فان زيادة المشكلة تعقيدا ، أمر أردت اليه ، لعلنا نستهل القرن الخامس عشر الهجرى ، بوضـع أقدامنا على الطـريق ، الذى لا طريق غيره الى التقدم ــ طريق التربية الاسلامية .

ــ ومنها أن الضـوء لا بد أن يلقى على ما يقال ، من أن الطريق الى التربية الاسـلامية ، طريق بسـهل معبد . انه ــ على العكس من ذلك ــ طـريق محفوف بالمخاطر ، ملىء بالأشـواك ، ويكفى أن أية دعوة الى العودة الى الاسلام ــ فى الاقتصاد أو فى الصناعة أو فى القانون أو فى الطب أو فى غيرها ــ يحكم على الداعين اليها بالتعصب ، وتثور

ثائرة الدول الكبرى عليهم ، ثم تنتقل هـذه الثائرة الى داخل بلادهم ، فتفتح لهم السجون والمعتقلات ، وكأن حقوق الانسان ليس لها مكان فى السياسة المعاصرة ، الا اذا كان هذا الانسـان غير مسـلم • ومن ثم فان القول بسهولة الطريق ، قد يكون مقصـودا به امتصـاص الطاقة الاسـلامية المتعاظمة ، فى مجموعة من الكلمات ، تقال فى دراسـة ، جادة أو غير جادة ، أو فى مؤتمر من المؤتمرات ، ينتهى مفعولها بانتهاء المؤتمر ــ وما أكثر أمثال هذه المؤتمرات ، فى عالمنا الاسلامى ، وكلها ينعقـد لينفض ، دون أن يدرى أحـد سر انعقاده ، وما توصـل اليه بانفضاضه ، ودون أن يكون له ــ بعد الانفضاض ــ أثر ، يدل على أن مؤتمرا منها ، كان فى يوم من الأيام قد انعقد •

ــ ومنها أن التربية قد صارت اليوم علما له أصوله ، ومن ثم فان القول بتربية اسلامية ، لا تستند الى هذ الأساس العلمى ، يمكن أن يندرج تحت أى عنوان ، الا أن تكون (التربية) ، من (مكونات) هذا العنوان •

ومن ثم فان كثيرا مما تكتبونه تحت عنوان (التربية الاسلامية) ، وما أكثر ما تكتبونه تحت هـذا العنوان ــ لا ينتمى الى هذا المجال ، لا لشىء الا لأنكم من غير المتخصصين فى التربية ، كعلم ، له أصوله •

كما أن كثيرا مما يكتبه متخصصون فى التربية ، تحت نفس العنوان ، وما أكثره اليوم ، لا ينتمى الى هذا المجال أيضا ، برغم تخصصهم فى التربية ، لأنهم تنقصهم (الخلفيـة) الدينية الكافية ، التى تتيح لهم فهم الاسـلام ــ كنظام ــ فهما يمكنهم من الحديث عنه ، والخوض فى قضـاياه ، مهما كانت (درجة) حسـن النية ، المتوفرة لدى هـؤلاء المتخصصين فى التربية •

انه ليس تقليلا من شـأن هؤلاء ولا هؤلاء ، ولكنه (ترشـيد) للعمل فى هذا المجال ــ البالغ الحساسية والخطورة ، للأمة الاسلامية •

ان معرفتى بشىء من الطب ، لا يعني أنني صرت طبيبا ، ومعرفتى بقليل من الجغرافيا ، لا يعنى أنني قد صرت جغرافيا — فنحن في عصر التخصص ، الذى أقره الاسلام قبل العصر الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان ، حتى في مجال الدين ، رغم أن معرفة أصـوله (فرض على كل مسلم ومسلمة) ، ورغم أنه (فرض عين) فى نظر الفقهاء :

— « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفـة ، ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، لعلهم يحذرون » (التوبة — ٩:١٢٢).

قد يبحث أحد علماء التربية في الدين ، كما قد يتحدث أحد علماء الدين عن التربية ، ولكن مثل هـذا البحث أو الحديث ، لا يعنى أن واحدا منهما قد صار (متخصصا) ف المجالين معا .

ولتتحقق التربية الاسلامية ، القائمة على هـذا الأساس العلمى ، فان الباحث فيها ، لا بد أن يتوفر له نوعان من المعرفة ، أولهما هـو المعرفة العلمية التربوية ، والثـانى هو معرفة الاسلام ، خاصة مصـدريه الأساسيين : الكتاب والسنة .

والباحثون فى المجال يتوفر لهم اليوم واحد من هذين الأساسين ، دون الأساس الثانى ، فعلماء التربية والباحثون فيها ، يسـيطر عليهم التعليم الغربى ، و (الفكرة الغربية) بالتالى ، ويعوزهم المنظور الاسلامى الى كل القضـايا ، بما فى ذلك قضـايا التربية ، وعلماء الدين يعرفون الدين وأصـوله ، ولكنهم لا يعرفون شـيئا يذكر عن التربية ، كعلم وتخصص .

ان هدف الصحوة الاسلامية العارمة الراهنة ، هـو خلق المجتمع المسلم ، الذى أوجده سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وقلب به موازين القـوى العـالمية فى عصره ، وعلى أساس ما حققه من حضارة ، قامت الحضارة الغربية الراهنة — ولولاه ، ما كان لهذه الحضـارة اليوم وجود . وفى سـبيل خلق هذا المجتمع

المسلم ، نسمع اليوم عن دعوات الى الاقتصاد الاسلامى ، والتشريع الاسلامى ، والحكومة الاسلامية ، وهى دعوات لا نشك فى اخلاص الداعين اليها وحسن نياتهم ، ولكن الدعوة الى التربية الاسلامية ، لابد أن تسبق هذه الدعوات جميعا . ولم يكن عبثا فى تاريخ الاسلام ، أن تسبق الهجرة التى نحتفل اليوم ، بمرور أربعة عشر قرنا عليها — ثلاثة عشر عاما من التربية ، كان سهلا — بعدها — أى بعد الهجرة — أن توجد للاسلام فى المدينة دولة ، يبدو الاسلام — كنظام — فى كل ملمح من ملامحها ، وفى كل جزئية من جزئيات الحياة فيها .. فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والحرب ... وغيرها .

ان النظام — أى نظام — يعيش فى ضمير الفرد أولا ، ومنه ينتقل الى المجتمع الخارجى ، ومن هنا كانت فكرة التعليم العام الموحد ، المفتوح الأبواب للجميع ، فى عالمنا المعاصر ، حتى توجد (الأرضية المشتركة) ، التى يقف عليها المواطنون جميعا — أى حتى يتهيأ (ضمير) الفرد ، ليكون صورة لهذا النظام .

ولست أدرى كيف يمكن أن تطبق الشريعة الاسلامية على سبيل المثال — اذا كان مطبقها جاهلا بالاسلام وتشريعه ، وفلسفة هذا التشريع ، وأصوله النظرية والتطبيقية ؟

وما قيل عن الشريعة الاسلامية ، يمكن أن يقال عن غيرها ، مما يدعو اليه الداعون المخلصون .

على أنى لا أقصد من ذلك ، أن يكف الباحثون فى مختلف مجالات الحياة فى المجتمع الاسلامى ، عن البحث والدراسة ، والسعى الجاد ، حتى ينتهى علماء التربية المسلمون من أعمالهم ، ويحققوا وجود الفرد المسلم ، الذى سيقوم عليه المجتمع المسلم ، وانما أنا أقصد الى توضيح أن أى تعديل فى دفع المجتمع نحو الاسلام ، لن يكون فعالا ، بدون التربية الاسلامية .

والمقارنة بين المجتمع الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، والمجتمع الاسلامى الأول فى مكة ، لم يكن لها من مقصد ، سوى توضيح (أهمية) التربية ، لخلق النظام ، وفيما عدا ذلك ، فان الاسلام يعيش اليوم فى أعماق ضمير كل مسلم ، حتى ولو كان غير متدين ، ولا ينقص هذا الاسلام ، سوى جهد محدود ، ليترجم من حبيس ضمير ، الى طليق واقع .

وهنا يأتى دوركم ، أيها العلماء الأجلاء ، المسئولون عن هذه الأمة ، التى فضلها ربها على كل الأمم ، والموضوعون فيها فى مكان الصدارة ، لتقودوها الى طريق النجاة .

ان الجهد الذى بذل على طريق التربية الاسلامية ، فى القرن الماضى ، كان — ولا يزال — جهدا فرديا — بمعنى أن القائمين به حتى اليوم ، لا زالوا أفرادا ، وان كان بعض هؤلاء الأفراد قد كانوا فى مواقع عمل ، استطاعوا بها أن يكونوا فعالين ومؤثرين .

والجهود الفردية ، فى أى مجال من المجالات ، مهما بلغ بعضها من الفعالية والتأثير ، تمثل جهدا ضائعا ، وعبثا فى بعض الأحيان ، ما لم يربط جهود الأفراد نظام ، تنتظم حوله هذه الجهود ، فيكون كل جهد منها ، لبنة فى بناء .

وليس هناك من (جهة) تقدر على أن تجمع (الشتات) المتفرق ، فى (كل) منتظم ، يكون له هدف ، يسعى للوصول اليه ، سواكم أنتم ، بوصفكم المسئولين عن صيانة (ضمير) هذه الأمة ، وتوجيهه بحيث يظل دائما .. على نقائه وطهره .

على أن جهدكم فى هذا المجال ، يجب ألا يتعدى (تبنى) التربية الاسلامية ، وتنظيم الجهود المبذولة فيها .. مستعينين فى ذلك كله ، بعلماء التربية المسلمين ، بوصفهم (المتخصصين) فى المجال .

وما قيل عن الجهد الذى يبذل على طريق التربية الاسلامية ، يمكن أن يقال عن الجهد الذى بذل على طريق ألوان النشاط الاسلامى الأخرى، غير التربية .. كالاقتصاد ، والتشريع ، وغيرهما .

ان الجهود التى بذلك فى هذه المجالات الأخرى ، غير التربوية ، كانت — هى الأخرى — جهودا فردية ، ينطبق عليها ما قيل عن الجهود التى بذلت فى مجال التربية ، وان كان بعضها قد آتى ثمارا طيبة ، بسبب وجود بعض القائمين بها ، فى مواقع عمل ، كانوا بها قادرين ، على تحويل الفكر النظرى ، الى واقع حى يعاش .

ولعل ظهور (البنوك الاسلامية) على الساحة ، وقيامها بنشاط فعال فى مجال الاقتصاد ، يعد خير دليل على ما يمكن أن يصنعه الجهد الفردى الصادق المخلص ، الا أنها ليست القاعدة ، وانما هى الاستثناء .. من القاعدة .

يضاف الى ذلك ، أن البنوك الاسلامية ، تحل مجرد جانب واحد ، من جوانب حياة المسلم ، هو الجانب المالى والاقتصادى ، وتترك بقية الجوانب بلا حل ، مما يعنى زيادة حدة المشكلات ، التى يتعرض لها المسلم ، لا التخفيف من هذه المشكلات .

واذا كانت الجهود التى بذلت فى المجالات الأخرى ، غير التربوية ، قد أثمرت فى القرن الماضى ، البنوك الاسلامية مثلا ، ، رغم أنها كانت جهودا فردية ، فاننا نأمل فى هذا القرن الهجرى الجديد ، المبارك باذن الله ، أن يكون هناك (تنسيق) بين مختلف مجالات حياة الانسان المسلم ، وتنسيق لها وفق (نظام) معين ، تدور حوله الدراسات الفردية المتناثرة .. بحيث تؤدى — فى النهاية — الى (نظام) اسلامى كامل ، يمكن أن ينتقل اليه الانسان المسلم ، والجماعة المسلمة .

وليست هناك من (جهة) ، تقدر على (الربط) بين هذه المجالات المتناثرة ، لتضمها جميعا الى (الجسم) الاسلامى العام ، سواكم أنتم .

على أن جهودكم فى هذا المجال ، كجهدكم المطلوب فى مجال التربية ، يجب ألا يتعدى دور التنسيق والربط والتنظيم .. مستعينين فى ذلك كله بالعلماء المسلمين (المتخصصين) فى كل مجال ، وهم بحمد الله كثيرون .

ولا يعنى دور التنسيق والربط والتنظيم ، الذى يكلف به علماء الدين هنا ، تنحيتهم عن الساحة ، لتخلو هذه الساحة ، للمتخصصين فى كل مجال .. بل ان دور التنسيق والربط والتنظيم ، يعنى أن الجهد كله ، هو جهد علماء الدين ، بينما جهود العلماء الآخرين ، فى مجالات التخصص الأخرى ، جهود محدودة بمجال تخصص كل منهم — فعلماء التربية عند بحث المسائل المتصلة بالتربية الاسلامية ، وعلماء الاقتصاد عند بحث المسائل المتصلة بالاقتصاد الاسلامى ، وعلماء الاجتماع عند بحث المسائل المتصلة بالاجتماع الاسلامىفقط .. أما علماء الدين ، فهم — بالاضافة الى التنسيق والربط والتنظيم — موجودون وجودا فعالا ، عند بحث المسائل المتصلة ، بكل تخصص من هذه التخصصات .

ومعنى ذلك ، أن الدور الأساسى ، فى هذا العمل الجبار ، الذى نرجو أن يشهده القرن الخامس عشر الهجرى ، هو دوركم أنتم ، يا علماء الاسلام — وان كان بمقدوركم أن تستعينوا بغيركم من المتخصصين فى المجالات الأخرى ، عندما تحتاجون الى هذه المساعدة .

ومعنى ذلك أيضا ، أنه جهد ضخم ، ذلك الذى يجب أن تبذلوه ، وأنه عمل ضخم ، ذلك الذى ينتظركم .

ولكن هذا قدركم ، ومن أجله كان ذلك التكريم ، الذى حظيتم به فى الاسلام .. لا من أجل العلم فى حد ذاته — معطلا ، غير قادر على أن يعمل [١] .

ومعناه كذلك ، أنكم غير مطالبين بأن تنهوا مؤتمركم هـذا [٢] ، بمجموعة من (التوصيات) ، كما تعودت المؤتمرات أن تفعل ، لأنكم ان فعلتم ذلك ، تكونوا قـد وقعتم فى نفس الخطأ ، الذى وقعت فيـه مؤتمرات المسلمين ، طوال القرن الرابع عشر الهجرى : اجتماعات ، وخطب ، وقصائد شعر .. ثم ينتهى كل شىء — حتى صار هذا المعنى الخطأ ، هو معنى (المؤتمر) عندنا ، وصار المعنى الحقيقى للمؤتمر — فى اعتقادنا — هو الخطأ .

والمعنى الحقيقى للمؤتمر ، هو أن يجتمع (المتخصصون) فى مجال معين ، حول (محور) معين ، يتخذ عنوانا للمؤتمر .. وأن تقدم حول هذا المحور (دراسات) أو (بحوث) ، تلقى فى المؤتمر ، وتنـاقش من المشتركين والمشاركين فيه .. ومعظمهم من هؤلاء المتخصصين .. وبناء على الدراسات المقدمة ، وما يدور حولها من مناقشات ، تتخذ مجموعة من (التوصيات) ، المتصلة بالموضوع ، وتشكل (لجنـة) أو أكثر ، تنبثق عن المؤتمر ، لمتـابعة توصياته ، والعمـل على تنفيـذها ، بكافة الطرق الممكنة .

---

(١) ارجع الى ٩٠ من الكتاب .

(٢) المقصود به ، هو (مؤتمر التربيـة الاسلامية) ، الذى عقـد فى بيروت ، فى المـدة من الأحد ١٩٨١/٣/١٥ ، الى السبت ١٩٨١/٣/٢١ ، والذى دعت اليه (لجنة احتفالات القرن الخامس عشر الهجرى) ، بالتعاون مع (جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ، فى بيروت والقـرى) — وسيأتى الحديث عن هذه الجمعية بعد قليل — فى الهامش أيضا . وكانت هـذه الورقة ، واحدة من ورقات ثلاث ، تقـدمت بها الى المؤتمر ، كما قلت فى الفصل الأول — ارجع الى ص ٣٨ — ٤٠ من الكتاب .

أى أننى أدعو الى أن يكون مؤتمرنا هـــذا •• مؤتمرا ، بالمعنى الصحيح للمؤتمرات •• لا مؤتمرا شكليا ، على غرار مؤتمرات القرن الرابع عشر الهجرى •

ومعنى ذلك أن هذا المؤتمر، يجب ألا ينتهى بمجرد مجموعة من المقررات والمقترحات والتوصيات •• بل ينتهى معها (بلجنة عمل دائمة) ، تتولى متابعة المقررات والمقترحات والتوصيات ، وتقوم بتشكيل لجان دائمـة أو مؤقتة ، يحسن اختيار أعضـائها ، بحيث يجمعون الى جانب التفوق العلمى المعروف فى مجال التربيـة •• التفوق الخلقى ، وبحيث يكونون (صورة حية) للاسلام •

وعلى (لجنة العمل الدائمة) تلك ، أن تقوم بعمل (مسح) تام ، لكل ما يتعلق بنظام التربية الاســلامى المنشود ، من فلســفة التربية وأهدافهـا ، ومن مناهج التعليم المختلفة ، ومن طرق تدريس هـــذه المناهج ، ومن ادارة التعليم وتمويله فى الاسلام ، وغيرها وغيرها •

وهو عمل شاق وعسير بالفعل ، لا يدرك مدى مشقته، الا متخصص فى التربية ، ولكنه عمل واجب ، ونحمد الله أن الكثيرين بدءوا يلتفتون اليها (أى الى التربية الاسلامية) ، بعد أن كانوا ملتفتين عنها ، مما زاد من أعداد المتخصصين فى التربية ، بفروعها المختلفة ، من المسلمين ، ممن يمكن أن يكونوا عونا لهذه اللجنة الدائمة ، فى القيام بهــذا العمـل الشـاق والعسـير •

ثم على هذه اللجنة الدائمة ــ بعد ذلك ــ أن تترجم هذا الفكر النظرى فى مجال التربية ، الى اجراءات تربوية ، يمكن أن تمـارس ، وتحول هذه التربية الاسلامية ، الى (أسلوب حياة) يعاش ، فى داخل المدرسة الاسلامية وخارجها على السواء •

ثم عليها ــ أخيرا ــ أن تتحول الى (لجنة عمل) ، توظف هـــذه

الاجراءات التربوية العامة بطبيعتها ، بحيث تصلح للتطبيق الفعلى ، فى أى بلد اسلامى ، يسعى الى تحويل نظامه التعليمى الى النظام الاسلامى ، ولكنه لا يجد السبيل العملى الى ذلك .

وأعتقد أن وجود (جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية) (١) فى متناول

---

(١) أنشئت جمعية (المقاصد الخيرية الاسلامية) فى بيروت ، سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ) ، كرد فعل اسلامى ، على المدارس التبشيرية والأجنبية ، التى كانت تركز جهودها على لبنان بالذات ، بهدف القضاء على الاسلام فيه ، كما اتضح من أحداث ١٨٦٠ — ١٨٦٤ الطائفية ، فى وقت كانت المدارس العثمانية الرسمية ، عاجزة عن مواجهة ذلك كله ، بسبب اقتصارها على التعليم الدينى القديم وحده ، دون التعليم الحديث ، وبسبب عدم قدرتها على استيعاب كل أبناء المسلمين .

وتعتمد الجمعية فى تمويل نشاطها التعليمى ، على الجهود الخيرية وحدها .

ولذلك بدأت الجمعية جهودها ، بمدرسة واحدة فقط ، هى مدرسة البنات الأولية فى محلة الباشورة ، التى افتتحت فى السنة الأولى لانشاء الجمعية — ثم أخذت تنمو تدريجيا ، حتى تعدت بيروت ذاتها ، الى القرى اللبنانية ، فصار لها اليوم ١٢٤ مدرسة فى بيروت و ٤٧ مدرسة بالقرى ، تضم ١٠٦ر٢٥ طالبا وطالبة ، ويعمل بها ١٠٣٠ مدرسا ومدرسة ، يعاونهم جهاز ادارى ضخم ، يصل — مضافا الى المدرسين — الى ١٩٠٣ ، تتشكل منهم (الأسرة المقاصدية) ، التى يفخر كل لبنانى مسلم بالانتساب اليها ، عاملا فيها ، أو خريجا من خريجى معاهدها ، أو مشاركا بأية صورة من الصور ، فيما تقوم به من ألوان نشاط .

وقد نما عدد مدارس القرى بعد الأحداث الأخيرة فى لبنان ، وما أصاب بيروت من تخريب ، فوصل عدد هذه المدارس فى القرى ، الى ١٠٢ مدرسة .

وهناك اهتمام فى الجمعية باعداد المعلم المسلم ، وكان هذا الاعداد يتم أول الأمر ، بالابتعاث الى الخارج ، حتى أنشىء (مركز اعداد المعلمين) سنة ١٩٦٦م (١٣٨٥هـ) . وكثير من أعضاء هيئات التدريس بالمدارس والمعاهد المقاصدية ، من الحاصلين على الماجستير والدكتوراه (٢٢١ معلما) .

وتتمة لرعاية المسلمين فى لبنان ، بعد رعاية ابنائهم بالتعليم ، اتسع نشاط الجمعية ، بدءا بمجال الطب ، فأنشىء (مستشفى المقاصد) سنة ١٩٢١م (١٣٤٠هـ) ، وهو من أعظم مستشفيات بيروت ، وهو فى طريق تحوله الى مستشفى تعليمى ، بعد انشاء كلية الطب ، فى أرض مجاورة لأرض المستشفى ، كما أن هناك تفكيرا فى انشاء مستشفى مقاصد آخر وكلية للطب فى خارج بيروت — فى طرابلس لبنان .

وتتبع جمعية المقاصد أيضا (مدرسة التمريض الوطنية) ، التى أسسها المرحوم الدكتور مصطفى خالدى سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) ، =

. . . .

= كما انشأ الدكتور محمد خالد سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ) مدرسة للتمريض تابعة لمستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية .

كذلك اتسع نشاط المقاصد ، الى الرعاية الاجتماعية للمسلمين الذين ينتابهم العوز ، ورعاية الجمعيات التى تقوم بخدمة المسلمين كجمعية سيدات المقاصد ، والمجلس الاسلامى ، وجمعية الكشاف المسلم وجمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية ، وجمعية العناية بالطفل ، وجمعية السيرة النبوية ، وغيرها . كما انشأت الجمعية فرعا خاصا لتجهيز موتى المسلمين ودفنهم ، وقامت بمساعدة المضارين من المسلمين فى الحوادث الأخيرة ، من منكوبين ومهجرين .

ويدير الجمعية منذ انشائها ، مجلس للأمناء ، يبلغ عدد افراده عشرين عضوا — بالاضافة الى الرئيس ونائب الرئيس ، وأمين السر العام ، وأمين الصندوق . ورئيس المجلس الحالى ، هو الرئيس صائب سلام ، رئيس وزراء لبنان الأسبق ، والأب الروحى لكل المسلمين اللبنانيين ، على اختلاف طوائفهم (سنة وشيعة ودروز) رغم رفضه ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة سنة ١٩٨٢ ، فانتخب ابنه ، الأستاذ تمام سلام ، رئيسا للمجلس .

والمدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت القرى ، مدارس خاصة ، تتميز بما تتميز به المدارس الخاصة اللبنانية ، من حرية فى اداره شئونها دون اى تدخل من الدولة فى اى أمر من أمورها ، ومن ثم كانت دعوتى الى أن تستغل كحقل تجارب ، للجان العمل التى ستشكلها اللجنة الدائمة المقترحة للمؤتمر — تماما كما كانت المدارس التجريبية فى مصر فى الأربعينات ، حقولا لتجارب معهد التربية العالى للمعلمين فى مصر (كلية التربية جامعة عين شمس حاليا) .

— وقد رجعت فى المعلومات المتصلة بجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فيما سبق ، الى مراجع عدة ، بعضها خطى ، اطلعت عليه شخصيا أثناء زيارتى لبيروت ، عند انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية المشار اليه سابقا ، وبعضها مطبوع ، أشير الى بعضه هنا ، لمن شاء الاستزادة من المعلومات عنها :

— الفجر الصادق (بعد مئة عام) — بيان الرئيس صائب سلام فى اجتماع الهيئة العامة (قاعة ثانوية المقاصد الاسلامية للبنات) — ٣ ربيع الثانى ١٣٩٨هـ الموافق ١٢ آذار ١٩٧٨م — جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت .

— مشروع اعادة التعمير بعد الأحداث ، مع تنمية مرافق المقاصد — جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية — شعبان ١٣٩٧هـ — تموز ١٩٧٧م .

— مركز اعداد المعلمين — البيان السنوى : ١٣٩٩ — ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩ — ١٩٨٠ م) — جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت .

— مدرسة التمريض الوطنية — جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت (بدون تاريخ) .

=

هذه اللجنة ، واللجان الفرعية التى تشكلها ، يعتبر فرصة ذهبية ، للقيام بعمل ناجح ، يمكن أن يقدمه هذا المؤتمر للمسلمين ، فى قرنهم الهجرى الجديد ، حيث أن هذه الجمعية تتمتع بكل الحرية فى ادارة مدارسها ، مما يجعل مدارس الجمعية ، أرضا طيبة للقيام بما يريد المتخصصون فى كل مجال من مجالات التربية ، أن يقوموا به من تجارب ، ان هم احتاجوا اليها ، للتأكد من صحة ما يرونه من اجراءات تربوية تمارس .

ولو تم تشكيل مثل هذه اللجنة الدائمة ، على النحو الموضح ، وقامت هذه اللجنة بما قامت به ، فان مؤتمرنا هذا ، سينفرد عن غيره من المؤتمرات الاسلامية المعاصرة ، بأنه مؤتمر عمل ، لا مؤتمر كلام ، ومن ثم سيكون مؤتمرنا هذا ، وهو مؤتمر يتخذ من التربية عنوانا له وشعارا — سيكون مؤتمرنا هذا بذلك ، قد قام بدور تربوى ، ربما كان له أثره الواضح على ما يعقد فى المجالات الأخرى من مؤتمرات ، حين يوجه هذه المؤتمرات الى أن قضية الاسلام المعاصر ، والمسلمين المعاصرين ، لا تحل بالتوصيات ومعسول الكلام ، وانما هى تحل بأن يبدأ عمل كل منها ، بمجرد انتهاء المؤتمر .

ولو تم تشكيل مثل هذه اللجنة على النحو الموضح ، وقامت هذه اللجنة بما قامت به ، فان مؤتمر العام القادم باذن الله ، لن يكون مؤتمر خطب وشعارات ، وانما سيكون مؤتمر مشاكل ، تتم مناقشتها ، بحثا عن حلول لها ، أو مؤتمر دراسة وتقويم ، لما توصلت اليه لجنة العمل من اجراءات عملية ، على طريق التربية الاسلامية الطويل ، ولكنه الطريق المأمون باذن الله ، ترشيدا لهذه الاجراءات ، أو تأييدا لها .

= — مستشفى المقاصد ، بيان الأجهزة المطلوبة — صدر عن دائرة الاعلام فى جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت — ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠ م .

— مستشفى المقاصد — صدر عن دائرة الاعلام ، فى جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت — ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

— مؤسسة صائب سلام ، للثقافة والتعليم العالى — تصميم وطباعة مؤسسة نزيه كركى — ١٤٠٠هـ — ١٩٧٩م .

ولأول مرة فى تاريخ المؤتمرات الاسلامية المعاصرة ــ ربما،سيكون لعلماء المسلمين حين يجتمعون ، شيء (محدد) ، يفكرون فيه ، ويتناقشون حوله ، ويدفعون بالعجلة الاسلامية الى الأمام .

ويومها ، ستعود الى المسلمين عامة ، ثقتهم ، كما كانت هذه الثقة ، عبر تاريخ الاسلام الطويل ، وان كانت بعض الغيوم قد خيمت عليها ، فى القرن الرابع عشر .. بسبب (التخريب الثقافى) ، الذى فرض على العالم الاسلامى ، في هذا القرن ، من جيوش الاستعمار الغربى ، وقبلها من جيوش المستشرقين والمبشرين ، المدفوعين بحركة الصليبية العالمية ، الحاقدة على الاسلام ، منذ ظهر الاسلام ، وسيعود للعلماء يومها دورهم الطبيعى فى هذه الأمة ، وهو الدور القيادى ، الذى احتكروه لأنفسهم ، فى عصور الاسلام الطويلة .. تماما كما يحتكره العلماء ، فى كل مجتمع متقدم اليوم ، فى الشرق والغرب على السواء .

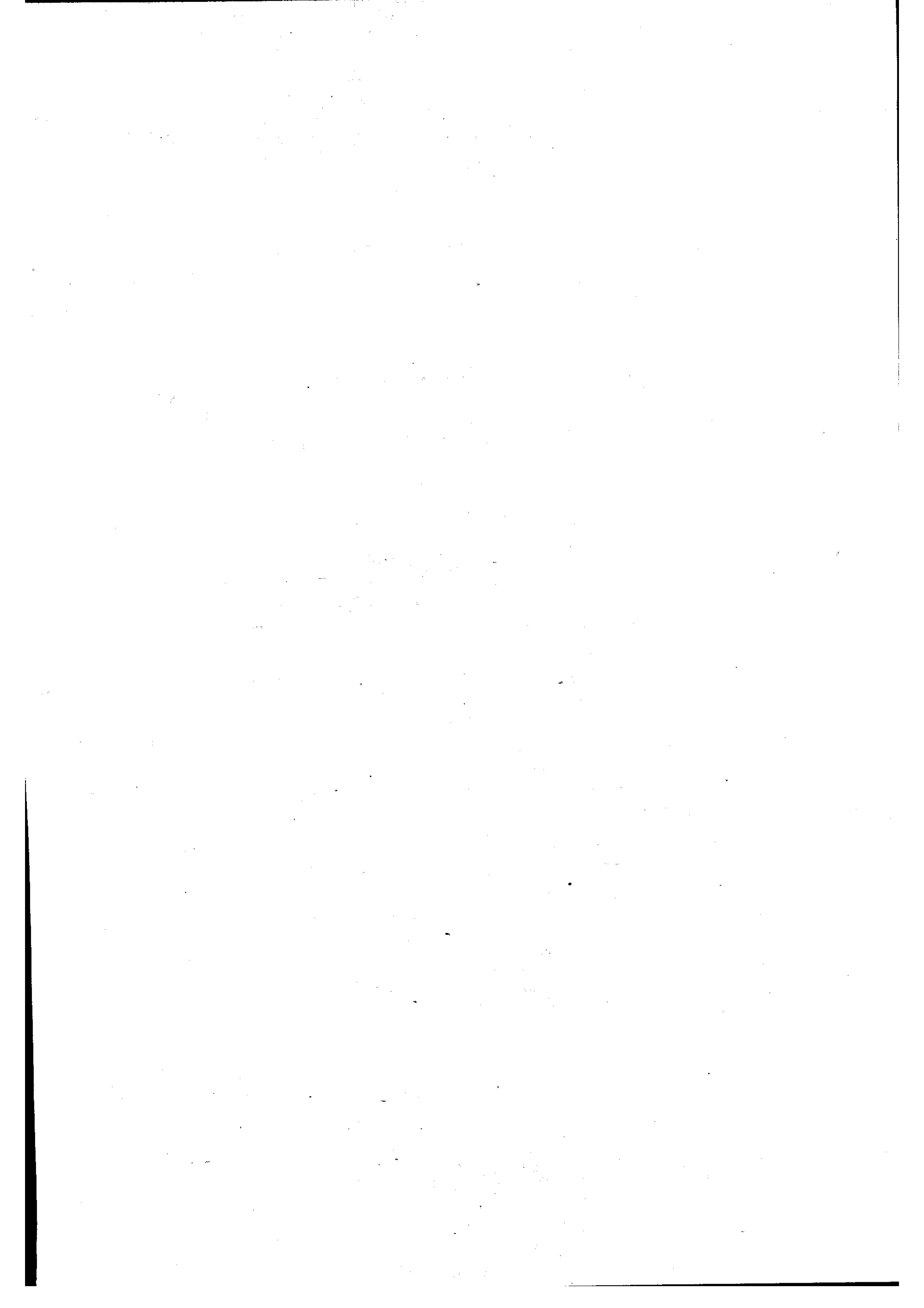
والله أسأل ، أن يوفقنا واياكم ، الى ما فيه خير أنفسنا ، وخير أمتنا ، انه نعم المولى ، ونعم النصير :

— « **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب** » (آل عمران ــ ٣ : ٨) .

الفصل الرابع

الفكرة الغربية فى علم النفس المعاصر

(دعوة موجهة الى علمــاء النفس المسلمين)



لا أدرى ما اذا كان مناسبا أم غير مناسب ، أن أبدأ بالاعتذار لزملائى المتخصصين فى علم النفس ، ممن يشرفوننا هنا فى هذا المؤتمر ، وممن فاتهم أن يشاركونا فيه ، بسبب خوضى فى مجال ، هو مجالهم وحدهم ، ومن ثم يجب أن تكون لهم الكلمة الوحيدة فيه ، احتراما للتخصص والمتخصصين •

وبرغم ذلك ، فاننى أطمئن هؤلاء الزملاء ، بأننى لست دخيلا عليهم ، حين أخوض فى مثل هذا الموضوع ، لسببين :

— أولهما أننى لا أتعامل مع علم النفس هنا ، تعامل المتخصصين فيه ، وانما تعامل القارئين له وفيه ، ومن حق القارىء أن يكون له رأى فيما يقرأ ، حبا فيمن يقرأ له •

— وثانيهما أن علم النفس ليس مجالا غريبا عن التربية والتربويين ، لأن التربية لا تقوم حين تقوم ، الا على (معطيات) علم النفس ، ومن ثم فعلم النفس — كعلم — من صميم تخصص رجل التربية ، أراد ذلك أم لم يرده •

ذلك أن التربية لا تقوم — حين تقوم — فى فراغ ، وانما هى تقوم معتمدة على أصلين كبيرين ، أولهما هو الفرد المتعلم ذاته — موضوع التربية ، والثانى هو المجتمع الذى ينشأ هذا الفرد فيه ، « فبالتربية ، يتم تشكيل الفرد أيديولوجيا ، وبالتربية ، يتم تحقيق التماسك الثقافى ، بين أبناء المجتمع الواحد » (١) •

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مدخل لدراسة التربية المقارنة) — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٢٤ •

واذا كان المعنى اللغوى للتربية ، هـــو التنمية (٢) — أى تنمية الفرد الانسانى ، موضـــوع التربية ، ليكون على نحو معين ، تريده (الجماعة) ، التى يعد الفرد ، ليكون (عضوا) فيها ، فان البرنامج التعليمى ، الذى تقدمه المدرسة ، لا يعدو أن يكون « محاولة ، يقوم بها الأفراد المتخصصون فى المجتمع ، للتأثير فى نمو الصغار ، وذلك باختيار وتنظيم الخبرات ، التى تنمو بها القيم المطلوبة ، لدى الفرد المتعلم » (٣) .

ولا يستطيع هؤلاء الأفراد المتخصصون فى التربيـــة ، القيـــام بتلك العملية الصـــعبة ، ما لم يكن لديهم ((تصـــور ما) ، صحيح أو غير صحيح ، عن « الفرد المتعلم ذاته : حاجاته ودوافعه — تكوينه البيولوجى ومزاجه النفسى وتركيبه العقلى — نموه فى مختلف جوانبه ، وكيفية ذلك النمو وأحواله » (٤) .

والعلم الذى يوفر مثل هذا (التصور) ، لأمثال هؤلاء المتخصصين،

---

(٢) ارجع الى معاجم اللغـــة فى هـــذا المجال — عند مادة (ربى) العربيـــة ، فى مثل :

— المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغـــة العربية — ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م ، ص ٣٢٦ .

وعند مادة (Educate) الانجليزية ، فى مثل :

— FOWLER, H. W. and FOWLER, F.G. (Edited by) : The Concise Oxford Dictionary, of Current English, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959, p. 381.

(3) DRESSEL PAUL L. : «The Meaning and Significance of Integration» — THE INTEGRATION OF EDUCATIONAL EXPERIENCES, The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education ; Chicago, Illinois, 1958- p. 5.

(٤) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبـــود : نحـــو فلسفة عربيـــة للتربية — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ ، ص ١٤٤ .

هو (علم النفس) ، سواء كان علم النفس المعاصر ، القائم على التجريب ، أو علم النفس السابق ، الذى كان يعتمد على التصورات الفلسفية ، وان كان علم النفس الحديث ـ التجريبى النزعة والمنهج ـ قد نشأ « نشأة فلسفية ، ونما بين أحضان الفلسفة » ، حتى انه « يقال ان علم النفس بصفة عامة ، له ماض طويل ، ولكن له تاريخ قصير » (٥) .

على أن أقدم التصورات لهذا الانسان ، قد قدمتها الديانات المختلفة ، قبل عصر الفلسفة وعصر التجريب معا ، وقبل عصر ديانات السماء ، باعتبار « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية » (٦) ، منذ قامت الجماعات البشرية على الأرض ، لأنه يلبى « حاجة الانسان الأبدية العميقة ، الى قوة أكبر من قوته المحدودة الزائلة .. ينتمى اليها ، ويحتمى بها ، فى مواجهته للعالم والطبيعة والتاريخ » (٧) ، لأنه « استشعر بغريزته ، وجود قوة أعلى ، هى التى خلقت العالم ، وهى التى تقوده الى مصير خفى » (٨) .

ومن ثم كانت وجهة نظر ول ديورانت ، التى ترى أن « الكاهن لم يخلق الدين خلقا ، لكنه استخدمه لأغراضه فقط ، كما يستخدم السياسى ، ما للانسان من دوافع فطرية وعادات ، فلم تنشأ العقيدة الدينية ، عن تلفيقات أو ألاعيب كهنوتية ، انما نشأت عن فطرة الانسان ، بما فيها من تساؤل لا ينقطع ، وخوف وقلق وأمل ، وشعور

---

(٥) دكتور حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعى ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٢ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٦) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ دار الاسلام بالقاهرة ـ ١٩٧٣ ، ص ٥ (من التقديم) .

(٧) الدكتور عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ـ الطبعة الاولى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ ، ص ١٣٧ .

(٨) الدكتور أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق ـ نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين ـ دار الشروق ـ ١٩٧٥ ، ص ٣١ .

بالعزلة » (٩) .

ومن خلال ارتباط الانسان — من خلال الدين — بهذه (القوة العليا) ، التى خلقت العالم ، كانت قدرة الانسان القديم — فى ظل دين يؤمن به — على خلق (حضارة) ، وكانت تلك « العلاقة الموجبة ، القائمة بين (الدين والحضارة)، فى العصور الحضارية القديمة » (١٠)— فان الحضارة ليست « شيئا عظيما فقط » ، على حد تعبير أسوالد أشبنجلر ، « بل انها بكليتها ، شىء لا يماثله أى شىء آخر ، فى هذا العالم العضوى . فهى النقطة الواحدة ، التى يسمو عندها الانسان بنفسه ، فوق قوى الطبيعة ، ويصبح هو نفسه خالقا » (١١) .

حتى الموت عنده ، يعتبر دافعا حضاريا كبيرا ، فان « كوننا لا نحيا فقط ، بل اننا نعرف عن (أمور الحياة) ، هو نتيجة لوجودنا الجسدى ، فى عالم الضوء . لكن الحيوان يعرف الحياة فقط ، ولا يعرف الموت » . « ومن معرفتنا بالموت ، تتولد تلك النظرة الى العالم ، التى نمتلكها ، بوصفنا أناسا ، ولسنا بحيوانات ».(١٢) .

ويؤدى هذا (الاحساس) بالموت — عند الدكتور عماد الدين خليل — الى تحد للانسان ، يبعث « فيه التوتر الدائم ، والطموح

---

(٩) ول ديورانت : قصة الحضارة—الجزء الأول (نشأة الحضارة)— ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ ، ص ١١٧ .

(١٠) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر)— الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ ، ص ٣٣ .

(١١) أسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ٣٢٧ .

(١٢) اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثانى — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات، دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

الأبدى ، للتغب والتفوق والانتصار ، وتمنعه من أن يسلم نفسه ، للكسل والتراخى والاتكالية ، التى تقف على النقيض تماما ، مما يتطلبه التاريخ البشرى ، من حركة وفاعلية ، وردود مستمرة ، على التحديات القائمة » (١٣) •

وقد كانت هذه التصورات الدينية القديمة ، كما أحسها الناس ، وبلورها الكهنة ، هى الأساس الذى قامت عليه التصورات الفلسفية للانسان فيما بعد ، ثم قامت عليها — أخيرا — تجارب علم النفس الحديث ،لتحولها الى (نظرية نفسية) ، تفسر السلوك الانسانى ، تفسيرا قائما على التجريب •• لا على التحليق الفلسفى •

وكانت هـذه التصورات الفلسفية أو الدينية ، هى التى خلقت عدم الاتفـاق ، الذى لا يزال قائما ، على طبيعـة الانسـان ، وخلقت بالتالى اختلافات وصلت الى حد التناقض ، بين مجتمع وآخر ، فى تربية هـذا الانسان •

ولا تقف هـذه الاختلافات التى تصل الى حـد التناقض ، فى النظرة الى الانسان ، بين النظرتين الهندية والصينية القديمتين فقط ، حيث « الصينيون يعودون أطفالهم دخول معركة الحيـاة ، والهنود الخروج منها » — على حد تعبير أحمد فهمى القطان ، وحيث « يتعلم الصينى كيف يكسب ويتمتع ، والهندى كيف يسأل ويزهد » (١٤) — وذلك بناء على المثل العليا الدينية ، فى كل من الكونفوشيوسية (الصين) والبوذية (الهند) — بل انها تصل الى حـد ايجاد التناقض ، فى داخل المجتمع القديم الواحد ، كما نجد فى المجتمع الاغريقى ، حيث نجـد

---

(١٣) الدكتـور عمـاد الدين خليـل (مرجـع سـابق) ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ •

(١٤) أحمـد فهمى القطان بك : تاريخ التربية — الجـزء الأول (التربية قبل الاسلام) — مطبعة مدرسة طنطا الصناعية — ١٣٤٢هـ — ١٩٢٣م ، ص ٩٥ ■

اسبرطة ، تقف « على النقيض من أثينا تماما ، فى كل شىء » (١٥) .

وهذا الاختلاف ، الذى يمكن أن يصل الى حد التناقض ، فى النظرة الى الانسان ، وفى الاجراءات التربوية التى تتخذ لتشكيله بالتالى ، فى داخل المجتمع الواحد ، يمكن أن نراه حتى فى داخل الدين الواحد ، كما نرى فى المسيحية ، قبل الاصلاح الدينى سنة ١٥١٥ وبعده .

كان الانسان — قبل الاصلاح الدينى فى الغرب — وطوال العصور الوسطى الأوربية — كماسنرى فيما بعد — مجموعة من الشرور والآثام ، والنزعات والغرائز المدمرة ، ومن ثم قامت (فلسفة) تربية هذا الانسان ، على أساس (كبح جماح) الانسان ، وكبت غرائزه ، ومن ثم « رفض آباء الكنيسة ، تعليم الألعاب الرياضية والموسيقى والبلاغة والفلسفة المدنية » ، و « أنكروا قيمة التربية ، كاعداد للحياة العملية » ، و « حصروا المثل الأعلى للتربية الرومانية حتى ضاق ، ولم يشمل الا الدراسات الدينية ، والفنون الحرة » (١٦) السبعة ، التى تنقسم « الى زمرتين : الثالوث Trivium ، الذى يشمل النحو والخطابة والجدل ، والرابوع Quadrivium ، الذى يشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى » (١٧) — الا أن هذه المعلومات ، « كانت سطحية ومقتضبة » (١٨) ، فقد « كان النحو

---

(١٥) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ١١٨ .

(١٦) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة (دراسة تاريخية مقارنة) — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ ، ص ٣٥١ .

(١٧) الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ ، ص ٧٩ .

(١٨) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية — الطبعة الأولى — دار النهضة العربية — ١٩٦٢ ، ص ٣٩ .

فى أحسن مظاهره فيها ، هـو دراسـة الأدب ، فى أسـوأ مظاهره ، واستظهار القواعد الثقيلة الهضم » (١٩) — على حد تعبير أوليخ .

ولم يكن هناك من معاهد تعليمية طوال العصور الوسطى ، سوى الأديرة ، التى أصبحت « المدارس الوحيدة للتعليم ، وانفردت بالاعداد الفنى ، وأصبحت الجامعات الوحيدة للبحث وللنشر ولزيادة الكتب ، وكانت المكتبات الوحيدة لحفظ العـلم ، وانفردت وحـدها بتخريج طلبة العلم » (٢٠) .

وبعد الاصـلاح الدينى ، الذى تفجر فى الغرب لأسباب عدة ، من أبرزها الاسـلام وظهوره على الأرجح ، « وتحديه للمسيحية ، فى الشرق والغرب على السواء » ، كدين « يحتقر فلسـفة الالهيات المسيحية ، والمبادىء الأخلاقية المسيحية » (٢١) — على حـد تعبير ول ديورانت ، حيث يلاحظ أن « حركة الاصلاح الدينى ، التى قام بها (مارتن لوثر) ، تأثرت بمبادىء الاسلام ، فى مثل ابطال الكهنوتية ، وتحريم صكوك الغفران » (٢٢) ، ومن ثم يرى الدارسون أنها « كانت — على علاتها — أبرز مظهر للتأثر بالاسلام ، أو ببعض عقائده ، كما اعترف المؤرخـون » (٢٣) — بعـده تغيرت النظـرة المسيحية —

---

(19) ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A. Comparison in Historical Perspective; Harvard Uuiversity Press, Cambridge, Massachussetts, 1961, p. 16.

(٢٠) الدكتور بول منرو : الموجز ، فى تاريخ التربية — الجزء الأول — ترجمـة صالح عبد العـزيز — مراجعة حامد عبد القادر — الطبعـة الثانيـة — مكتبـة النهضة المصرية — ١٩٥٨ ، ص ٢٦١ .

(٢١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمـان) — ترجمـة محمد بدران — الادارة الثقافية، فى جامعة الدول العربيـة — لجنة التأليف والترجمـة والنشر — ١٩٥٦ ، ص ٣٦٣ .

(٢٢) الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : القـرآن ، وقضايا الانسان — الطبعة الأولى — دار العـلم للملايين — بيروت — ١٩٧٣ ، ص ١٠٥ .

(٢٣) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم ، بانحطاط المسلمين — الطبعة العاشرة — مطابع على بن على — الدوحة — قطـر — ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م ، ص ١٣٩ .

— البروتستانتية — الى الانسان ، متأثرة بالنظرة الاسلامية اليه على الأرجح ، ومن ثم تغيرت تربية ذلك الانسان ، بحيث يكون ذلك الانسان ، القادر على أن يعيش في الدنيا ، ويعمل لها ، فان « حركة الاصلاح الديني ، وخصوصا دعوة كالفن — الذى استمد البيوريتان عقائدهم الدينية منه — كان من نتائجها الاجتماعية — بغض النظر عن مغزاها الروحي — التقشف في الحياة الدنيا ، أى أن يروض المرء نفسه على أن يبذل في القيام بعمله أو مهنته ، قصارى جهده • والبروتستانتى ليس له من بابا أو كاهن ، يزوده بالارشادات الروحية ، ويحله من خطاياه — بل يجب عليه في النهاية ، أن يعتمد على ضميره وعلى ايمانه ، مما يشجع على ظهور نظام خاص ، يفرضه الرجل على نفسه » • « فالبروتستانتية اذن نقلت الحرص المتقشف على العمل الشاق » ، « من حياة الدير والتنسك ، التى كان هذا الحرص والتقشف يقتصر عليها من قبل ، الى شئون الحياة الاقتصادية الدنيوية • ومع أن الغاية الصريحة من حركة الاصلاح الديني ، كانت تتعلق بالحياة الأخرى ، لا بالحياة الدنيا ، الا أن الاستعداد النفسي الذى خلقته ، كان من نتائجه التى يحسب حسابها ، العمل على قلب أوضاع العمل الدنيوى » • « ولولا هذا الاستعداد ، والاقبال على الجهد غير المنقطع ، والمسلك العقلي ، باعتبارهما قيمتين أخلاقيتين بحد ذاتهما ، لما قامت الرأسمالية ، ولما قامت كذلك البيروقراطية المكتملة النضج ، لأنها هى أيضا تعتمد على المسلك العقلي » (٢٤) •

وقد تغيرت فلسفة تربية ذلك الانسان البروتستانتى ، لتناسبه هذا المنظور الجديد للانسان ، والمناقض للمنظور السابق (الكاثوليكى) اليه ، فصار ينظر الى التربية على « أنها تعد للحياة ،

---

(٢٤) بيتر م• بلاو : البيروقراطية في المجتمع الحديث — ترجمة اسماعيل الناظر ، ومعد كيالى — دار الثقافة — بيروت — ١٩٦١ ، ص ٥٢ ، ٥٣ •

وعلى أنها قد أصبحت ضرورة اجتماعية » (٢٥) ، ومن ثم خلقت حركة الاصلاح « جوا صالحا للتعليم ، اذ اقترنت النهضة فى كل مملكة من ممالك أوربا ، بفتح المدارس ، ونشر التعليم ، أى خلقت الأداة التى تساعد على نشر الفضيلة ، وتهذيب الناس ، بوسائل الدعوة والاقناع ، التى كثيرا ما تنجح ، حيث لا تنجح وسائل الارغام »(٢٦).

ومن ثم يجمع الدارسون على أن « تاريخ النظم التعليمية الحديثة ، يبدأ فى أوربا ، مع مطلع القرن السادس عشر » (٢٧) — أى مع الاصلاح الدينى ، وعلى أنه « الى حركة الاصلاح الدينى البروتستانتى ، تعود فكرة التربية الحرة Liberal Education التى تقوم على الاحساس الفردى ، والعقل الفردى ، ضد المذاهب الكنسية ، وضد تحكم الكنيسة » (٢٨) ، وعلى أنه الى الاصلاح الدينى ، تعود المدارس الثانوية الحديثة ، وتعود الاقتراحات العديدة ، بشأن « التعليم الأولى العام ، الذى لم يمكن الوصول اليه ، حتى القرن التاسع عشر ، تحت تأثير كل من الثورة الصناعية ، والحرية السياسية ، أو نشوء القومية ، أو تحت تأثيرها جميعا » (٢٩) .

ورغم هذا الاختلاف المسيحى التربوى ، بين الكاثوليكية والبروتستانتية ، الذى يصل الى حد التناقض ، نتيجة لاختلاف

(25) HUDSON, WILLIAM HENTRY : The Story of the Renaissance ; Goerge G. Harrap & Company, Ltd. London, 1928, p. 149.

(٢٦) محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون — المطبعة الأميرية ببولاق — القاهرة — ١٩٣٤ ، ص ٢٨ .

(27) ULICH, ROBERT ; Op. Cit., p. 52.

(28) TAYLOR, HAROLD and others : The Goals of Higher Education ; Harvard University Press, Cambridge. Massachussetts, 1960, p. 10.

(29) KANDEL, I. L. : Comparative Education ; Houghton Mifflin Company, Boston, 1933, p. XI.

المنظور بينهما الى الانسان ، فاننا لا يمكن أن ننسى أن (الجذور) التى تغذى عقيدتهما الدينية واحدة ، ونتيجة لهذه الجذور الواحدة ، نجـد منظـور البروتستانتية الى الانسان ، لم يختلف عن منظـور الكاثوليكية اليه ، وانما الذى اختلف ، هو (التعامل) مع هذا الانسان ٠ دليل ذلك ، أن علم النفس الحديث ، الذى ولد فى القرن المـاضى ، فى ظـل بيئة بروتستانتية ، قام منظـوره الى الانسان ــ على نحـو ما سنرى ــ على أساس نفس المنظـور الكاثوليكى اليه ، وسخرت معـامل علم النفس ، وجيوش علمـائه الجـرارة المتعاقبة ، لتثبت ــ بالتجربة المعملية ــ صحة المعطيات المسيحية الأساسية ، عن هـذا الانسان ، ساعدها فى أن تصل الى ما وصلت اليه ــ بطبيعة الحال ــ (الوسائل) المستخدمة ، فى هذه التجربة ، والتى تتلخص فى (التجربة المعملية) ، التى يجوز استخدامها بالنسبة لغير الانسان ، ولكنها عندما تستخدم بالنسـبة للانسـان ، فانها لابد أن تؤدى الى نتـائج غير صحيحة ، لأن الانسان ــ بطبعه ــ يستعصى على التجربة المعملية ٠

ومعروف أن علم النفس الحديث ، يقوم على أساس أن الانسان (أسير) عدد من الغـرائز Instinctives ، التى هى ــ عندهم ــ « قوى دافعة ، تعمل على المحافظة على الفرد والجماعة والنوع » (٣٠) ، وهدفها هو « خفض حالة التوتر لدى الكائن ، وتخليصه من حالة عدم التوازن » (٣١) ، الناتج من عدم اشـباع (حاجة) أساسـية من حاجات الانسـان البيولوجية ، حيث نجـد « الجهاز العصبى » « يأمر العضلات » (٣٢) ، فتتحرك ، وتثير قلقا واضطرابا ، حتى يتم اشباع هـذه الحاجة ، حيث يرى علم النفس الحديث ، أن « كيـان الانسـان البيولوجى ، هو الأساس ، الذى تقـوم عليه الشخصية

---

(٣٠) دكتور حامد عبد السلام زهران (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ ٠

(٣١) الدكتـور جابر عبد الحميـد جابر : سيكولوجية التعلم ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٧٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ ٠

(٣٢) الكسيس كاريل : الانسان ، ذلك المجهول ــ تعريب شـفيق أسعد فريد ــ مكتبة المعارف ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ، ص ١١٢ ٠

كلهـا » (٣٣) .

وقــد وجد فريق من المشتغلين بعلم النفس غضاضة فى استخدام لفظ (الغريزة) ، فى التعبير عن حاجة الانسان الأساسية ، واستجابته لهذه الحاجة ، لأنهم وجدوا أن الانسان « يتصرف ازاء هــذه الأمور (الحيوانية) ، بطريقــة (انسانية) » (٣٤) ، وأن « الغرائز توجــد بوضوح لدى الحيوان ، لكنها غير منظمــة ، أو غير موجودة ، لدى الانسان » ، أو أن « الغرائز موجودة عند الانسان والحيوانات العليا ، كما هى موجودة لدى الحيوانات الدنيا ، غير أنها تتميز عند الانسان والحيوانات العليا ، بالغايات التى تسعى اليها ، لا بنــوع الحركات والأفعال ، التى تتحقق بهــا هذه الغايات » (٣٥) .

ومن ثم آثر هــذا الفــريق ، أن يسمى (الغــرائز) بالنسبة للانســان ، اسما آخــر (انســانيا) ، هــو (دوافــع السلوك) Drives, Motives, Motivations ، وعرفوا الدافع ، بنفس التعريف الذى عرفوا به الغريزة ، فقالوا انه « هــو التغير ، الذى يطرأ على الكائن العضــوى ، فيدفعــه الى الحركة ، استجابة لمنبهات خارجية أو داخلية ، ولدت فيــه حالة من التوتر والتفكك » (٣٦) ، وقالوا ان دوافع السلوك الانسانى ، « انمــا هى دراســة للبواعث الداخلية ، المتوغلة جذورها فى أعماق الحالات الفسيولوجية والنفسية المتقلبة » ،

---

(33) CURTIS, JACK H. : Social Psychology ; McGraw-Hill Book Company Inc., New - York, 1960, p. 157.

(٣٤) دكتور عبد الغنى عبــود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الاسلام وتحــديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ ، ص ٤٣ .

(٣٥) دكتور أحمــد عزت راجح : أصول علم النفس — الطبعــة الخامســة — الدار القــومية ، للطبــاعة والنشر — ١٩٦٣ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣٦) دكتور صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيــل رزق : سيكولوجيــة الشخصية (دراســة الشخصية وفهمها) — مكتبــة الأنجلو المصرية — ١٩٦٨ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

« تبحث فى المصادر الباطنية ، المحركة لتصرفاتنا ، والمنابع الأصلية التى يتفجر منها سلوكنا » (٣٧) •

أى أن (حتمية) التصرف أو (بهيميته) ، لا زالت هى الأساس الذى يبنى عليه علماء النفس نظريتهم • فى تصرف الانسان •

بل ان مدرسة كبرى من مدارس علم النفس هى مدرسة اليهودى الصهيونى سجمند فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦ — ١٩٣٩) تلخص محركات السلوك الانسانى كلهـا ، فى دافع واحد ، أو غريزة واحدة ، هى الغريزة الجنسية ، وهى تقيم نظرتها تلك ، على أسـاس «الافتراض » بأن الانسان حيـوان بشرى ، وأن الذى يقرر سلوكه الى حـد كبير ، هو الأسـاس البيولوجى لتكوينه ، وطاقـة الجنس فى هـذه الغرائز ، أى الليبيـدو ، هى القوة الغالبة ، الطاقة الكبرى والمحركة للحيوان البشرى ، نحو النشاط والتحقيق ، فى كل ما يعرفه من وجوه النشاط ، وكل ما يمكن أن يصل اليه من ضروب التحقيق » — حتى تلك التى تتصل « بوجوه النشاط الفنى ، والاهتمامات الروحية ، والانشغالات الذهنية » ، وذلك عن طريق « هـذه العمليـة ، التى تعرف (بالتسامى) ، أو الاعلاء » (٣٨) •

أى أن الانسـان هابطا — أو حيوانا محضـا — هو محور تفكير علم النفس ، بمدارسه المختلفة ، عن الانسان ، ولم يكن غريبا ، أن معظم التجارب التى تمت فى الميدان ، تمت على الحيوان ، ثم عممت نتائجها ، لتشمل الانسان أيضا ، « نتيجة الدراسة المقارنة ، بين سلوك الحيوان والانسان • فمثل هـذه الدراسات » — فى نظـر علمـاء النفس — « تتيح لنا أن نفهم الانسان ، فهما أفضل » (٣٩) •

(٣٧) دكتـور مصطفى فهمى : سيكولوجية التعلم — الطبعة الثانية — مكتبـة مصر — ١٩٥٧ ، ص ١١٦ ، ١١٧ •

(٣٨) دكتـور صبرى جرجس : التراث اليهـودى الصـهيونى والفكر الفرويدى (أضـواء على فكر سجمند فرويد) — الطبعة الأولى — عالم الكتب — ١٩٧٠ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ •

(٣٩) الدكتور ابراهيم وجيـه محمـود : التعلم — عالم الكتب — ١٩٧١ ، ص ٤٢ •

واعتبار الانســـان (أســير) عدد من الغــرائز والشــهوات البيولوجية ، التى سعى علمــاء النفس المحدثون الى اثباتهــا بشتى الطرق والوسائل ، وعما توصلوا اليه ، أخــذنا نحن المسلمين ــ مثل هذا الاعتبار ، الذى لم ينبع من فراغ عندهم ، وانما هو نبع من الفكرة اليهودية / المسيحية ، عن الانسان ، كما نراها فى (الكتاب المقدس) بشقيه ، العهد القديم (كتاب اليهود المقــدس ، الذى يؤمن به ــ المسيحيون أيضا) ، والعهد الجديد (كتاب المسيحيين المقدس) ــ على نحــو ما سنرى •

ففى العهــد القديم ، نرى قصــة الخلق الأول للانسان ، ترد على هــذا النحو :

ــ « وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفــه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية • وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم ، الذى جبله • وأنبت الرب الاله من الأرض ، كل شجرة شهية للنظر ، وجيدة للأكل ، وشجرة الحيــاة ، فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ••• » (٤٠) •

ويتم سفر التكوين من العهد القديم ، قصة الانسان ، فيقول :

ــ « وأخذ الرب الاله آدم ، ووضعه فى جنــة عدن ، ليعلمها ويحفظها • وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنــة تأكل أكلا • وأما شجرة معرفة الخــير والشر ، فلا تأكل منهــا ، لأنك يوم تأكل منها ، موتا تموت • وقال الرب الاله : ليس جيدا أن يكون آدم وحــده ، فأصنع له معينا نظيره • وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها الى آدم ، ليرى ماذا يدعوها • وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية ، فهــو اسمها • فدعا آدم بأســماء جميع البهائم ، وطيور السماء ، وجميع حيوانات

---

(٤٠) العهد القديم : ســفر التــكوين ــ ١ : الاصــحاح الثانى : ٧ ــ ٩ •

البرية • وأما لنفسه ، فلم يجد معينا نظيره • فأوقع الرب الاله سباتا على آدم ، فنام • فأخـذ واحدة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحما • وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم ، امرأة ، وأحضرها الى آدم • فقال آدم : هـذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى • هـذه تدعى امرأة ، لأنها من امرىء أخذت • لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ، ويكونان جسـدا واحـدا • وكانا كلاهما عريانين : آدم وامرأته ، وهما لا يخجلان »[41] •

وبعد أن يقف الاصحاح الثانى من سفر التكوين عند خلق آدم وحواء ، وبقية المخلوقات ، لخدمتهما ، يتم الاصحاح الثالث المسيرة ، ليصف قصة خروج آدم من الجنة ، حيث خدعت الحية حواء ، فأكلت من الشجرة المحرمة ، ثم أطعمت آدم منها ، فاستحق آدم عقاب ربه ، واستحقته حواء ، واستحقته الحية ، على نحو ما يقول هذا الاصحاح الثالث ، ولنبدأ منه ، من حيث أجاب آدم على سؤال ربه له ، عما اذا كان قـد أكل من الشجرة :

— « فقال آدم : المـرأة التى جعلتهـا معى ، هى أعطتنى من الشجرة ، فأكلت • فقال الرب الاله للمـرأة : ما هـذا الذى فعلت ؟ فقالت المرأة : الحيـة غرتنى فأكلت • فقال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هـذا ، ملعـونة أنت من جميـع البهـائم ، ومن جميع وحوش البرية • على بطنـك تسـعين ، وترابا تأكلين ، كل أيام حيـاتك • وأضـع عداوة بينك وبين المـرأة ، وبين نسلك ونسلهـا • هو يسحق رأسـك ، وأنت تسحقين عقبـه • وقال للمرأة : تكثيرا أكثر أتعـاب حبلك • بالوجع تلدين أولادا ، والى رجلك ، يكون اشتياقك ، وهـو يسـود عليك • وقال لآدم : لأنك سـمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها : ملعونة الأرض بسببك • بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك • وشوكا وحسكا تنبت لك ، وتأكل

---

(٤١) المرجع السابق : سـفر التكوين — ١ : الاصـحاح الثانى : ١٥ — ٢٥ •

عشب الحقل • بعرق وجهك تأكل خبزا ، حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب ، والى تراب تعود » (٤٢) •

ولا نرى مجالا هنا ، لمناقشة هـذه الأفكار ، عن الخلق الأول للانسان ، وخلق حـواء ، وقصة خروجهما من الجنة ، وهبوطهما الى الأرض ، ولعن الأرض بسبب آدم وجريرته ، فذلك مبحث آخـر ، بعيد عن موضـوعنا ، ورأى الاسـلام فى كل تفصيلة من تفصيلاته معروف — وانما الذى يعنينا ، هو النظرة الزرية الى الانسان ، بسبب هـذا الخطأ الذى وقع فيه أبو الخلق آدم ، ولكن الله سبحانه — فى الفكر الاسلامى — قـد عفا عنه ، بمجرد استغفاره ، وهو ما سنشير اليه فى آخر الدراسة ، بعد توضيح أثر الفكرة اليهودية / المسيحية ، فى علم النفس الحديث ومدارسه •

وانما الذى يعنينا هنـا ، هـو تتمة القصة ، من الفكر الدينى المسيحى ، حتى تتضح بقية جوانب القضية المطروحة •

واذا كانت المسيحية قد جاءت الى بنى اسرائيل ، دون غيرهم ، كما يفهم من قول السيد المسيح لتلاميذه :

— « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لاتدخلوا ، بل اذهبـوا بالحرى الى خـراف بيت اسرائيل الضـالة » (٤٣) — فان من المنطقى ، أن تكون هـذه الفكرة المسيحية ، متممة للفكرة اليهودية ، أو مصححة لمسارها ، بعبـارة أصـح ، بعد أن اختل هـذا المسار « عقب فراغ طويل المدى ، من الجدب الدينى ، لبنى اسرائيل » (٤٤) ، أدى الى (تحجر) اليهـودية كدين ، واستحالتها « طقوسا جامدة ،

---

(٤٢) المرجع السابق : سفر التكوين — ١ : الاصـحاح الثالث : ١٢ — ١٩ •

(٤٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ٥ ، ٦ •

(٤٤) ابراهيم خليل احمد : محمـد ، فى التوراة والانجيل والقرآن — الطبعة الثالثة — مكتبـة الوعى العـربى ، ص ٨٠ •

لا حياة فيها ، ومظاهر خاوية ، لا روح فيها » (٤٥) — أو على حد تعبير السيد المسيح ذاته :

— « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل — فانى الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل » (٤٦) .

ومن ثم كان منطقيا أن تتم رحلة الانسان ، عبر المسيحية — التى لا نجد فى كتابها المقدس (الانجيل ، أو العهد الجديد) ، سوى اشارات محدودة ، الى (جوهر القصة) ، كتلك الاشارة التى يوردها يوحنا فى انجيله ، والتى يقول فيها :

— « لم يرسل الله ابنه الى العالم ، ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم » (٤٧) .

ويبدو أن (تربص) اليهود بالمسيحية والمسيح ، كان يقف وراء هذه الألفاظ الغامضة والمبهمة ، التى نراها فى مثل قول يوحنا السابق ، ولكننا نرى تفاصيل كثيرة ، أكثر وضوحا ، فى كتابات شراح المسيحية ومفسريها . ونرى فى هذه الكتابات ، أن بنى آدم قد ورثوا عن أبيهم آدم ، ما ارتكبه من خطيئة ، فان « الانسان الأول سقط فى عثرة العصيان ، وبسقوطه هذا ، أصبح واقعا تحت حكم الموت ، الذى أنذره به الله تعالى ، عندما وضعه فى جنة عدن ، وقضى به عليه » .

« ولما كان الشوك لا يثمر تينا ، فقد صار جميع نسل هذا

---

(٤٥) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ ، ص ٦ .

(٤٦) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الخامس : ١٧ ، ١٨ .

(٤٧) العهد الجديد : انجيل يوحنا — ٤ : الاصحاح الثالث : ١٧ .

الانسان الأول ، فاسـدا كفساده » (٤٨) ، حيث « نرى أن الخطيئة ، لم تقتصر على الأبوين اللذين عصيا ، بل انها امتدت بحكم التناسل ، من ذات الدم الموبوء بالخطيئة ، الى البشرية كلهـا » (٤٩) .

ثم تتم فصـول القصة ، فى الفكر الدينى المسيحى ، الذى يرى أن من صـفات الله تعـالى ، « رحمته المتناهية ، وعدله الكامل » ، « ولم يكن بد من الجمع بينهما ، بتقديم فدية ، ينال بهـا الانسان ، الصفح والغفـران ، ويستوفى بها العـدل الالهى حقـوقه كاملة » . و « لم تكن هناك فدية ما ، تتمم مطلوب العدل والرحمة ، الا الفدية من جانب الله نفسه ، لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس ، مقدسة بلا لوم ، وليس فى كائنات العالم بأسرها ، من هو طاهر وقدوس ، وبلا عيب ، سوى اللـه ، جل جلاله » .

« وهنا نشأت مشكلة أخرى ، هى أن الله لا جسد له ، يقـدمه فدية عن العالم ، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدا ، فبه يتحـد اللاهوت والناسوت ، وهـذا ما تم فى السيد المسيح ، باعتباره الله ، ظهر فى الجسد » (٥٠) .

ويؤكد الفكـر الدينى المسيحى ، أن ذلك لا يعنى بحـال من الأحوال ، تعدد الآلهة ، « فالمسيح كان دائما يؤكد على مبدأ الوحدانية ، وأنه ليس يوجد غير اله واحـد ، والمسيح ليس الهـا آخر .. انه والآب ، جوهر واحـد ، كيان واحد ، ذات الهية واحدة ... فالآب

---

(٤٨) الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعـة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ ، ص ١٥٨ .

(٤٩) سر التجسد — محاضرات وندوات للشباب الجامعى — رقـم (١٧) من مطبوعات (مكتبـة المحبـة) — اعداد كنيسـة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر (القـاهرة) — مكتبـة المحبة ، ص ٦ .

(٥٠) الايغـومانس ابراهيم لوقا (المرجـع الأسـبق) ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

والابن والروح القدس ، جوهر واحد ، غير منقسم » (٥١) .

ومن ثم يرى هـذا الفكر الدينى المسيحى ، أن أعجوبة الأعاجيب في السيد المسيح ، « هى أنه ، وهـو الاله الأزلى ، يولد كطفـل » «من عذراء» ، و « يتعلق بصدر امرأة » ، و « يرضع لبن الثديين»(٥٢)، وأنه « من نسل داود حسب الجسد ، وأما بأقنومه الالهى ، فهو أصل داود وخالقه » (٥٣) .

أى أن السيد المسيح — فيه — « اله (منذ الأزل) ، من طبيعة الآب ، وانسان (من وقت التجسد) من طبيعة أمه ، وهو بذا اله كامل ، وانسان كامل ، مساو للآب بحسب اللاهوت ، لأنه من الطبيعة عينها ، ودون الآب بحسب الناسـوت ، لأن الطبيعـة البشريـة ، دون الالهية » (٥٤) ، فهو « اله كامل ، وانسان كامل » (٥٥) .

ثم يزيد هـذا الفكر الدينى المسيحى القضية وضوحا ، حـين يرى ، أن أولئـك الذين « يطعنون فى ألوهية الرب يسوع ، وينكرون مساواته للآب ، انمـا قـد ابتعدوا عن النزاهة ، وحسن الطـوية ، وصـدق العقيدة » (٥٦) .

---

(٥١) الأنبا غريغوريوس : أنت المسيح ، ابن الله الحى — رقم (١٩) من سلسلة (المباحث اللاهوتيـة والعقائدية) — مطبعة دار العـالم العربى — فبراير ١٩٧٧ ، ص ٦ .

(٥٢) القمص ابراهيم جبرة : المولود من العـذراء — رقم (٢) من (المكتبة اللاهوتية) — مكتبـة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٧١ .

(٥٣) القمص ابراهيم جبرة : المولود من الآب — رقم (١) من (المكتبة اللاهوتيـة) — مكتبة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ٣٠ .

(٥٤) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب افنـدى سـعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيـل المسيحية بالمنـاخ بمصر — ١٩٢٥ ، ص ٢١٧ .

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٥٦) القمص ابراهيم جبرة : المولود من الآب (مرجع سـابق) ، ص ٨ .

وربما كان من المفيد أن نعود الى انجيل لوقا مرة ثانية ، لنرى حكم المسيح ذاته ، فى هذه القضية ، فيما ينسبه لوقا اليه :
— « أما أعدائى أولئك ، الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم الى هنا ، واذبحوهم قدامى » (٥٧) .

أى أن الفكرة الدينية المسيحية ، جاءت (لتؤكد) تلك الفكرة الدينية اليهودية ، المتصلة بالانسان ، وطبيعته ، وما ركب فيه من غرائز وشهوات وشرور ، ثم (لتفلسف) تلك الفكرة بعد ذلك ، وتضعها فى اطار جديد ، يناسب الواقع الذى كان موجودا ... ثم تعمل على نشرها ، بشتى الصور ، حتى لو استدعى الأمر ... (ذبح) من لا يعترف بها .

ومن أجل ذلك ، كان اعلانها الحرب على الغرائز والشهوات ، على نحو ما رأينا من قبل ، عند حديثنا عن التربية الكاثوليكية (٥٨) .

ومن ثم كان ادعاؤنا ، ان علم النفس ، الذى يقوم على (بهيمية) الانسان ، على هذا النحو ، وعلى وقوعه تماما ، (أسيرا) لمجموعة من الغرائز ، أو دوافع السلوك ، انما هو علم نفس مسيحى ، مثلما هو علم نفس يهودى ، أو هو — بعبارة أصح — علم نفس يهودى/مسيحى ، يعكس (الفكرة) اليهودية/المسيحية عن الانسان ، ولا يعبر عن سواها .

وقد يظن أن البروتستانتية ، التى أطلقت لهذه الغرائز والشهوات العقال ، مضادة للكاثوليكية ، اذ الواقع أن البروتستانتية ، لم تكن (ثورة) على الكاثوليكية ، بقدر ما كانت (ترشيدا) لها ، ولم تكن تغييرا فى (هدف) الكاثوليكية ، بقدر ما كانت تغييرا فى (الاستراتيجية) المتبعة ، لتحقيق الهدف الواحد ، الذى حدده لوقا فى الآية السابقة ، ونسبه الى السيد المسيح .

---

(٥٧) العهد الجديد : انجيل لوقا — ٣ : الاصحاح التاسع عشر : ٢٧ .

(٥٨) ارجع الى ص ١٢٦ من الكتاب .

ولذلك ، يلاحظ الدارسون ، الصلة العضوية ، بين البروتستانتية — أو بين الاصلاح الدينى ككل — وبين الحروب الصليبية وفشلها ، فقد «هزمت (الصليبية الغربية) شر هزيمة » ، « وانتصر المسلمون فى الحرب ، واستعادوا بيت المقدس ، واستردوا الولاية على الشام •• ولكن الصليبيين استفادوا من هزيمتهم » ، « فى دينهم ودنياهم » ، « بحركة الاصلاح الدينى ، » ، « تحت تأثير ما عرفوه عن الاسلام » ، « وتقدموا فى المعرفة ، وبدءوا فيهـا مراحل الابداع والاختراع ، وبخاصة فى العلوم الطبيعية •

ولكنهم مع ذلك ، لم ينسوا الهزيمة التى لحقتهم •• تحت راية الصليب ، ولم ينسوا أيضا ، أن المسلمين باسلامهم ، يكونون فى نظرهم، مجموعة من الملحدين ، وأن لهم خطرهم على الكنيسة ودينها » (٥٩) •

ومن ثم كانت وجهـة النظر ، التى ترى ، أن مارتن لوثر « كان بلا ريب ، يضع أمامه نسخة من القرآن الكريم » ، الذى « كان قـد نقـل الى اللغـة اللاتينية » ، « والا فمن أين يجب أن تكون قـد أتت ؟ » (٦٠) — على حد تعبير الدكتور عمـر فروخ •

أى أن البروتستانتية ، كانت أخذا بأساليب الاسلام ، للقضـاء على الاسلام ، تماما كما أخذ محمد على فى القرن المـاضى ، بأساليب الغرب ، للقضاء على نفوذ الغرب فى مصر ، وحمايتها منه ، وكما أخـذ البلاشفة فى الاتحاد السوفيتى بأساليب الحضـارة الغربية ، للقضاء على الغرب كله •

---

(٥٩) الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعـاصر (مشكلات الحكم والتوجيه) — الطبعة الثانية — دار الكتاب اللبنانى — ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م ، ص ١١ ، ١٢ .

(٦٠) الدكتور عمـر فروخ : « أثر الرسالة الاسلامية فى الحضـارة الانسانية » — **مجلة الأزهر** — مجلة شهرية جامعة ، تصدر عن مجمـع البحوث الاسلامية بالأزهر ، فى أول كل شهر عربى — الجـزء الأول — السنة الثانية والخمسون — محرم/صفر ١٤٠٠هـ — ديسمبر ٧٩ / يناير ١٩٨٠ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

وقد أحسن ول ديورانت تلخيص قصة المسيحية كلها ، بدءا من السيد المسيح ، وانتهـاء بالبروتستانتية ومارتن لوثر ، حين قال : « كانت البروتستانتية نصرا لبولس على بطرس ، وكان الاعتقاد بأن النجاة انما تكون بالايمان والعقيدة ، نصرا لبولس على المسيح » (٦١) •

ولم يبدأ بولس ينتصر على بطرس ، بنجاح الاصلاح الدينى ، بل ان هـذا النجاح قـد بدأت أماراته تظهر ، مع بدايات الحـروب الصليبية ، فى القرن الحادى عشر الميلادى ، كما نرى فى نزعة أبيلارد (١٠٧٩ — ١١٤٢م) العقليـة ، التى تعـد — عند ول ديورانت — « بداية للفلسـفة المدرسـية الرسـمية » (٦٢) ، التى ظهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، واستمرت بعده ، والتى « كانت مغامرة جريئة متهورة ، جرأة الشباب وتهوره ، وكان لهـا ما للشـباب ، من افراط فى الثقة ، واسراف فى الجدل » (٦٣) ، والتى كانت النزعة التجريبية التى مثلهـا روجـر بيكون (١٢١٤ — ١٢٩٤) فى نهـايات القـرن الثالث عشر الميلادى ، هى رد فعلها • وكانت هـذه النزعة أيضـا ، بفعل تأثير اسلامى واضـح ، اعترف به روجر بيكون نفسه ، فقـد « كان يعترف كذلك ، بمـا للعلوم والفلسفة الاسلامية ، من فضـل عليه ، وعلى العالم المسيحى كله ، وبما هو مدين به لليونان ، عن طريق العلماء المسلمين ، وأشار الى أن علماء اليونان والمسلمين (الكفرة) ، كانوا هم أيضا ، ممن تلقوا الوحى والهداية من الله » (٦٤) •

---

(٦١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثـالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمـة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربيـة — لجنـة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ ، ص ٢٧٠ •

(٦٢) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس ، من المجلد الرابع (١٧) (عصر الايمـان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمـة والنشر — ١٩٥٨ ، ص ١٠٠ •

(٦٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ •

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ •

ولقد كان القديس توماس الأكوينى (١٢٢٧ — ١٢٧٤) ، امام الحـركة المدرسية ، وفيلسوفها ، هو الذى ابتكر — فى نظر الفلاسفة — « تفسيرا جديدا لمذهب الفردية عند أرسطو ، وبذلك حول الغـزو الفكرى الاسلامى ، بحيث أجراه فى اتجاهات شخصانية ، وهكذا مهـد الطريق ، على غير قصد منه ، لحركة الاصلاح البروتستانتى » (٦٥) — أى مهده لانتصار بولس على بطرس ، على حـد قول ول ديورانت السـابق .

ومما يؤكد أن البروتستانتية كانت (ترشـيدا) للكاثوليكيـة ، فى حربها ضد الاسلام ، ولم تكن (ثورة) عليها ، كما يمكن أن يفهم من أحـداث التاريخ السطحية ، (تعاون) الكاثوليكية والبروتستانتية معا ، فى حركة التبشير ، ووقوفهما معا الى جانب اسرائيل ، برغـم العـداء التقليدى بين المسيحية كلهـا واليهـود (قتـلة الأنبياء ، على حد تعبيرها عنهم) — واتفاقهما معا على حرب الاسلام ، والقضاء على المسـلمين .

بل ان الوقائع المعـاصرة ، تدل على أن البروتسـتانت اليوم ، أكثر مناصرة لليهود ، ومحاربة للمسلمين ، من الكاثوليك ، بعد أن حمل البروتسـتانت الراية ، وقـد عاشت طـويلا ، يحتكر الكاثوليـك وحـدهم حملهـا .

ولم يكن غريبا ، أن ينمو علم النفس المعاصر ، فى حضانة العالم البروتستانتى ، ليؤكد — بالتجربة المعمليـة — والبروتستانت أقـدر عليهـا من الكاثوليك ، وأكثر تمرسا بها منهم — أن الانسـان وارث للخطيئة عن أبى الخلق آدم ، وأن هذه الخطيئة (أصيلة) فى تكوينه ، بحكم ما ركب فيه ، من غرائز وشهوات ، وان كان العالم البروتستانتى ،

---

(٦٥) رافت ت. فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » — **فلسـفة القـرن العشرين** — مجموعة مقالات ، فى المذاهب الفلسفية المعاصرة — نشرها : داجوبرت د. رونز — ترجمه عثمان نويه — راجعه : الدكتـور زكى نجيب محمود — رقم (٤٦٤) من (الألف كتاب) — مؤسسة سـجل العرب — ١٩٦٣ ، ص ١٠٣ .

الحريص على عداوته للاسلام بشكل سافر ، لا يعرف فيه المواربة أو الحياء أو الخجل ، يرى عكس ما يراه الكاثوليك ، من اطلاق الحرية لهذه الغرائز ، حتى تبتكر وتبدع ، ما يمكن القوم ، من فرض نفوذهم وسيطرتهم على العالم عامة ، والعالم الاسلامى خاصة ، تحقيقا لما سبق من قول لوقا ، منسوبا الى السيد المسيح (٦٦) •

ولم يكن غريبا ، أن يربط العلماء البروتستانت ، بين (الحرب والمدنية) ، ربطا يرونه (عضويا) ، فيربط برتراند رسل مثلا ، بين الاثنين ، على أساس أن « النشاط الحيوى نفسه ، الذى ينتج عنه كل ما هو خير ، تنتج عنه أيضا الحرب ، ومحبة الحرب » ، « فلقد كانت الامبراطورية الرومانية ، مسالمة وغير منتجة ، بينما كانت أثينا ، فى عهد بيركلس ، أكثر انتاجا ، كما كان أهلها أشد الناس نزوعا الى الحرب ، فى التاريخ تقريبا » (٦٧) • ولا يختلف أرنولد توينبى مع برتراند رسل ، فى وجهة النظر تلك ، بل انه يزيد عليها « أن الحرب ، ما هى الا وليد المدنية » (٦٨) — أى ما يفيد أن العلاقة بين الحرب والمدنية ، علاقة متبادلة ، وليست علاقة أحادية الطرف أو التأثير •

والنشاط الحيوى — عند برتراند رسل وغيره — هو كل ما أودعه الله فى الانسان ، من قوى ومواهب ••• أو على وجه التحديد : « الغريزة والعقل والروح » (٦٩) — على حد تعبيره •

أى أن الأساس الذى قام عليه (منظور) البروتستانتية الى الانسان ، هو هو المنظور الذى قام عليه منظور الكاثوليكية اليه —

---

(٦٦) ارجع الى ص ١٣٨ ، ١٣٩ من الكتاب •

(٦٧) برتراند رسل : نحو عالم أفضل — ترجمة ومراجعة درينى خشبة وعبد الكريم أحمد — رقم (٦٨) من (الألف كتاب) — العالمية للطبع والنشر ، ص ٧٧ •

(٦٨) أرنولد توينبى : الحرب والمدنية — ترجمه أحمد محمود سليمان — راجعه الدكتور محمد أنيس — رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) — دار النهضة العربية — ١٩٦٤ ، ص ٨ •

(٦٩) برتراند رسل (المرجع الأسبق) ، ص ١١٢ •

منظور الخطيئة الأولى المتوارثة — وهو نفس الأساس الذى قام عليه منظور علم النفس الحديث اليه — منظور الغرائز ودوافع السلوك ، المكبلة للفرد البشرى ، والمحطة به .

الا أن (الاستراتيجية) التى رأتها البروتستانتية ، حلا لقضية الانسان تلك ، كانت (الاستجابة) للغرائز ودوافع السلوك ، واشباعها ، لا التصدى لها ... بينما كانت الاستراتيجية التى رأتها الكاثوليكية ، حلا للقضية ، هى (كبت) هذه الدوافع والغرائز ، اعلاء لشأن الروح ، التى « تشتهى ضد الجسد » (٧٠) — على حد تعبير بولس الرسول ، فى رسالته الى أهل غلاطية .

ومما يلفت النظر ، أن المنظور اليهودى / المسيحى للقضية ، كما رأيناه من قبل ، فى الكاثوليكية والبروتستانتية ، هو هو المنظور الاشتراكى (الماركسى أو الشيوعى) الى القضية — قضية الانسان ، وان كانت الماركسية تميل الى الأخذ بالاستراتيجية الكاثوليكية ، وتنفر نفورا ، من الاستراتيجية البروتستانتية .

وليس ذلك غريبا ، فان الماركسية هى الابنة الشرعية للرأسمالية ، وقد ولدت فى حضن أمها — فى ألمانيا (البروتستانتية) على وجه الخصوص ، ولبيئة رأسمالية نسجت خيوطها ، وان لم تجد مجالا للتطبيق ، الا فى مجتمع اقطاعى ، أرثوذكسى ، هو المجتمع الروسى ، فى عهد القياصرة ، سنة ١٩١٧ — بطريقة صناعية ، هى (الثورة المسلحة) ، والسيطرة على الحكم ، وفرض النظام على البلاد ... بالقوة والارهاب .

واذا اعتبرت البروتستانتية رد فعل للكاثوليكية ، فجنحت فى استراتيجيتها للاتجاه المضاد — اتجاه اطلاق الغرائز ، فى مقابل كبتها

---

(٧٠) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية — ٩ : الاصحاح الخامس : ١٧ .

عند الكاثوليك ، فاننا يمكن أن نعتبر الشيوعية رد فعل للبروتستانتية ، ومن ثم جنحت فى استراتيجيتها للاتجـاه المضـاد ـ اتجـاه الكبت الكاثوليكى ، فى مقـابل الاطلاق البروتستانتى ، مع تذكر أن البعـد الاقتصادى فى الحياة الانسانية ، يكاد أن يكون هـو البعد الجوهرى لقضية الانسان ، عند الشيوعيين .

وقـد جاء علم النفس الحديث ، فأضفى على هـذا (المنظـور الدينى المسيحى) سمة (العلمية) ، باخضـاعه الانسان للتجريب ، وهـو ـ بطبيعته ـ يستعصى عليه ، من أجل (تلفيق) (نظـرية علم / نفسية) ، ظاهرها لسطحى النظرة علم ، قائم على التجـربة والحياد العلمى والموضوعية ، وباطنها هو هو باطن الحروب الصليبية ، بعد أن فشلت تلك الحروب ، فى أن تحقق أغراضها ، بقوة السلاح ... وهو افراغ العالم ، من أى مفهوم ... غير مسيحى ، خاصة اذا كان هـذا المفهوم ... مفهوما اسلاميا .

ثم جاء علمـاء النفس المسلمون ، ومن بينهم متدينون كثيرون ، غيورون على دينهم ، فابتلعوا الطعم ، ووقعوا فى الشرك ، أرادوا ذلك أم لم يريدوه ، وراحوا يرددون ما يقول به الغربيون فى هذا المجال ، ويتحمسـون له ، أكثر من تحمس الغـربيين أنفسـهم له ، مـع أن ما يرددونه ، ويتحمسون له ، يتعارض تعارضا تاما ، مع (معطيات) الاسلام عن الانسان ، فى القرآن الكريم ، وفى الحـديث الشريف ، وفى التراث الاسلامى الشامخ ، تعارضه مع واقع الحياة ذاتها ، كمـا يعيشها خلق الله ، فى أرض الله ، حتى ولو كانت هـذه الأرض ، أرضا مسيحية ،يعيش عليها مسيحيون ، لا يشاركهم فيها ، غير المسيحيين ، أو كانت أرض المعاد أو الميعاد (اليهودى) .. فى اسرائيل .

فما وقع فى جنة عدن ، من خطيئة آدم ، كان بعلم الله وبارادته ، ولحكمة أرادها سبحانه ، لصالح هذا الانسان ، ولتأكيد تكريم ربه له ، وتمييزه على بقية خلقه ، باستخلافه له فى الأرض :

— « واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ... الآيات » (٧١) .

لقد « كانت معرفة (الانسان بـ) الشيطان ، فاتحة التمييز بين الخير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز ، قبل أن يعرف الشيطان بصفاته وأعماله ، وضروب قدرته ، وخفايا مقاصده ونياته » (٧٢) .

واذا كان « الخير ، هو القدرة على الحسن ، مع القدرة على القبيح ، وهو الاختيار المطلوب ، بعد التمييز بين القبيح والحسن » ، فاننا نجد أنه « انما فضل آدم عليهم (أى على الملائكة) ، لأنه عرضة للخير والشر ، ولأنه مطالب بالخيرات ، وهو ممتحن بالشرور » — أى « لأنه عرضة للخير والشر ، ولأنه مطالب فتنة ، ولولا ذلك ، لما كان فضل على الملائكة ، ولا على الجان » (٧٣) .

ومن ثم فان الخطيئة الأولى ، التى يقوم عليها الفكر الدينى المسيحى كله ، وكذا الفكر العلم / نفسى ، اليهودى / المسيحى ، لا تشكل شيئا يذكر فى الفكر الدينى الاسلامى ، لأنها لا تعدو أن تكون مجرد (حلقة) من حلقات طويلة ، تشكل قصة خلق الانسان ، واستخلافه فى الأرض ، وقد محيت هذه الخطيئة ذاتها — فى الاسلام — بمجرد توبة الله سبحانه على آدم :

— « فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم » (٧٤) .

---

(٧١) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٢٩ .

(٧٢) عباس محمود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم) — الطبعة الخامسة — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ ، ص ٣ .

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٥ .

(٧٤) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٣٧ .

والخطيئة الموروثة ، المبنيـــة على الخطيئة الأم ــ بالتـــالى ــ لا وجود لهـــا ، فى الفكر الدينى الاسلامى ، حتى ولو لم تمح هــذه الخطيئة الأولى بالتوبة ، لأن الخطيئة عمل فردى ، يصيب صاحبه ، ولا يورثه الواقع فيها لأبنائه وأحفاده ، الذين لا ذنب لهم :

ــ « وابراهيم الذى وفى • ألا تزر وازرة وزر أخـــرى • وأن ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (٧٥) •

ومن ثم فكل انسان يولد على (الفطرة) ، على حد تعبير الحديث الشريف المعروف ، مستعدا للخير وللشر جميعا :

ــ « وهديناه النجـــدين » (٧٦) :

ــ « انا هديناه السبيل ، اما شاكرا واما كفورا » (٧٧) •

وهنا تأتى أهمية (الوسط التربوى) ، الذى يفرض الاســـلام ، أن يتوفر لأبنـــاء المسلمين ، فى الأسرة ، وفى الشارع ، وفى كل مرفق من مرافق المجتمع ، وفى كل حركة من حركات الحياة ، ويغـــدو الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، عملا تربويا رائعا ، يتعدى (مساندة) الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة ، الى (زرع) الفضيلة فى القلوب والنفوس ، حتى تصير (عادة) ، لا تكلف صاحبها جهـــدا ، فى التمسك بهـــا ، والمحافظة عليهـــا •

ووفق هـــذا (المنظور) الاسلامى الى قضية الانسان ، صيغت نظرية متكاملة (لعلم النفس الاســـلامى) ، ان صح تسميته بهـــذا الاسم ، فى الاســـلام ، وبنى على هـــذا المنظور ، بمعطياته العلم / نفسية ، نظـــام تربوى متكامل نمـــا مع الاسلام ، وواكب حركته ،

---

(٧٥) قرآن كريم : النجم ــ ٥٣ : ٣٧ ــ ٤١ •
(٧٦) قرآن كريم : البلد ــ ٩٠ : ١٠ •
(٧٧) قرآن كريم : الانســان ــ ٧٦ : ٣ •

وظل يعيش بيننا كنظـام ، حتى القرن السادس عشر الميلادى (عصر دولة المماليك) ، ثم هو يعيش اليوم فى القلوب حيـا ، لا ينقصه الا أن (يفلسف) ، ويترجم الى نظـام متكامل ، يؤتى من الثمـار ، مثل ما آتى ، فى عصور الاسلام المشرقة ... الأولى .

ويبـدأ هؤلاء المهتمون من المسلمين بقضـية الانسان ، بهـذا الانسان منـذ مولده ، فابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨ هـ) — يبدأ كتـابه (القانون) ، بقطع الحبل السرى للطفل (٧٨) ، متتبعا هـذا الطفـل لحظة بلحظة ، على مدى ليله ونهاره ، وناميا معه ، مهتما اهتماما خاصا بمرضعة الطفل : سنها (٧٩) ، وشكلها (٨٠) ، وأخلاقها (٨١) ، ناميا معه بعد ذلك ، فى كتابه (السياسة)أو (التدبير) — والسياسة تعنى عنده (سياسة الصبيان) ، أى تربيتهم ، وذلك فى سن السادسـة (٨٢) ، أى عندما « تشتد مفاصل الصبى ، ويستوى لسانه ، ويتهيأ للتلقين ، ويعى سمعه » (٨٣) .

ويرى هؤلاء العلماء المسلمون ، أن (نفس) الطفل فى هذه السن المبكرة ، تكون « ساذجة ، لم تنتقش بصـورة » (٨٤) ، وأنه لا تكون للأطفال فى هـذه المرحلة المبكرة ، « عزيمة تصرفهم عما يؤمرون به ، من المذاهب الجميلة ، والأفعال الحميدة ، فمن عود ابنه الأدب والأفعال

---

(٧٨) ابن سـينا (الشـيخ الرئيس ، ابو على ، الحسن بن على ، المتـوفى سنة ٤٢٨هـ) : القانون فى الطب — الجزء الأول — طبعة جديدة بالأوفست ، عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤ هـ — مؤسـسـة الحلبى وشركاه بمصر ، ص ١٥٠ .

(٧٩) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٨١) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٨٢) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٨٣) ابن سينا : كتاب التـدبير — نشره لويس معلوف فى مجلة **المشرق** — سنة ١٩٠٦ ، ص ١٠٧٤ .

(٨٤) ابن مسكويه (ابو على احمـد بن محمد) : تهذيب الأخـلاق ، وتطهير الأعراق — المطبعة الخيرية بمصر — ١٣٢٢هـ ، ص ٢٠ .

الحميدة والمذاهب الجميلة فى الصغر ، حاز بذلك الفضيلة ، ونال المحبة والكرامة ، وبلغ غاية السعادة » (٨٥) • وهى فكرة نراها متسقة تماما ، مع المنظور الاسلامى ، لقضية الانسان •

ولا تختلف (الطريقة) المستخدمة فى التربية الاسلامية ، عن هذا المنظور الاسلامى لقضية الانسان ، هى الأخرى ، بل انها مبنية عليه بالدرجة الأولى ، فهى لا تعتمد الضرب — أو العقاب المطلق ، كما تفعل الكاثوليكية ، ولا تعتمد التدليل المطلق ، كما تفعل البروتستانتية ، وانما هى تجمع بين (مزايا) النظامين من نظم الثواب والعقاب ، فابن مسكويه — على سبيل المثال — يرى أخذ الصبيان بآداب الشريعة لأنها « تعد نفوسهم لقبول الحكمة » ، « وعلى الوالدين أخذهم بها ، وبسائر الآداب الجميلة ، بضروب السياسات ، من الضرب ، اذا دعت اليه الحاجة ، أو التوبيخ ، أو الاطماع فى الكرامات أو غيرها ، مما يميلون اليه من الراحات ، أو يحذرونه من العقوبات ، حتى اذا تعودوا ذلك ، واستمروا عليه ، مدة من الزمان كثيرة ، أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا » (٨٦) •

ولا يقف أمر تجلية مثل هذه القضايا ، عند حد ابن سينا وابن الجزار وابن مسكويه ، بل اننى لا أكون مبالغا اذا ادعيت أن كل المفكرين المسلمين ، قد اهتموا بتجليتها ، وساهموا فى هذه التجلية ، لأنها قضايا تتصل بالانسان ، وعلى أساس وجهة نظر الاسلام فيها ، قامت النظرية التربوية الاسلامية ، وقامت التشريعات الاسلامية المختلفة ، التى (تنظم) حياة الانسان — فردا وجماعة •

---

(٨٥) ابن الجزار (ابو جعفر أحمد بن ابراهيم بن ابى خالد) (المتوفى سنة ٣٦٩هـ) : سياسة الصبيان وتدبيرهم — مخطوط ، نشرته: **حوليات الجامعة التونسية** — تصدرها الجامعة التونسية — تحقيق فرحات الدشراوى — العدد الثالث — المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية — ١٩٦٦ ، ص ٣١ •

(٨٦) ابن مسكويه (المرجع الأسبق) ، ص ١٣ •

ولقد أردت بما سبق ، الى مجرد ضرب المثل فقط ، عى أن هناك نظرية اسلامية فى علم النفس ، قامت عليها نظرية اسلامية فى التربية ، تماما كنظريات التربية وعلم النفس .. الكاثوليكية ، والبروتستانتية ، والشيوعية ، ولم أرد الى الخوض فى موضوع (التربية الاسلامية) ، التى خصصت لها الدعوة التالية والأخيرة ، من هذه الدعوات .

واذا كانت ظروف حياتنا فيما مضى ، قــد حالت بينناوبين الوقوف على مثل هــذه النظرية الاسلامية ، فى التربية وعلم النفس ، بسبب انشغالنا بالحضارة الغربية ، وما يرد الينا منهــا ، فى مختلف مجالات الحياة ، فان ظروف حياتنا اليوم ، مما يدفعنا الى أن نفسح مجالا لمثل هذه النظرية ، مدفوعين فى ذلك بالطريق المسدود ، الذى وصلت اليه نظريات التربية وعلم النفس فى الغرب ذاته ، حتى صــار الغربيون أنفسهم ، يبحثون عن (البديل) ، ومدفوعين أيضا بمــا هو أهم من ذلك ، وهو أننا — كعلميين — يجب أن نقف على (كل) وجهات النظر ، فلا نكتفى بوجهة نظر واحدة ، هى تلك التى ترد الينا من الغرب — وأننا — كمسلمين — لابد أن نقف على ما يقول به الاسلام ، خاصــة وأن الاسلام لا يقف مما يرد الينا من الخارج موقف الرفض دوما ، الا اذا ثبت أن هذا الوارد من الخارج ، يختلف مع حقيقته الأساسية ، أو يتناقض مع جوهر عقيدته .

وأنا أعلم تمام العلم، أن الطريق ليس بالطريق الممهــد ، المفروش بالورود والرياحين ، ولكنه طريق محفوف بالأخطار والأشواك ، التى تدمى الجسم والقلب أيضا ، ولكن : متى كان طريق العلم طريقا محفوفا بغير الأخطار والأشواك ؟

* * *

بدأ اتصالى عن قرب بعلم النفس ، منذ خمس سنوات تقريبا ، حينما رأيت أن أصــدر سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) (٨٧) ،

---

(٨٧) صــدر الكتاب الأول من هــذه السلسلة ، وهو (العقيــدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة) ، فى منتصف سنة ١٩٧٦ ، وكتابه الثالث عشر ، عن (اليهود واليهودية والاسلام) ، على وشك الصدور الآن .

وحينما فرض على (منهج) اصـدار السلسلة ، أن أخصص كتابها الرابع ، للحديث عن (الانسان) [٨٨] — حيث رأيت واجبا على ، أن أتعرض (لمختلف) وجهات النظر ، المتصلة بالانسان ، فى القديم والحديث ، مقارنة بوجهة نظر الاسلام فيه •

وعند وجهات النظر الحديثة ، وجدتنى مضطرا الى الوقوف على ما تقول به (مدارس) علم النفس المختلفة ، التي وجدت كلا منها يتناول الانسان ، من (زاوية) واحدة من زواياه فقط ، لا يعترف به الا من خلالها ، حتى « صـار علم النفس اليوم ، (جبهـات قتال) واسعة ، تحتل فيها كل مدرسة من مدارسه ، (موقعا) ، تصب منه (نيرانها) ، على بقية المدارس — أو المواقع » [٨٩] •

ومن ثم كانت دعوتى — فى الكتاب — الى (ثورة) فى علم النفس ، على أن تكون « هذه الثورة شاملة » [٩٠] •

وكانت لى بعد الكتاب ، لقاءات متعددة ، مـع زملاء وأصدقاء ، من المتخصصين فى علم النفس ، كانت وجهـات نظرهم ، تتفق مـع وجهـة نظرى •

* * *

بدأ علم النفس — كما سبق — بداية فلسفية ، « فهو علم قديم جـدا ، اذ أن له تاريخا يرجع الى بداية التفكير الفلسفى تقريبـا • فهناك شواهد ، تدل على أن الناس حتى فيما قبل التاريخ ، قد اعتقدوا معتقـدات تتعلق بأنفسهم وبمصـائرهم ، مما لا يمكن أن نلتمس له

---

(٨٨) عنوانه هو (الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر) ، وقد صـدر فى فبراير ١٩٧٨ •

(٨٩) دكتور عبد الغنى عبـود : الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٥٩ •

(٩٠) المرجع السابق ، ص ١٦٢ •

الا أصـــلا سيكلوجيا » (٩١) .

وكان منطقيا فى نشـــأة علم النفس تلك ، أن يكون متأثرا بالدين بالدرجة الأولى ، بوصف الدين فى المجتمعات القديمـــة ، كان هـــو (المحـــور) الذين تدور حوله الحياة ، ومنه تستمد معالمها ومقوماتها ، وبوصفه كان المحور ، الذى يدور حـــوله التفكير الفلسفى أيضـــا — فلم تكن الفلسفات القديمة « فلسفات ، بالمعنى الفلسفى الدقيق ، بقدر ما كانت ألوانا من الحكمـــة ، وضروبا من المبادىء والقواعد ، مما كان يتصل من قريب أو من بعيد ، بالدين والعقائد » (٩٢) .

وكان منطقيا — كذلك — أن نرى علم نفس بوذيا ، وعلم نفس كونفوشيوسيا ، وأن نرى علم نفس زرادشتيا .. وأن نرى علم نفس يهوديا ومسيحيا واسلاميا .

ومع الثورة الصناعية فى الغرب ، فى منتصف القرن الثامن عشر ، بدأ (المنهج التجريبى) يفرض نفسه على الحيـــاة فى الغرب ، بادئا بالعلوم الطبيعية ، ومنتقلا منها الى العلوم الانسانية . وكان أسبق هـــذه العلوم الانسانية ، (رضوخا) لهذا المنهج التجريبى .. علم النفس ، الذى «نما فى أواخر القرن التاسع عشر» ، « متأثرا بالفلسفة ، والفسيولوجيا التجريبية . أما نظرية الشخصية ، فتدين فى نشأتهـــا بالكثير ، للمهنة الطبية ، ولمقتضيات الممارسة الطبية » .

وقـــد « كان أصحاب نظريات الشخصية فى وقتهم من المتمردين فى الطب ، وفى العلم التجريبى ، ومن المتمردين على الأفكار التقليدية ،

---

(٩١) فرنسيس ايفلنج : علم النفس ، قديما وحديثا — ترجمة محمد عماد الدين اسماعيل ، وعطيـــة محمود هنـــا — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٤٩ ، ص ٥ .

(٩٢) رينيـــه ديكارت : مقال عن المنهج — ترجمـــة محمود محمـــد الخضيرى — الطبعة الثانية — راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى — من (روائع الفكر الانسانى) — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٦٨ ، ص ٣ ، ٤ (من التقديم ، للدكتور محمد مصطفى حلمى).

المتعارف عليها ، وعلى الممارسات المعتادة ، ومن المتمردين على المناهج النموذجية ، وعلى أساليب البحث المحترمة ، وأهم من ذلك كله ، كانوا من المتمردين على النظرية المعترف بها ، وعلى المشاكل المعيارية » (٩٣)٠

ومن ثم فقد اقتحم علماء النفس مجال التجريب حين اقتحموه ، متأثرين بفلسفات معينة ، أرادوا — من خلال التجريب — أن يثبتوها ، اذ أننا لا نستطيع أن نقول مع القائلين ، (بموضوعية) فى علم النفس ، أو فى غيره من العلوم ، لأنه « ليس هناك من ملاحظة مطلقة ، فكل ملاحظة موضوعية ، انما تنبنى عبر الذاتية » (٩٤) ، و « كل معرفة موضوعية ، انما هى بناء ، يتم عبر ذاتية الباحث » (٩٥) ٠

وكم كان الدكتور صبرى جرجس ، موفقا فى ابرازه لهذه الحقيقة ، فى دراسته لسجمند فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦—١٩٣٩ م) ، وهو صاحب مدرسة كبرى من مدارس علم النفس المعاصر ، حيث أثبت أنه رغم ادعائه أنه « كان ملحدا ، وأنه أعلن عن الحاده أكثر من مرة » ، فان الحاده « لم يكن الا الحادا ذهنيا ، لم يصل قط الى وجدانه ، ولم يغير شيئا من محتويات ذلك الوجدان واتجاهاته ٠ ولقد خرج على اليهودية ، كعقيدة بذهنه ، ولكنه ظل وفيا لها كأيديولوجية بوجدانه ، ومن ثم يصبح الحاده ، فى تعبير شويزى ، وهى محللة من خاصته ، الحادا زائفا ، لأنه تركه بعد ذلك ، متشبثا باليهودية الصهيونية ، وفيا لها ، سائرا فى طريقها ، منفذا لمخططاتها » (٩٦) ٠

---

(٩٣) كالفين هول ، وجاردنر ليندزى : نظريات الشخصية — ترجمة د٠ فرج أحمد فرج وآخرين — مراجعة د٠ لويس كامل مليكة — الطبعة الثانية — دار الشايع للنشر — القاهرة — الكويت — امستردام — ١٩٧٨ ، ص ١٦ ، ١٧ ٠

(٩٤) د٠ صلاح مخيمر : عن الذاتية والموضوعية ، فى علم النفس— مكتبة سعيد رأفت ، ص ٨٧ ٠

(٩٥) المرجع السابق ، ص ١٠٤ ٠

(٩٦) دكتور صبرى جرجس (مرجع سابق) ، ص ٢٢١ ٠

ومن ثم ، فمن خلال (التجريب) ، استطاعت (الفكرة الغربية) بأصولها اليهودية / المسيحية ، أن تشق طريقها الى الحياة في (ثوبها الجديد) .

واذا كانت (شهوات) الجسد ، هي التي دفعت بالانسان الى (الخطيئة الأولى) ، كما رأيناها في مطلع الدراسة ، وهي (المحور) الذي يدور حوله الفكر الديني ، اليهودي / المسيحي ، فقد كانت هذه (الشهوات) نفسها ، هي محور الدراسة ، في علم النفس المعاصر ، كما سبق أيضا ، وان اتخذت هذه الشهوات ، اسما جديدا ، يناسب العصر ، هي الغرائز ، أو دوافع السلوك ، حيث « انقسم الباحثون في علم النفس الى فريقين : فريق بحث مظاهر السلوك من زاوية الوراثة والفطرة ، والتكوين البيولوجي ، وفريق آخر بحث مظاهر السلوك من زاوية البيئة ، وأثرها في الكائن الحي » (٩٧) ، وحيث يرون « لكل من الوراثة والبيئة ، تأثيرها في تشكيل الفروق الفردية ، بين الأطفال » (٩٨) .

وهكذا بسط علم النفس الحديث ، قضية الانسان ، تبسيطا مخلا في مثير / استجابة ، وكأن الانسان يتصرف في حياته ، بطريقة آلية ميكانيكية .

ويرجع سكينر الى الأصل اللاتيني ، الذي اشتق منه المثير أو الحافز ، فيراه يعني « المهماز » (٩٩) .

---

(٩٧) الدكتور فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعي — الطبعة الأولى — دار الفكر العربي — ١٩٥٤ ، ص ١١٧ .

(98) DAVIS, ROBERT A. : Psychology of Learning ; Mc-Graw - Hill Book Company. Inc., New-York, 1935, p. 444.

(٩٩) ب. ف. سكينر : تكنولوجيا السلوك الانساني — ترجمة د. عبد القادر يوسف — مراجعة د. محمد رجا الديني — رقم (٣٢) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رمضان ١٤٠٠هـ — اغسطس (آب) ١٩٨٠ ، ص ١٩ .

ويعلق سكينر على هــذا التبسيط المخــل ، لقضية الانســان ، تعليقا فيه كثير من السخرية أيضا ، حيث يقول : « وعلى ضوء هذا العلم ، اعتبر السلوك كله بمثابة ردود أفعال ، على منبهات أو مثيرات • وقــد عبر أحــد الكتاب عن هــذا ، بما يلى : (اننا ننخس أو نجلد ، لنستمر فى الحيــاة) • لكن نمط المؤثر ورد الفعــل ، أو المنبه والاستجابة ، لم يكن مقنعــا قط ، ولم يحل المشكلة الرئيسية ، لأنه كان لابد من اختراع شىء ، أشبه بالانسان الداخلى ، ليحول المثير الى استجابة » •

وهكذا ، « تقدمنا بعد نبذ الانسان الداخلى ، ولكنه لم يغادر بلباقة ورقــة • انه يقوم بما يشبه عمل مؤخرة الجيش ، ولسوء الحظ ، أنه يستطيع أن يظفــر بدعم هائل • انه لا يزال شــخصية هامة ، فى العلوم السياسية ، وفى القانون والدين والاقتصاد والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا وعلم الطب النفسى وعلم الأخــلاق والتاريخ والتربية ورعاية الطفل واللغويات وفن العمارة وتخطيط المــدن ، وفى حيــاة الأسرة • ولهذه الميادين اختصاصيوها ، ولكل اختصاص نظرية ، وفى كل نظرية تقريبا ، نجد استقلالية الفرد ، أمرا بديهيا مسلما به »(١٠٠) •

وقد زاد فى خلل هذا التبسيط ، الذى حاول علم النفس الحديث ، أن يفسر به قضية الانسان ، أن علماء النفس اختلفوا فى تحديد (مكان) هــذا المثير ، فكان (تفتيت) الانسان ، وتفتيت النظرة اليه ، تفتيتا جعل « علم النفس فى أزمة » (١٠١) بالفعــل ، على حــد ما استهل به الدكتور جيمس ديز كتابه ، وعلى حــد ما اختار الدكتور سيد عثمان عنوانا للكتاب ، حينما ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية (١٠٢) ، فعبر

---

(١٠٠) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ •

(١٠١) الدكتور جيمس ديز : ازمة علم النفس المعاصر — ترجمــة وتقــديم وتعليق الدكتور سيد أحمــد عثمان — دار الفكر العــربى — ١٤٠١هـ — ١٩٨١م ، ص ١٧ •

(١٠٢) العنوان هو (أزمة علم النفس المعــاصر) ، كما يتضح من المرجع السابق •

بحق عن (روح) الكتاب ، أكثر مما استطاع المؤلف نفسه أن يعبر ، من خـلال العنوان الذى اختاره له (١٠٣) •

لقد أدى هـذا التفتيت — فى نظره — الى أن صـار « يمكن أن ينظر الى علم النفس ، على أنه حشـد متنافر ، من اجتهادات فكرية ، شديدة التباين والاختلاف • ومما لا شك فيه أن مشكلات علم النفس متنوعة جـدا ، الى الحد الذى يمكننا معه أن نتساءل بحق ، عما اذا كان هناك شيء يمثل علما واحدا ، اسـمه علم النفس ؟ » • « ويعبر الطلاب الذين يدرسـون مقررات علم النفس التمهيدية ، عن اهتمامهم وانشغالهم بهذا الأمر ، عندما تعلو شكواهم ، من أن مقرر علم النفس ، عبارة عن كومة من الأمشاج والأخلاط ، المتنافرة ، غير المتماسكة »(١٠٤)•

ثم زاد فى خلله أكثر عنـد سكينر ، أن المتخصصين فيه ، قـد استند كل منهم الى أساس تجريبى ، يدافع — به — ومن خلاله — عن (المنطقة) التى ينحاز لها ، فى داخل الكيان الانسانى ، بوصفها محركا للسلوك الانسـانى ، حيث يرى — أى سكينر — أن « تفسير عالم الشؤون الانسـانية المعقـد ، على أسس التحليل التجريبى ، كثيرا ما يكون مبسطا أكثر من اللازم » (١٠٥) •

واذ عرف علماء النفس المعاصرون الداء ، فقد راحوا يلتمسون له الدواء •

واذ انحصر الداء عندهم ، فى (تفتيت) النظرة الى الانسـان ، فان الدواء يكون فى النظرة الشمولية — أو الجشطلتية — اليه •

ومن هنـا ، اعادة الدكتور صـلاح مخيمر ، النظر فى فرويد ونظريته ، وقـد كان من أشد المتحمسين لها وله قبلا ، حيث يقول :

---

(١٠٣) العنوان الأصلى هو : (علم النفس كعلم وفن) .
Psychology as Science and Art.

(١٠٤) الدكتور جيمس ديز (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ .

(١٠٥) ب. ف. سكينر (مرجع سابق) ، ص ١٥٩ .

« نحن لا ننكر عظمة فرويد ، كعملاق أتاح لنا لأول مرة ، صروحا لنظرية تفسيرية ، تتيح لنا شيئا من الفهم والمعقولية ، أمام تعقد الوقائع ، بكثرتها وتناقضها ، كما لا ننكر أن صروحه التفسيرية هـذه ، ما تزال تنتصب بقيمه ، ان جاز القول ، فى مجال علم النفس ، بحيث لا تتعرض لأى منافسة حقيقية . ومع ذلك ، فلا ينبغى أن يكون فى هـذا كله ، ما يعمينا عن الثغرات العديدة ، التى تعج بهـا صروحه التفسيرية ، خاصة وأن فرويد نفسه ، قـد ظل الى آخر أيام حياته ، يعـدل من آرائه ونظرياته ، على النحو الذى يتضح فى موقفه من القلق » (١٠٦) .

ويفرق الدكتور صلاح مخيمر ، فى اعادة نظره تلك ، « بين العلم فى معناه الضيق الجزئى ، وبين العـلم فى معناه الفسيح . فالعـالم التجريبى ، والعالم الكلينيكى ، كلاهما ينطلق من (فرض) فى رأسه ، وعن طريق التجريب فى الحالة الأولى ، وعن طريق الدراسة الشـاملة المطوقة فى الحالة الثانية ، يصل الواحد والآخر ، الى تأييد فرضـه أو دحضه ، وذلك هو العلم بمعناه الضيق الجزئى ، الذى يتيح لنـا مجرد حقائقجزئية ، حتى وان تكن يقينية .

ولكن هـذه الحقائق اليقينية الجزئية ، تحتاج الى اعادة بنائها ، فى صـورة النظرية التفسيرية ، أو القانون الفهمى ، ان كان للعملية العلمية أن تكتمل ، وكان للعلم أن يكون ، الأمر الذى يستحيل البلوغ اليه ، دون النهج الجاليلى ، فى تناول الوقائع » (١٠٧) .

وعلى طريق هـذا (النهج الجاليلى ، فى تناول الوقائع) ، يصل الدكتور صلاح مخيمر ، الى (ما بعد) الحياة ، فيجد له تفسيرا معقولا ،

---

(١٠٦) دكتـور صلاح مخيمر : من الجنسية بغرائزها الجزئيـة ، الى العدوانية — الطبعة الأولى — مكتبـة الأنجلو المصرية — ١٩٨١ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(١٠٧) د. صلاح مخيمر : عن الذاتية والموضوعية ، فى علم النفس (مرجع سابق) ، ص ا ، ب (من المقدمة) .

يفسر به (الحيـاة) ذاتها ، حيث يرى أن « غرائز الموت والعـدم » سابقة على الحياة ، ولاحقة عليها فى الوقت نفسه . فليس وجود الفرد ، غير ومضة حياة ، بين ظلمة عدمين .

ولكن ، دون أن تتم مع ذلك ومضة الحياة هذه ، بمسارها القصير ، منفردة بالوجود ، فى تغيب لغرائز الموت والعدوانية ، فكل شىء يبدو ، وكأن غرائز الموت ، لا تتوقف عن غرائز الحيـاة ، توقع بهـا هزيمة تلو الهزيمة ، حتى تجهز عليها آخر الأمر ، فتبقى راية العدم ، تخفق بمفردها » (١٠٨) .

واذا كانت النظرة الجشطلتية الى (الانسان) ، عند عالم من علماء النفس ، كالدكتور صلاح مخيمر ، ترى الانسان (فى الزمان) وحـده ، مجرد (ومضة حياة ، بين ظلمة عدمين) ، فان هـذه النظرة ذاتها ، عند عالم آخر من علماء النفس ، كالدكتور سيد أحمد عثمان ، ترى هذا الانسان (شيئا آخر) ، لأنها تنظر اليه (فى الزمان والمكان) جميعا ، لا فى الزمان وحـده .

ومن ثم فان الانسان عنده ، لا يمكن أن يكون مجرد (ومضـة حياة ، بين ظلمة عدمين) ، وانما يمكن أن يكون (خليفة) لله فى الأرض ، ومن ثم فحياته لا تبدأ بمولده ، ولا تنتهى بموته ، وانمـا هى باقية خالدة ، فى الزمان والمكان ، على نحو من الأنحاء ، لا يعلمه الا اللـه سبحانه ، الذى استخلف هـذا الانسا. وحمله رسالة فيها ، ناءت بحملها السموات والأرض والجبال .

وبهذه النظرة (المـاورائية) الى الانسان ، التى جعلت حياته أرحب،وجعلت لهذه الحياة عنده قيمة — كان اعجاب الدكتور سيد أحمد عثمان بمنهج برهان الاسلام الزرنوجى ، لأنه رآه يقوم على « شمول

---

(١٠٨) د. صلاح مخيمر : فى التناقض الوجداني — الطبعة الأولى — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٨ ، ص ٦ ، ٧ .

التناول » (١٠٩) ، شمولا يربط الانسان بربه ، فيتمكن — من خلال هـذا الربط — من القيام بمهام الاستخلاف ، وتبعاته وأعبائه ، كما يخلق لديه دوافع للسلوك جديدة ، لم يجد لها نظيرا عند علماء النفس المعاصرين — الغربيى الفكر ، مثل « صدق التوكل » ، الذى « يؤدى الى توفير الجهد الانفعالى والعقلى ، بل والبدنى ، المبذول فى الاهتمامات والتعلقات المتفرقة ، ثم توجيه هذا الجهد ، وتركيزه فى العلم » (١١٠) — ومثل « الهمـة » ، التى « هى باعث على الحركة ، بل هى فى ذاتها حركة داخليـة ، تؤدى الى حركة خارجية ، أو سلوك يتميز بالاقبال والحماسة » (١١١) — ومثل « النية ، باعتبارها ظاهرة نفسية ، لها دورها فى كثير من مظاهر الحياة النفسية العقلية ، عند الانسان » ، وباعتبارها « لم تحتل مكانا بارزا ، فى الفكر الغربى الحديث فى علم النفس »(١١٢).

هـذه النظرة المـاورائية ، هى التى يفتقر اليهـا علم النفس الحديث ويفتقدها ، فيفتقد ذاته كعلم ، فى رأى الدكتور سيد أحمـد عثمان ، ومن ثم فقد رأى فى الدراسة ، صدى لمـا يعتمل فى نفســه ، وما عبر عنه فى تقديمه لترجمـة كتاب (أزمة علم النفس المعاصر) ، حيث يستهل هـذا التقـديم بقـوله : « التقيت بفكر مؤلف هـذا الكتـاب ، فى مرحلة كنت أقف فيهـا موقف المتـأمل ، من بعيد ، للمنهج العلمى فى البحث النفسى ، أعيد فيه النظر ، وأجيل الفكر ، وأحاول أن أستشف وحـدة فى الكثرة ، ونسقا فى التعـدد ، ونظاما فى التشتت ، أو كنت فى موقفى ذاك ، أجتهد ، لأستمع فى صفاء ، الى همس الحدس ، والهـام البصيرة ، فى أمور المنهج ، والبحث العلمى

---

(١٠٩) دكتـور سـيد احمد عثمان : التعلم ، عند برهان الاسلام الزرنوجى (المتوفى سنة ٥٩١هـ — ١١٩٥م) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٣٩ .

(١١٠) المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(١١١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(١١٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

فى علم النفس ، وما يتصل به » (١١٣) .

ولذلك فانه يرى أن الزرنوجى يتسم « بنظرة شاملة ، الى ذات المتعلم ، بل الى الذات الانسانية عامة ، تتميز بالاستقلال ، أى الدافعية الذاتية ، والحرية والمسئولية . والحق أن نظرته هـذه الى الذات ، مشتقة ومتسقة مع الاسلام ، وهو الاطار العقيدى الفكرى التربوى ، الذى نشـأ فيـه وتنفسـه وتمثله ، كيـان الزرنوجى ، العقلى والوجـدانى » (١١٤) .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن دراسة الزرنوجى ، الصادرة سنة ١٩٧٧ ، تقف فى مركز وسط ، بين (مشروع) لدراسة مستقلة ، عن (الشخصية المسلمة) ، صـدرت سنة ١٩٧٣ (١١٥) ، ودراسـة (متكاملة) عن هذه (الشخصية المسلمة) ، صدرت سنة ١٩٧٩ ، يرى فيها ، أن « الاسـلام بناء داخلى عقيدى ، وتعبير سلوكى خلقى . بل ان البناء الداخلى لا يصح ، الا اذا قام عليـه دليل من السلوك الخارجى ، فكما لا يصح الايمان ، الا اذا صدقته الجوارح ، لا يتم الايمان ، كما رأينا من قبل ، الا بحسن الخلق . أى لا يصح الداخل الذاتى ، الا بالخارج الاجتماعى » (١١٦) .

وما بين (مشروع الدراسة) ، والدراسة ذاتها ، يبدو أن الدكتور سيد كان مشغولا ، بما سماه فيما كتبه ، (ما وراء المنهج) ، فيرى

---

(١١٣) الدكتور جيمس ديز (مرجع سابق) ، ص ٥ (من : تقـديم المترجم : هـذا الكتاب ، ومشكلات ما وراء المنهج) .

(١١٤) دكتور سيد أحمـد عثمان : التعلم ، عند برهان الاسـلام الزرنوجى (المرجع الأسبق) ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(١١٥) الدكتور سيد أحمـد عثمان : « المسئوليـة الاجتماعية فى الاسلام ـ دراسة نفسية » — **الكتـاب السنوى ، فى التربيـة وعلم النفس** — بأقلام نخبـة من أساتذة التربية وعلم النفس — عالم الكتب — ١٩٧٣ .

(١١٦) الدكتور سـيد احمـد عثمان : المسئوليـة الاجتماعيـة ، والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية) — مكتبـة الأنجلو المصرية — ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م ، ص ١٣٤ .

— مرة — أن « العلم محتاج منا الى نظرة علمية ، نظرة علمية رحبة متسامحة متقبلة ، فمن الغريب أن تجد بين أهـل العلم ، من يضيق فهمه للعلم ، فيحصره فى تصور بعينه ، يجمد عنده ، ولا يحيد عنه ، بل ولا يسمح لأحـد سواه ، أن يمد بصره ، وراء ما يتصور هـو ، أنه حدود العلم . هذا من اللاعلمية فى العلم . ذلك أن العلم كثير ، ومتنوع ، ومتجدد فى المـاضى وفى الحاضر ، وليس ثمة ما يمنع أن نتوقع أن يكون كذلك ، متنوعا متجددا فى المستقبل » (١١٧) — ويرى — مرة أخرى — أن « أهل العلم » ، يتمكن من بعضهم « هـوى نزاع الى الفصل ، الى التفتيت والتجزىء ، الى التحليل والتصنيف ، الى البعثرة والتشتيت ، اتباعا منهم لوهم أن الجزء ، معزولا ومفصولا ، أيسر حصرا ، وأنصع معنى ، وأقرب فهما » ، « وليست الحياة كذلك ، وما ينبغى لها ، وللعلم ، أن تكون . انما العلم فى صحته ، هـو العلم الرابط بين المتقطع ، المقرب بين المتباعد ، الجامع بين المتفرق ، المؤلف بين المختلف » (١١٨) ، « أى أن اتجاه الباحث العلمى ، يجب أن يكون دائما ، اتجاها نحو الكل » (١١٩) .

ولكن : ما هو هـذا الكل ؟

لقد رأيناه مرة يعنى (الانسان كله) ، ومرة يعنى (الانسـان فى جماعة) ، حسب مدرسة علم النفس ، التى ترى هـذا (الكل) ، مخرجا لعلم النفس المعاصر ، من (أزمته) الراهنة ، فقد « سيطر

(١١٧) يوبولد ب. فان دالين : مناهـج البحث ، فى التربيـة وعلم النفس — ترجمـة دكتور محمد نبيل نوفل وآخـرين — مراجعة دكتـور سيد أحمد عثمان — الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٧ ، ص ط (من تقـديم الطبعة الثانية : لمحـة الى ما وراء المنهج ، للدكتور سـيد أحمـد عثمان) .

(١١٨) دكتور سيد أحمد عثمان : « من مشـكلات ما وراء المنهج : الفصلية والكلية » — **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** — بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس — المجلد السادس — دار الثقـافة للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٧٩ ، ص ٤٥ .

(١١٩) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

على الميدان ، نماذج للشخصية ، صاغهـا للقارىء العربى ، أصحاب التحليل النفسى ، أو أنصـار النظرية البسلوكية ، أو دعاة التفسـير المـاركسى للسلوك ... » (١٢٠) .

وليس هـذا ولا ذاك ، هو (الكل) الذى نعنيه ، وانمـا الكل الذى نعنيه ، هو ذلك الكل ، الذى يضع الانسان فى (اطاره) الصحيح ، كجزء من كون ، يتربع على عرشه ، رب الكون سبحانه ، الذى ألقى على الانسان يوم استخلفه ، أعباء ومسئوليات ، لم يكن ليقدر على أن يقوم بها ، غيره ... وحـده .

واذا كانت الحضارة الغربية المعاصرة ، التى ولدت لنا علم النفس المعاصر ، بمنظورها (المحدود) للانسان ، قـد خلقت لدى الانسان الأوربى « الاحسـاس بعـزلته ، عن باقى الكـون ، وشـعوره بالانسـلاخ » (١٢١) عنه ، وبالتـالى زرعت « نزعة الاغتراب عنـد الشخص » (١٢٢) ، « وان انتشار ظاهرة الانتحار ، والتمرد الجماعى ، والشذوذ الجنسى ، الآن فى أوربا ، لهو مظهر لاغتراب الشخصية عن المجتمع ، وحتى عن ذاتها » (١٢٣) — اذا كانت الحضارة الغربية ، قـد أدت بالغرب الى ذلك الطريق المسدود ، فان البديل ، لابد أن يكون هو ذلك (الكل) الذى نعنيه ، أو الكل ... كما يراه الاسلام .

وقـد بدأ الغرب ذاته ، يبحث عن هذا البديل ، كما يبدو ، فان « أوروبا فى عصرنا هـذا ، تزداد أخذا من فلسفة الشرق ، كما يزداد

---

(١٢٠) الدكتـور فؤاد ابو حطب : « الشـباب : ازمة التكيف والاغتراب » — **مؤتمر تربيـة الشباب** — كلية التربية جامعة عين شمس — من ٢/٢٨ الى ١٩٨١/٣/٢ — الأحد أول مارس ١٩٨١ ، ص ٩ .

(١٢١) كولن ويلسون : ما بعد اللامنتمى « فلسـفة المستقبل » — نقلها الى العربية : يوسف شرورو ، وعمـر يمـق ، الطبعـة الأولى — منشورات دار الآداب — بيروت — نيسان (ابريل) ١٩٦٥ ، ص ١٨٨ .

(١٢٢) دكتور محمـد أحمـد سـلامة : علم النفس الاجتماعى — الجزء الأول (حول النظرية) — مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا — ١٩٧٩ ، ص ٥١ .

(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

الشرق أخذا من علوم الغرب ، ويجوز أن تنشب حرب عالمية أخرى، فتفتح أبواب أوروبا (كما انفتحت اليونان ، عند تحطم امبراطورية الاسكندر ، وكما انفتحت روما عند سقوط الجمهورية الرومانية) ، بحيث تتدفق فيها فلسفات الشرق وعقائده ، فثورة الشرق على الغرب ، ثورة متزايدة ، وفقدان الأسواق الآسيوية ، التى كان من شأنها أن تقيم صناعة الغرب وازدهاره ، وضعف أوروبا ، لما يصيبها من فقر وانقسام وثورة ، كل ذلك قد يجعل من هذه القارة المنقسمة على بعضها ، غنيمة سهلة ، لديانة جديدة ، تجعل الناس يعقدون رجاءهم فى السماء ، ويفقدون الأمل فى الأرض » (١٢٤) •

واذا كان (البديل) كما يراه ول ديورانت وغيره من الفلاسفة والمفكرين ، هو البديل (السماوى) ، المضاد للواقع (الأرضى) ، الذى صار الغرب يعيشه •• فان الفرصة تكون سانحة لنا هنا ، أن نقدم للبشرية ، ذلك البديل الخالد ، الذى يجمع ما بين السماء والأرض معا — فى اطار — ألا وهو البديل الاسلامى •

غير أن الوصول الى هذا (البديل الاسلامى) •• شاق وصعب •

ذلك أن الذين سيقومون بتقديم هذا (البديل) ، قد أعدوا أساسا من الناحية العقلية ، فى اطار الواقع العلم / نفسى الحاضر ••• باطاره المادى / الغربى الصرف •

كما أن المنهج المستخدم فى علم النفس الحالى ، منهج يخدم الواقع العلم / نفسى المعاصر ، باطاره المادى / الغربى الصرف ، ولابد من منهج جديد ، يلائم هذا البديل ••• الاسلامى •

---

(١٢٤) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث (الهند وجيرانها) — ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٠ ، ص ٢٨١ .

وقد كان هذا المنهج الجديد بالذات ، موضع مناقشتين مطولتين ، بينى وبين الدكتور سيد أحمد عثمان بالذات ، كانت احداهما بعد صدور كتابه عن (الزرنوجى) سنة ١٩٧٧ ، وكانت الثانية بعد صدور كتابه عن (الشخصية المسلمة) سـنة ١٩٧٩ — وكنت فى المناقشتين ، أقفة من الدكتور سيد ، موقف طالب العلم المحب ، من صديقه الأستاذ ، الذى لا يجد فيه تلميذه ، الا ما يحبه فيه ، والذى لا يحول حبه له ، دون أن يصارحه بما فى قلبه .. ان وجد فى هذا القلب ، ما يستدعى المصـارحة .

وقد كانت ثمرة المناقشة الأولى فيما أعتقد ، ذلك التطور الذى حدث فى (الشخصية المسلمة) ، اذا ما قورن بالمحـاولة الأولى عن (الزرنوجى) ، أما ثمرة المناقشة الثانية ، فربما رأيناها فى الجهـد التالى له ، ان شـاء الله .

ولكن العبء رغم ذلك ، أكبر من جهد فرد ، حتى ولو كان هـذا الفرد ، طاقة هائلة مخلصة جادة ، كالدكتور سيد أحمد عثمان ، لأن هـذا العبء من الضخامة ، بحيث يحتـاج الى « أن يتوافر عليه ، العصبة أولو القوة » (١٢٥) — على حد تعبير الدكتور فؤاد أبو حطب ، الذى بدأ يفكر — جديا — فى أن يقتحم المجال ، مع الدكتور سيد ، وقدم بعض العمل فيه ، ولكنه عودنا أن يكون متأنيا فيما يتخـذ من خطوات ، حتى اذا وجـد نفسه مستعدا ، اقتحمه بعزيمة واقتدار ، يشهد له بهما .. الجميع .

ان العبء يجب أن يساهم فيه الجميع ، والمسيرة يجب أن يدفع عجلتها الجميع .

ولكن : كيف ؟

---

(١٢٥) الدكتور فؤاد ابو حطب (مرجع سابق) ، ص ٩ .

والاجـــابة ليست عنـــدى ، لأنى لست من المتخصصين فى علم النفس ، وان كنت من المتصلين به ، بحكم تخصصى فى التربية ، وبحكم اتصالى اتصال حب ، بكثير من العاملين فيه •

بل لعلى لا أبالغ ، اذا أنا ادعيت ، أن الاجابة على مثل هـــذا السؤال ، ليست متاحة الآن ، عند المهتمين بالمعالجة الاســـلامية لعلم النفس ، لأنهم يهتمون بهذه المعالجة كأفراد ، والأعباء الكبيرة ، لا يقدر على حملها الأفراد ، مهما كانوا كبارا •• وانما هى دوما تحتاج الى •• جهـــد الفريق •

ولكنه جهد واجب ، تفرضه أستاذية الأستاذ فى مصر والعـــالم العربى ، بعد أن صرنا ، « من جراء ذلك الجهل فى التقليد ، وهـــذا الاغراق فى النقـــل ، أصبح عند كثيرين منا منهج غربى فى التـــأليف ، مشوه حينـــا ، أو مستعبد حينـــا آخر » [١٢٦] — على حـــد تعبير الدكتور عمـــر فروخ •

---

(١٢٦) عمـــر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليـــله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطبـــاعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م ، ص ٢٦١ •

مراجع الدراسة

أولا : المراجع العربية :

١ — القمص ابراهيم جبرة : المولود من الآب — رقم (١) من (المكتبة اللاهوتية) — مكتبة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ .

٢ — القمص ابراهيم جبرة : المولود من العذراء — رقم (٢) من (المكتبة اللاهوتية) — مكتبة المحبة بالقاهرة — ١٩٧٥ .

٣ — ابراهيم خليل احمد : محمد ، فى التوراة والانجيل والقرآن — الطبعة الثالثة — مكتبة الوعى العربى (بدون تاريخ) .

٤ — الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ .

٥ — الدكتور ابراهيم وجيه محمود : التعلم — عالم الكتب — ١٩٧١ .

٦ — ابن الجزار (أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد) (المتوفى ٣٦٩هـ) : سياسة الصبيان وتدبيرهم — مخطوط ، نشرته : **حوليات الجامعة التونسية** — تصدرها الجامعة التونسية — تحقيق فرحات الدشراوى — العدد الثالث — المطبعة الرسمية ، للجمهورية التونسية — ١٩٦٦ .

٧ — ابن سينا (الشيخ الرئيس ، أبو على ، الحسن بن على ، المتوفى سنة ٤٢٨هـ) : القانون فى الطب — الجزء الأول — طبعة جديدة بالأوفست ، عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ — مؤسسة الحلبى وشركاه بمصر (بدون تاريخ).

٨ — ابن سينا : كتاب التدبير — نشره لويس معلوف ، فى مجلة : **المشرق** — سنة ١٩٠٦ .

٩ — ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) : تهذيب الأخلاق ، وتطهير الأعراق — المطبعة الخيرية بمصر — ١٣٢٢هـ .

١٠ — أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم ، بانحطاط المسلمين — الطبعة العاشرة — مطابع على بن على — الدوحة — قطر — ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م .

١١ — الدكتور احمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين — دار الشروق — ١٩٧٥ .

١٢ — دكتور احمد عزت راجح : اصول علم النفس — الطبعة الخامسة — الدار القومية ، للطباعة والنشر — ١٩٦٣ .

١٣ — أحمد فهمى القطان بك : تاريخ التربية — الجزء الأول (التربية قبل الاسلام) — مطبعة مدرسة طنطا الصناعية — ١٣٤٢هـ — ١٩٢٣م .

١٤ — ارنولد توينبى : الحروب والمدنية — ترجمه أحمد محمود سليمان — راجعه الدكتور محمد أنيس — رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) — دار النهضة العربية — ١٩٦٤ .

١٥ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثانى — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

١٦ — اسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة احمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

١٧ — العهد الجديد .

١٨ — العهد القديم .

١٩ — الكسيس كاريل : الانسان ، ذلك المجهول — تعريب شفيق أسعد فريد — مكتبة المعارف — بيروت — ١٩٧٤ .

٢٠ — المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م .

٢١ — ب. ف. سكينر : تكنولوجيا السلوك الانسانى — ترجمة د. عبد القادر يوسف — مراجعة د. محمد رجا الدرينى — رقم (٣٢) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رمضان ١٤٠٠هـ — اغسطس (آب) ١٩٨٠م .

٢٢ — برتراند رسل : نحو عالم افضل — ترجمة ومراجعة درينى خشبة ، وعبد الكريم أحمد — رقم (٦٨) من (الألف كتاب) — العالمية للطبع والنشر (بدون تاريخ) .

٢٣ — الدكتور بول منرو : الموجز ، فى تاريخ التربية — الجزء الأول — ترجمة صالح عبد العزيز — مراجعة حامد عبد القادر — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٨ .

٢٤ — بيتر م. بلاو : البيروقراطية ، فى المجتمع الحديث — ترجمة اسماعيل الناظر ، ومعد كيالى — دار الثقافة — بيروت — ١٩٦١ .

٢٥ — الدكتور جابر عبد الحميد جابر : سيكولوجية التعلم — دار النهضة العربية — ١٩٧٢ .

٢٦ — الدكتور جيمس ديز : ازمة علم النفس المعاصر — ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور سيد أحمد عثمان — دار الفكر العربى — ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

٢٧ — دكتور حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعى — عالم الكتب — ١٩٧٢ .

٢٨ — ديوبولد ب. فان دالين : مناهج البحث ، فى التربية وعلم النفس — ترجمة دكتور محمد نبيل نوفل وآخرين — مراجعة دكتور سيد أحمد عثمان — الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية — ١٩٧٧ .

٢٩ — رالف ت. فلوولنج : « الفلسفة الشخصانية » — **فلسفة القرن العشرين** — مجموعة مقالات ، فى المذاهب الفلسفية المعاصرة — نشرها : داجوبرت د. رونز — ترجمه عثمان نويه — راجعه : الدكتور زكى نجيب محمود — رقم (٤٦٤) من (الألف كتاب) — مؤسسة سجل العرب — ١٩٦٣ .

٣٠ — رينيه ديكارت : مقال عن المنهج — ترجمة محمود محمد الخضيرى — الطبعة الثانية — راجعها وقدم لها : الدكتور محمد مصطفى حلمى — من (روائع الفكر الانسانى) — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٦٨ .

٣١ ـ سر التجسد ـ محاضرات وندوات للشباب الجامعى ـ رقم (١٧) من مطبوعات (مكتبة المحبة) ـ اعداد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر (القاهرة) ـ مكتبة المحبة (بدون تاريخ) .

٣٢ ـ دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية ـ الطبعة الأولى ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣ .

٣٣ ـ دكتور سيد احمد عثمان : التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجى (المتوفى سنة ٥٩١هـ ـ ١١٩٥م) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

٣٤ ـ الدكتور سيد احمد عثمان : « المسئولية الاجتماعية فى الاسلام ـ دراسة نفسية » ـ **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** ـ باقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٣ .

٣٥ ـ الدكتور سيد احمد عثمان : المسئولية الاجتماعية ، والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٣٦ ـ دكتور سيد احمد عثمان : « من مشكلات ما وراء المنهج : الفصلية والكلية » ـ **الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس** ـ باقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ المجلد السادس ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ـ ١٩٧٩ .

٣٧ ـ سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة دار الكتاب العربى ـ ١٩٥٢ .

٣٨ ـ دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ، والفكر الفرويدى (أضواء على فكر سجمند فرويد) ـ الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٠ .

٣٩ ـ د. صلاح مخيمر : عن الذاتية والموضوعية ، فى علم النفس ـ مكتبة سعيد رأفت (بدون تاريخ) .

٤٠ ـ د. صلاح مخيمر : فى التناقض الوجدانى ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٨ .

٤١ — دكتـور صـلاح مخيمر : من الجنسية بغـرائزها ، الى العدوانية — الطبعة الأولى — مكتبـة الأنجلو المصرية — ١٩٨١ .

٤٢ — دكتـور صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق : سيكولوجية الشخصية (دراسة الشخصية وفهمها) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٨ .

٤٣ — الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : القـرآن وقضايا الانسـان — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٧٣ .

٤٤ — عباس محمود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التـاريخ ، الى اليوم) — الطبعة الخامسة — دار نهضة مصر ، للطبـع والنشر — ١٩٧٤ .

٤٥ — عباس محمود العقاد : الفلسفة القـرآنية — دار الاسـلام بالقـاهرة — ١٩٧٣ .

٤٦ — دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتـور عبد الغنى عبـود : نحـو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ .

٤٧ — دكتور عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسـلام ، والانسان المعـاصر — الكتاب الرابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٨ .

٤٨ — دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربيـة (مدخـل لدراسة التربية المقارنة) — الطبعـة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

٤٩ — دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعـاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسـلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ .

٥٠ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٥١ — الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربية — من منشورات كليـة التربية ، بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ .

٥٢ — الدكتور عماد الدين خليل : التفسير الاسـلامى للتاريخ — الطبعـة الأولى — دار العـلم للملايين — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ .

٥٣ — الدكتـور عمـر فروخ : « أثر الرسالة الاسـلامية ، فى الحضارة الانسانيـة » — **مجلة الأزهر** — مجلة شـهرية جامعة ، تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، فى اول كل شهر عربى — **الجزء** الأول — السـنة الثانيـة والخمسـون — محرم/صفر ١٤٠٠هـ — ديسمبر ٧٩/ ينـاير ١٩٨٠م .

٥٤ — عمـر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليـله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعـة الأولى — دار البـاحث ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م .

٥٥ — الأنبا غريغوريوس : أنت المسيح ، ابن الله الحى — رقم (١٩) من سلسلة (المباحث اللاهوتيـة والعقائدية) — مطبعـة دار العـالم العربى — فبراير ١٩٧٧ .

٥٦ — فرنسيس ايفلنج : علم النفس ، قديما وحديثا — ترجمـة محمد عمـاد الدين اسماعيل ، وعطية محمود هنا — الطبعة الأولى — مكتبـة النهضة المصرية — ١٩٤٩ .

٥٧ — الدكتـور فؤاد ابو حطب : « الشـباب : أزمة التكيف والاغتراب » — **مؤتمر تربيـة الشباب** — كليـة التربيـة جامعـة عين شـمس — من ٢/٢٨/ الى ١٩٨١/٣/٢ — الأحد اول مارس ١٩٨١ .

٥٨ — الدكتور فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٥٤ .

٥٩ — كالفين هول ، وجاردنر ليندزى : نظـريات الشـخصية — ترجمة د. فرج أحمد فرج وآخرين — مراجعة د. لويس كامل مليكة — الطبعة الثانية — دار الشايع للنشر — القاهرة — الكويت — امستردام — ١٩٧٨ .

٦٠ — كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تاليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب افنـدى سعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر — ١٩٢٥ .

٦١ — كولن ويلسون : ما بعد اللامنتمى « فلسفة المستقبل » — نقلها الى العربية : يوسف شرورو ، وعمر يمق — الطبعة الأولى — منشورات دار الآداب — نيسان (ابريل) ١٩٦٥ .

٦٢ — دكتور محمد احمد سلامة : علم النفس الاجتماعى — الجزء الأول (حول النظرية) — مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا — ١٩٧٩ .

٦٣ — الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر (مشكلات الحكم والتوجيه) — الطبعة الثانية — دار الكتاب اللبنانى — ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

٦٤ — محمد قاسم ، وحسين حسنى : تاريخ أوربا الحديثة ، من عهد النهضة الأوربية ، الى نهاية عهد الثورة الفرنسية ونابليون — المطبعة الأميرية ببولاق — القاهرة — ١٩٣٤ .

٦٥ — دكتور مصطفى فهمى : سيكولوجية التعلم — الطبعة الثانية — مكتبة مصر — ١٩٥٧ .

٦٦ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول (نشأة الحضارة) — ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ .

٦٧ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث (الهند وجيرانها) — ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٠ .

٦٨ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، او الحضارة الرومانية) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ .

٦٩ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ .

٧٠ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء السادس ، من المجلد الرابع (١٧) (عصر الايمان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٨ .

٧١ — الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : الثقافة والتربية ، فى العصور القديمة (دراسة تاريخية مقارنة) — دراسات فى التربية — دار المعارف بمصر — ١٩٦١ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1 — CURTIS, JACK H. : Social Psychology ; McGraw-Hill Book Company, Inc., New-York, 1960.

2 — DAVIS, ROBERT A. : Psychology of Learning ; Mc Graw-Hill Book Company, Inc., New-York, 1935.

3 — DRESSEL, PAUL L. : «The Meaning and Significance of Integration» — The INTEGRATION OF EDUCATIONAL EXPERIENCES, The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education ; Chicago, Illinois, 1958.

4 — FOWLER, H.W. and FOWLER, F.G. (Edited by) : The Concise Oxford Dictionary, of Current English, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959.

5 — HUDSON, WILLIAM HENRY : The Story of the Renaissance ; Goerge G. Harrp & Company, Ltd., London, 1928.

6 — **KANDEL, I.L.** : Comparative Education ; Houghton Mifflin Company, Boston, 1933.

7 — **TAYLOR, HAROLD and others** : The Goals of Higher Education ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1960.

8 — **ULICH, ROBERT : The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective** ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961.

الفصل الخامس

التربية الإسلامية ، ومدرستها العلمية المفتقدة

(دعوة موجهة الى علمـــاء التربية المسلمين)

الذى يتتبع الكتابات الاسلامية المعاصرة ، التى تدور حول (أحوال) المسلمين اليوم ، وتحاول أن (تطل) على المستقبل ، من خلال تتبع هذه الأحوال ، لا يسعه الا أن يدرك بسهولة ويسر ، أن من كتبوها ، اما مفرطون فى التفاؤل ، واما مفرطون فى التشاؤم ، واما متخذون موقفا (وسطا) ، بين الموقفين المتناقضين السابقين ، سواء مالوا فى هذا الموقف الوسط الى التوسط الحق فيه ، أو جنحوا قليلا نحو موقف من الموقفين المتطرفين أو آخر •

ولا يسع المتتبع لهذه الكتابات أيضا الا أن يدرك بسهولة ويسر ، أن للمفرطين فى تفاؤلهم منطقهم فى هذا الافراط ، الذى لا يمكن تغافل وجاهته ، وأن للمفرطين فى تشاؤمهم ، منطقهم أيضا فى هذا الافراط ، الذى لا يمكن انكار وجاهته ، وأن لأصحاب المنطق الوسط منطقهم ، الذى لا يقل عن منطق المفرطين فى التفاؤل أو التشاؤم وجاهة •

على أن قليلا من التأمل والتدبر ، لأحوال المسلمين اليوم ، مع ربط هذه الأحوال المعاصرة ، بأحوال المسلمين السابقين ، فى فترات التاريخ السابقة ، ابتداء من اليوم الأول للدعوة الى الله على أرض مكة ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، لابد أن يجعل هذا المتأمل ، يوقن بأن ما يحدث اليوم ، قد حدث قبل اليوم ، بصورة تكاد أن تكون متكررة فى الأحداث ، وإن تغيرت (الشخوص) ، التى تحرك هذه الأحداث ، أو تتحرك معها •

ومن ثم فأحوال المسلمين اليوم ، هى هى أحوالهم بالأمس ، ليس فيها من جديد على مسرح الأحداث ، سوى تغييرات محدودة فى خلفية المسرح ، تناسب الحياة ، فى النصف الثانى من القرن العشرين — مسرح المسلمين اليوم •

وما حدث بالأمس ، وما يحدث اليوم ، انما (فصله) الاسلام ذاته تفصيلا فى كتابه الكريم ، وترجمته السيرة النبوية المطهرة ذاتها ،

واقعا حيا ، على مسرح الأحداث . فكما كان فى التاريخ الأول للاسلام ، غزوة بدر ، بايجابياتها ، كان فيه غزوة أحد بسلبياتها ، ولم تكن استفادة المسلمين بأحد ، برغم سلبياتها ، بأقل من استفادتهم ببدر وايجابياتها ، بل اننى لا أبالغ اذا أنا ادعيت ، أن الدروس المستفادة من أحد ، كانت أعظم بكثير ، من الدروس المستفادة من بدر،لأن المسلمين رأوا فى أحد ، علامات الخطر ، وأسبابه ، حية مجسدة ، ومن ثم سهل عليهم تجنبها ، فيما أتى بعدها من أحداث ... فكان اقبال الدنيا على الاسلام والمسلمين ، بجهد المسلمين أنفسهم ، تباركه قوة الله وتأييده بطبيعة الحال ، بشكل فاق خيال المتخيلين منهم ، ممن شهدوا بدرا أو أحدا ، فى فترة زمنية قياسية ، اذا نحن قارنا فتوح المسلمين بفتوح غيرهم ، عبر تاريخ الانسانية الطويل(١) .

فالاسلام كنظام عالمى ، نظام يقوم على (جهد) البشر أنفسهم ، بالرغم من أن الذى حدد خطوط هذا النظام ، هو الله سبحانه ، الا أن (المنهج) الذى حدده الله سبحانه ، « منهج عملى واقعى » (٢) ، « يتم تحقيقه فى حياة البشر ، بجهد البشر أنفسهم ، فى حدود طاقتهم البشرية ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة » . «وميزته الأساسية،أنه لا يغفل لحظة فى أية خطة،وفىأية خطوة،عن فطرة الانسان ، وحدود طاقته ، وواقع حياته المادى أيضا ، وأنه — فى الوقت ذاته — يبلغ به — كما تحقق ذلك فعلا ، فى بعض الأحيان ، وكما يمكن أن يتحقق دائما ، كلما بذلت محاولة جادة — الى مالم يبلغ أى منهج آخر ، من صنع البشر ، على الاطلاق ، وفى يسر وراحة ، وطمأنينة

---

(١) نذكر هنا ، بأن (الامبراطورية الاسلامية) الواسعة ، قد قامت على انقاض الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، فى اقل من ثلاثين سنة ، حيث كلف الرسول بتبليغ الدعوة سنة ٦١١م ، وفتحت الشام سنة ٦٣٨م ، وفارس سنة ٦٤١م .

(٢) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر ، ص ٦٧ .

واعتـــدال »(٣) .

ومن ثم كان ما يحدث للمسلمين اليوم،ليس بمعزل ـــ فىالاسلام ـــ عما حدث بالأمس للمسلمين السابقين ، من صعود وهبوط ، لأنه كان له منطقه فى الحالين .. وليس بمعزل عما حدث لأنبياء الله جميعا ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، بالرغم من أنهم كانوا جميعا ، مبعوثين من عند الله سبحانه .

وما حدث بالأمس القريب والبعيد على السواء ، وما يحدث اليوم ، لا يمكن فهمـــه ـــ من المنظور الاســـلامى ـــ الا من خلال (منظور) الاســـلام ذاته ، الى (قضـــية) الانسان ـــ فردا وجماعة اســـلامية ، ومجتمعـــا دوليـــا .

وهذا المنظور الاسلامى لقضية الانسان ، يحدده الخلق الأول له ، كمـــا يوضحه القرآن الكريم ، فى مثـــل قوله سبحانه فيه ، فى سورة البقرة :

ـــ « واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة » ... الآيات ... حتى نصل الى قوله تعالى :

ـــ « واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، أبى واستكبر وكان من الكافرين .وقلنا : يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا ، بعضكم لبعض عـــدو ، ولكم فى الأرض مســـتقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا : اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ، ولاهم

---

(٣) سيد قطب : هـــذا الدين ـــ دار الشروق ، ص ٤ .

يحـــزنون • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصـــحاب النـــار ، هم فيها خالدون »(٤) •

وكأن خلق الانسان الأول ، كان مجرد (فصل) واحد ، من ملحمة (الوجود) الانسانى كله على هذه الأرض ، ليأتى الفصل الثانى ، الذى يدور حول (هبوطه) الى الأرض ، ولتكتمل الحكمة الالهية من خلقه ، وتكريمه على بقية الخلق ، بمـــا فيهم الملائكة المقربون أنفسهم ، حيث يكون (هبوطه) هذا من الجنة ، هو تمام (نموه) ، ليكون جـــديرا بهذا التكريم ، ولا يكون هذا الهبوط ، تمردا من الانســـان على الله ، استحق معه العقاب من الله ، واستحقت الأرض التى يعيش عليها اللعنة من أجله ، كما نرى فى الفكر الدينى اليهودى(٥) — واستحقت ذريته من بعده اللعنة التى أصابته ، كما نرى فى الفكر الدينى المسيحى(٦) ، المبنى عليه •

ذلك أن الانسان الأول — قبل هذا الهبوط — كانت تسيره فطرة ، لا يملك معها أن يختار ، كمـــا تســـير مخلوقات الله الأخرى ، ومن ثم لم يكن — فى تكوينه ولا فى طبيعته — ما يميزه على غـــيره من هـــذه المخلوقات ، ومن ثم — أيضا — كانت معرفة الانســـان بالشـــيطان ، « فاتحة خير » عليه وعلى ذريته ، « فقد كانت معرفة الشيطان ، فاتحة التمييز بين الخير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز ، قبل أن يعرف الشيطان ، بصفاته وأعماله ، وضروب قدرته ، وخفـــايا مقاصده

---

(٤) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٣٠ — ٣٩ •
(٥) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الثالث : ١٧ •
(٦) ارجع — على سبيل المثال ، لا الحصر — الى :
— الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعـــة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ ، ص ١٥٨ •
— سر التجسد — محاضرات وندوات ، للشباب الجامعى — رقم (١٧) من مطبوعات (مكتبة المحبة) — اعداد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر (القاهرة) — مكتبـــة المحبة ، ص ٦ •

ونيـاته »(٧) •

وهكذا كان هبوط الانســان الى الأرض — فى الفكر الدينى الاسلامى — هو مناط تفضيله ، على غــيره من خلق الله ، ومن ثم كان تكريما له ، لتبلغ الحكمة الالهية من خلقه كمالها ، على العكس مما يراه الفكر الدينى اليهودى والمسيحى ، فيما سبق • ذلك أن آدم — بهــذا الهبوط — قد فضل على غيره من خلق الله ، لأنه قد صار « عرضة للخير والشر ، ولأنه مطالب بالخيرات ، وهو ممتحن بالشرور » ، « والخير ، هو القدرة على الحسن ، مع القدرة على القبيح ، وهو الاختيار المطلوب، بين التمييز بين القدرتين »(٨) •

ولا ينسى المفكرون المسلمون ، أن يضيفوا الى ذلك ، أمرا آخر ، يرونه من (ظاهر) آيات الخلق الأول تلك ، وهو أمر تعليم آدم الأسماء كلها ، فى قوله تعالى :

— « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقــال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ، ان كنتم صادقين • قالوا : سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم »(٩) •

حيث يرى ابن كثير ، أن « هذا مقام ، ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه من علم أسماء كل شىء دونهم » ، « ليبين لهم شرف آدم ، بما فضــل عليهم فى العلم »(١٠) • ويرى ابن تيمية ، أن

---

(٧) عباس محمود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخــير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم) — الطبعة الخامسة — دار نهضــة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ ، ص ٣ •

(٨) المرجع السابق ، ص ٥ •

(٩) قــرآن كريم : البقــرة — ٢ : ٣١ ، ٣٢ •

(١٠) تفسير القــرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عمــاد الدين أبى الفــداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ — الجزء الأول — ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م ، ص ٧٢ ، ٧٣ •

الملائكة لا تحتاج الى هذا العلم ، لأن مقرها هو السماء ، وانما الانسان هو الذى « يحتاج اليها ، بوصفه خليفة فى الأرض ، لا فى السماء »(١١) .

وهذا الانسان المكرم من ربه ، باستخلافه عنه فى الأرض ، هو هو الانسان ، بكل ما فيه من نقاط قوة ونقاط ضعف ، وهو هو الانسان المخلوق « جسما كثيفا ، وروحا شفافا ، جسما يشده الى الأرض ، وروحا يتطلع الى السماء ، جسما له دوافعه وشهواته ، وروحا له آفاقه وتطلعاته ، جسما له مطالب أشبه بمطالب الحيوان ، وروحا له أشواق كأشواق الملائكة » ، ومن ثم « لم تغفل » « عقيدة الاسلام ، الروح من أجل الطين ، ولم تغفل الطين من أجل الروح ، بل زاوجت بينهما ، فى وحدة متناسقة ملتئمة ، وأعطت الروح حقه ، والجسد حقه ، فى غير افراط ولا تفريط »(١٢) .

ومن ثم كان ما ذهب اليه المرحوم عباس العقاد ، بشأنه ، من أنه « لا يجوز للمؤمن بالكتاب ، أن يبخس للجسد حقا ، ليوفى حقوق الروح ، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ، ليوفى حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الاسراف فى مرضاة هذا ، ولا مرضاة ذاك » ، فان « القرآن الكريم ، ينهى عن تحريم المباح ، كما ينهى عن اباحة المحرم » (١٣) .

واذا كانت هذه هى (طبيعة) الانسان فى الاسلام : طين وروح ، فان المنهج الربانى لهذا الانسان ، يقوم على أساس تحقيق (التوازن) بين الجانبين ، ولا يقوم على أساس المثل الأعلى المسيحى ، الذى يحدده بولس ومتى مثلا :

---

(١١) شيخ الاسلام ابن تيمية : الايمان — صححه وعلق عليه : الدكتور محمد خليل هراس — دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة ، ص ٨٢ .

(١٢) الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(١٣) عباس محمود العقاد : الانسان ، فى القرآن الكريم — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٢٩ .

ـ « اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد »(١٤) .

ـ « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها »(١٥) .

ومن ثم يقوم هـذا المنهج الربانى ، على أساس « أخـذ الكائن البشرى ، بجميع خصائصه ، وجميع طاقاته ... واستغلالها كلها ، لتحقيق أهداف الدنيا » (١٦) ، ومن ثم ـ أيضا ـ كان « الاسلام وحده ـ هو الذى يجعل العبادة عملا ، والعمل عبادة ، والذى يربط النفس والجسم ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة ، كلها فى نظام » (١٧) .

و (يفلسف) الدكتور عماد الدين خليل (قضية) الانسان تلك ، فلسفة رائعة ، تأخذ باللب حقا ، فيرى أن (عبودية) الانسان لله ، تمثل ـ بحق ـ قمة تحرره ، واستحقاقه لتكريم الله له ، باستخلافه ، فنحن ـ فى نظره ـ « مجبرون على أن نولد ، ومجبرون على أن نموت .. اننا مجبرون على أن نبعث ، وأن نحاسب على أعمالنا ، وأن نساق الى جنة أو نار » . « واننا مجبرون على أن تنتمى الى هذا الاقليم أو ذاك » .. الخ .

---

(١٤) العهد الجديد : رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية ـ ٩ : الاصحاح الخامس ، ١٦ ، ١٧ .

(١٥) العهد الجديد : انجيل متى ـ ١ : الاصحاح السادس عشر : ٢٥ .

(١٦) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٧) محمد قطب : قبسات من الرسول ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

« والمساحة المتبقية لممارسة حريتنا ، انما منحت لنا ، لتمييزنا عن سائر خلق الله ، وتفضيلنا على العالمين »[١٨] .

وهذه المساحة المتبقية لممارسة حريتنا ، هي السير — الاختياري — كما رأيناه في وجهة نظر المرحوم العقاد من قبل ، عند حديثه عن الشيطان[١٩] — في طريق عبادة الله . « وليس مفهوم العبادة هنا ، مساحة ضيقة ، تتجاوز دائرة (الشعائرية) ، و (الاتصال الروحي) بالله ... انه تجربة حياة كاملة ، يتوازن فيها الأخذ والعطاء »[٢٠] .

و « ثمة ظاهرة أساسية ، يتميز بها النشاط التعبدي في الاسلام . ذلك أنه لا يقتصر على فترات متقطعة من الزمن ، أو أماكن محددة من العالم ، وانما ينساح ، لكي يشمل كل الأماكن والأزمان » .

« ان التعبد بهذا المعنى ، يمتد الى كل مساحات الحياة البشرية ، الظاهرة والخفية ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، المادية والروحية ، تماما كما تمتد الدماء ، وتسرى في أوصال الجسم البشري وخلاياه »[٢١] .

ونستطيع — في ضوء ما سبق — أن نرى أن حالات (الصعود) في التاريخ الاسلامي الطويل ، كانت تبدأ مع ساعات الاحساس الكامل بهذه العبودية لله ، وتحولها الى حركة حياة كاملة ، تحكم الفرد المسلم ،

---

(١٨) د. عماد الدين خليل : « في التفسير الاسلامي للتاريخ : المسالة الحضارية » — **المسلم المعاصر** — مجلة فصلية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، في ضوء الشريعة الاسلامية — العدد التاسع (المحرم — صفر — ربيع الأول ١٣٩٧هـ — يناير — فبراير — مارس ١٩٧٧م) ، ص ١٩ .

(١٩) ارجع الى ص ١٨٠ ، ١٨١ من الكتاب .

(٢٠) د. عماد الدين خليل : « في التفسير الاسلامي للتاريخ » (المرجع الأسبق) ، ص ١٩ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٢١ .

والمجتمع المسلم ، وأن حالات (الهبوط) فيه ، كانت تتزامن مع فقد هذا الاحساس ، ولو الى حين •

ولكن التاريخ الاسلامي — على طوله ، وكثرة حوادثه وأحداثه — يدل على شيء واحد ، وهو أن عقيدة الاسلام — ببساطتها ووضوحها — كانت دائما موجودة ، تفعل فعلها ، في أعمق أعماق نفس المسلم ، وأن الطين الذى يعتبر أحد مكونات هذه النفس ، شأنها فى ذلك شأن أية نفس ، ربما دفع على سطحها — فى ظروف بعينها — بعض التراب الناتج عنه ، حتى لا ترى ما تراه فى ساعة صفائها ، ولكن التراب سرعان ما يزول ، مع أول عرض يطرأ ، وما أكثر ما يطرأ على المسلم من أعراض •

وهذا هو ما لم يستطع أن يستوعبه أعداء الاسلام ، منذ فجر الاسلام ، وحتى اليوم ، وما أكثر هؤلاء الأعداء ، فى كل عصر ، وفى كل مكان — وأنى لهؤلاء الأعداء ، أن يستوعبوا مثل هذا الدرس ، الذى لا يستطيع استيعابه وثنى ملحد ، لا يعرف الا حياة الجسد الدنيوية — وانما يستطيع استيعابه ، مؤمن بالله ، وبيوم آخر ، فيه ثواب وعقاب •

لقد كان انتصار المسلمين فى بدر وهم قلة ، بمثابة ذلك (التراب) ، الذى ظهر أثره فى أحد ، فتراخوا فى الدفاع ، فاهمين نصر الله لعباده المؤمنين ، فهما بعيدا عن روح الاسلام ، فكان الانكسار أول المعركة ، ثم كان هذا الانكسار ذاته ، هو العرض ، الذى حرك هذه العقيدة البسيطة الواضحة ••• فكان الانتصار •• فى النهاية •

ثم كانت انتصارات المسلمين المتلاحقة بعد بدر وأحد ، بمثابة ذلك (التراب) ، الذى ظهر أثره فى غزوة حنين ، حيث كان « الغالب على جيش المسلمين ، فى خروجهم ، قلة الاكتراث بعدوهم ، فقال أبو بكر

الصديق : لن نغلب اليوم من قلة » (٢٢) — فكان انكسارهم الشديد ، لولا ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض المؤمنين حقا من المسلمين ، فكان الانكسار والثبات ، بمثابة العرض ، الذى حول انكسار المسلمين •• الى نصر مؤزر •

والى هذا المعنى أتت اشارة القرآن الكريم ، فى سورة التوبة ، واضحة :

— « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين ، اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين»(٢٣)•

وكان الدرس عنيفا فى هذه المعركة بالذات ، لأن التراب هنا كان أكثف من أى تراب تجمع ، فى أية معركة سبقت من معارك الاسلام ، فانها « المعركة ، التى اجتمع فيها للمسلمين — للمرة الأولى — جيش عدته اثنا عشر ألفا ، فأعجبتهم كثرتهم ، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول ، فردهم الله ، بالهزيمة فى أول المعركة ، اليه ، ثم نصرهم الله بالقلة المؤمنة ، التى ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصقت به » (٢٤) •

ونعود من غزوة حنين ، الى المتفائلين والمتشائمين ، والمتخذين موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء من المسلمين •

فالمتفائلون اليوم يبنون تفاؤلهم ، على أساس هذه (الاقبالة) الملحوظة على الاسلام ، فى العالم الاسلامى ، وخارج حدود هذا

---

(٢٢) عباس محمود العقاد : عبقرية خالد — طبعة وزارة التربية والتعليم (الجمهورية العربية المتحدة) — ١٩٧٠ ، ص ١١٧ .

(٢٣) قرآن كريم : التوبة — ٩ : ٢٥ .

(٢٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٦١٧ .

العالم الاسلامى ، خاصة من الشـباب ، وخاصـة بعد أن أعلنت النظم الوضـعية التى تحكم العـالم ، من ليبرالية ورأسـمالية واشتراكية وشيوعية وغيرها ، عن افلاسها ، وصـار كل منها يبحث عن (بديل) ، وبعد أن فشلت الديانات الوضعية ، والسماوية المحرفة ، فى حل مشكلة (الانسان) — فردا وجماعة •

والمتشائمون يبنون تشاؤمهم ، على أساس نفس هذه (الاقبالة) الملحوظة على الاسلام ، على أساس أنها شـبيهة بذلك الجيش الجرار ، من المسلمين،الذى دخل حنينا،وشعاره (لن نغلب اليوم من قلة)•يضاف الى ذلك ، أن هذه الاقبالة ذاتها ، هى مما يدفع أعداء الله اليوم ، الى ضراوتهـم فى حرب الاسـلام ، وفى أيدى هؤلاء الأعـداء اليوم وسائل القهر العسكرى كلها ، من جيوش جرارة ، وأسـلحة متطورة ، والمسلمون أنفسهم يعيشون عالة فى هذا المجال ، على أعداء الاسلام ، ومن ثم تكون امكانية حصولهم على السلاح ، (مشروطة) بأن يتجه هذا السلاح ، الى صدور المسلمين ، الساعين الى تحويل الاسلام ، من مجرد دين شعائر وطقوس تزاول ، الى حركة حياة كاملة ، متجددة ، تعاش •• لا الى حيث يجب أن يتجه سلاح الاسـلام •• الى أعداء الاسلام ، من صناع السلاح ، أو مريديهم ومحبيهم •

ويزيد من تشاؤم هؤلاء ، أن أمور العالم الاسلامى ، قد صارت — بالفعل — فى أيدى (عملاء) أعداء الاسلام (٢٥) ، ومن ثم صار يحكم

---

(٢٥) ارجـع — فى هـذا المجـال — على سـبيل المثـال — لا الحصر — الى :

— الأميرال وليـام غاى كار : احجار على رقعة الشطرنج — ترجمة سعيد جزائرلى — الطبعة الأولى — دار النفـائس ، للطبـاعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٠ •

— سامى جوهر : الموتى يتكلمون — الطبعة الثالثة — المكتب المصرى الحديث — مايو ١٩٧٧ •

وربمـا أيد وجهـة نظر هؤلاء المتشائمين ، نظرة سريعة على خريطة العـالم العربى والاسلامى ، الذى نراه ممزقا بين الشرق والغرب ، والذى نرى كل دولة فيه فى حرب معلنـة أو خفيـة ، مع غيرها من الدول العربية والاسلامية المعـادية لهـا فى التبعية • • •

المسلمين اليوم ، « دكتاتوريات متعاقبة متشابهة ، لا يختلف بعضها عن بعض ، الا فى المظهر الخارجي » (٢٦) .

وينسى هؤلاء المتشائمون — رغم ذلك — أن الله لن يضيع دينه ، ولن يخذل عباده ، وهو القائل فى محكم كتابه :

— « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »(٢٧) .

— « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ، أن الأرض يرثها عبادى الصالحون . ان فى ذلك لبلاغا لقوم عابدين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »(٢٨) .

غير أن ذلك لا يعنى جنوحا منى الى الافراط فى التفاؤل ، مع من أفرطوا فيه ، وانما هو يعنى أننى أطرح جانبا فكرة التشاؤم ، وأكره أن أقف مع معتنقيها ، مهما كان المنطق العقلى ، الذى يقف وراء تشاؤم هؤلاء المتشائمين .

ذلك أن التاريخ الاسلامى الطويل ، يشير بوضوح ، الى أن الاسلام — كنظام — وكقوة — لم ينمه مجرد تقبل المؤمنين به له ، بقدر ما نماه ما أحاط به من خطر . ولولا تربص المتربصين به ، ما كان انتقاله من ضعف الى قوة ، ومن قوة الى قوة أشد . والقرآن الكريم ذاته ، يشير الى هذه (الحقيقة) الأكيدة فيه ، حيث يقول سبحانه ، بتعبير يحمل معنى أنه هو الطريق الوحيد :

— « أم حسبتم أن تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ،

---

(٢٦) سعد جمعة : الله أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م ، ص ٩٩ .

(٢٧) قرآن كريم : الحجر — ١٥ : ٩ .

(٢٨) قرآن كريم : الأنبياء — ٢١ : ١٠٥ — ١٠٧ .

ولم يتخـذوا من دون الله ولا رسـوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون »(٢٩) .

أما لمـاذا كان طريق (الخطر المحدق) ، هو طريق الايمان الحق ، فان القرآن الكريم يجيب عليه أيضا ، بشكل مقنع تمـاما ، حيث يقول سبحانه ، فى شرح مفصل هذه المرة :

ــ « هذا بيان للناس ، وهـدى وموعظة للمتقين . ولا تهنـوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقـد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شـهداء ، والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين . أم حسـبتم أن تدخلوا الجنـة ، ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصـابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون »(٣٠) .

ان هذا الخطر المحدق وحده ، هو طريق الايمان ، لأنه هو وحده ، الذى (يصنع الرجال) ، والعقيدة العظيمة ، لا يقـدر على حملهـا الا ... الرجال الأشداء .

ومن ثم كان هذا الخطر المحدق بالرجال ، خطرا أحدق بكل عقيدة صحيحة،ولم يقف عند رسالة الاسلام وحدها،كما نرى فى الآيات السابقة، التى عرضناها من سورة (آل عمران) ، وفى غيرها من السـور ، فان الآيات السابقة من السورة ، يسبقها مباشرة ، قوله سبحانه :

ــ « قـد خلت من قبلكم سـنن ، فانظروا : كيف كان عاقبـة المكذبين ؟ » (٣١) .

---

(٢٩) قرآن كريم : التوبة ــ ٩ : ١٦ .
(٣٠) قرآن كريم : آل عمران ــ ٣ : ١٣٨ ــ ١٤٣ .
(٣١) قرآن كريم : آل عمران ــ ٣ : ١٣٧ .

وفى غير (آل عمران) ، نجد ــ على سبيل المثال ــ قوله سبحانه ، فى سورة (البقرة) :

ــ « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا ان نصر الله قريب » (٣٢) .

وكأنما يؤلب الله سبحانه أعداءه جميعا ، ضد أحبائه المؤمنين به ، حبا فى هؤلاء المؤمنين ، واخزاء وفضحا للكافرين به متبعى الشيطان ــ على عكس ما يفهم البعض ، بالنظرة السطحية القريبة ، التى لا تتعمق ، فتصل الى بواطن الأمور .

وبعبارة أخرى : ان الله سبحانه ، ينصر منهجه على الأرض ، لا بأيدى المؤمنين وحدهم ، ولكن بأيدى الكفار أيضا ، حين (يسخر) هؤلاء الكفار ــ وهم لا يعلمون ــ لصقل المؤمنين ... أى لتربيتهم ليكونوا أهلا لتحمل أعباء الايمان وتبعاته .

وكأنما أدرك أعداء الله هذه الحقيقة ، بعد أن يئسوا من (النصر المسلح) على المؤمنين ، أى من القضاء على مسيرة الحق بالسلاح ، وبعد أن أدركوا ــ من عبر التاريخ الماضى ــ أن العنف فى مواجهة الدعوات ، كان ــ دوما ــ ينبه الناس ، الى ما فى هذه الدعوات من مثل عليا سامية ، يبدءون فى التفكير فيها ، ثم يندفع الكرام منهم الى اعتناقها ، وتحمل الويلات ، فى سبيل هذا الاعتناق ، بينما لا يتنكر لها ، الا معاند أو مكابر ، أو ذو مصلحة ، أو خائف مرتاع ، وكلهم ــ فى حساب البشر ــ ممن لا يحسب له حساب ، وانما الذى يحسب حسابه ، هو ذو الرأى الحر ، الذى يجد لديه الشجاعة ، ليعلن عن رأيه ، ويتحمل تبعات هذا الاعلان .

---

(٣٢) قرآن كريم : البقرة ــ ٢ : ٢١٤ .

ومن ثم لجأ هؤلاء الأعداء الى أسلوب آخر ، لا تراق فيه دماء ، ولكن مفعـوله آكد، من مفعول الدم المراق ، وهو أسـلوب تحريف الدين نفسه ، والدس عليه • والدليل على ذلك ، الانحراف عن خط السماء فى كل دين ، بعد فترة من رفع الرسول الى السماء ، وهو أمر واضح تماما فى بنى اسرائيل ، الذين يعدون « صورة حية ، من صـور (تحوير العقيدة) ، على النحو الذى أرادته نفوســهم المريضة » (٣٣) ، والذين يبدو أن غضب الله عليهم ، قـد مسخهم — فجعلهم — منـذ كانوا — « وحتى قيام الساعة ، ليتجسد الشـيطان فيهم ، فينفذ من خلالهم مخططاته ، ليظل (الصراع) ، بين الخير والشر ، حتى تقوم الساعة »(٣٤) • ومن أجل ذلك ، كثر هؤلاء المرسلون من الرسل ، الى بنى اسرائيل ، فان « الأنبياء ، فى بنى اسرائيل ، لم يكن وجودهم ندرة، ولم يكن بينهم فترة ، فقـد يوجد فى العصر الواحـد ، أربعمـائة نبى » (٣٥) •

ولعل المسـيحية المعاصرة ، وهى ديانة من ديانات بنى اسرائيـل كما نعلم ، صورة حية لهذا (الدس) ، الذى قام به واحـد من أعدى أعداء المسـيح حيا ، وهو بولس ، فقـد « عقد اليهود عدة مجامع ، وتشـاوروا فى أمر أتباع المسـيح ، واسـتقر رأيهم على تعـذيبهم ، ولمـا عذبوهم ، ولم تقف دعوتهم عن الانتشـار ، اتفق رأيهم على أن يتظاهر فريق منهم بالنصرانية ، وأن يحرفوها تحريفا ، وتزعم الفريق الذى

---

(٣٣) دكتور عبد الغنى عبود : الله ، والانسان المعاصر — الكتـاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحـديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٧ ، ص ٧٨ •

(٣٤) دكتـور عبد الغنى عبود : انبياء الله ، والحيـاة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسـلام وتحديات العصر) — الطبعـة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ١٠١ •

(٣٥) عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التـاريخ ، وكشوف العصر الحديث — رقم (٢٠٢) من (كتاب الهـلال) — ينـاير ١٩٦٨ ، ص ٣٧ •

تظاهر بالنصرانية ، وحرفها تحريفا : القـديس بولس » (٣٦) ، وبذلك انتقلت من ديانة بسيطة توحيدية ، الى ديانة وثنية ، تتركب من الأفكار اليونانية والبوذية ، وذلك على يد داعيها الكبير ، وبطلها العظيم بولس Paul (١٠ — ٦٥) ، وكان هذا الانتقال ، أشبه بقفزة ، من روح الى روح ، ومن وضع الى وضع ، ومن نظام الى نظام ، لا يشـارك الثانى الأول ، الا فى الاسم ، وبعض الطقوس » (٣٧) .

وقد لخص ول ديورانت قصة هذا (الدس) ومداه ، حين قال : « كانت المسيحية — حسب تعاليم المسيح وبطرس — يهودية ، ثم أصبحت — فى تعـاليم بولس — نصـف يونانية ، وأضـحت — فى المذهب الكاثوليكى — نصف رومانية ، ثم عاد اليها العنصر اليهودى والقـوة اليهودية ، حين دخلها المذهب البروتستنتى »(٣٨) .

وهذا (الدس) ، الذى نجح فيه أعداء الله فى المسيحية ، حاولوه فى الاسلام ، ولم يكن اليهود وحدهم هنا ، هم الذين قاموا بمحاولاته ، وانما انضمت اليهم فى هذه المحاولات ، كل عناصر الشر ، وصار دور اليهود يقتصر على (التحريك) ضده ، والتأليب عليه ، بينما برز على الساحة بوضوح ، دور المسيحيين ، الذى تعاظم وبلغ مداه فى سلسلة (الحروب الصـليبية) ، التى انتهت من حيث الشـكل ، فى القـرن الخامس عشر الميلادى ، باسـتيلاء محمد الفـاتح على القسـطنطينية ، سنة ١٤٥٣ ، ولكن طيفها — على حد تعبير ارنسـت باركر — لا يزال

---

(٣٦) رحمت الله الهنـدى (١٢٣٢ — ١٣٠٨هـ) : اظهار الحـق — تقـديم وتحقيق وتعليق : الدكتور أحمـد حجازى السقا — الجزء الأول — دار التراث العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٧٨ ، ص ٢٠ (من المقدمات) .

(٣٧) أبو الحسن النـدوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسـلام — الطبعة الرابعـة — دار القلم بالكويت — ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م ، ص ١٩ .

(٣٨) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الثالث ، من المجلد الثالث (١٤) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمة محمـد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعـة الدول العربيـة — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ ، ص ٣٤٨ .

« ماثلا ، فأضحت الحروب الصليبية تقليدا دبلوماسيا ، تقرر اتخاذه ، لتبرير ما يلتمسه كل عمل سياسى جاد ، من الأعذار » (٣٩) .

ويعيد ول ديورانت هذه الحروب ، الى الأيام الأولى لظهور الإسلام ، وسلسلة انتصاراته المتتابعة ، حيث يعتبر ظهور الاسلام فى العصور الوسطى ، « أجل الحوادث فى التاريخ الدينى لهذه العصور ، وأعظمها خطرا » ، بسبب « تحديه للمسيحية ، فى الشرق والغرب على السواء . ذلك أنه لم يكد دين المسيح يجنى ثمار انتصاراته على الامبراطورية الوثنية ، وعلى الشيع المسيحية الملحدة ، حتى انتزعت منه أعظم ولاياته عزة على الدين ، واستمساكا به — انتزعها منه فى يسر مروع ، دين يحتقر فلسفة الالهيات المسيحية ، والمبادىء الأخلاقية المسيحية. نعم ، ان البطارقة ظلوا فى كراسيهم ، بأنطاكية وبيت المقدس والاسكندرية ، بفضل تسامح المسلمين ، ولكن مجد المسيحية قد زال من تلك الأقاليم ، وكانت المسيحية الباقية فيها ، مسيحية مارقة قومية .»(٤٠) .

ويزيد المستشرق المعروف جيب Gibb هذه القضية وضوحا ، حيث يرى أن «طريقة انتشار الاسلام ، أسبغت عليه فى نهاية الأمر ، صفة الدين الغالب ، ففى حين أن الدين ذاته لم ينشر بالسيف ، ووجد الدعاة اليه فى ظل السيادة الاسلامية ، أكثر الظروف مساعدة لنشاطهم ، فى تحويل الناس الى دينهم .»،« ونظر الناس الى انتشاره على هذا النحو ، كأنه تدبير من الله ، وأنه أكبر برهان ، على أنه من عنده » . « ولهذا ظل

(٣٩) ارنست باركر : الحروب الصليبية — نقله الى العربية : الدكتور السيد الباز العرينى — مكتبة النهضة المصرية — ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م ، ص ١٣٩ .

(٤٠) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ ، ص ٣٦٣ .

العالم المسيحى الأوروبى ، لا المسيحية ، عدو الاسلام ، رغم العلاقات الودية ، التى كانت بين المسلمين والمسيحيين ، أفرادا ، أو بين الجماعات الاسلامية والمسيحية ، فى ناحية ما » . « على أن مثل ذلك التسامح ، الذى لم يخلص من شوائب السخط ، ما كان يمتد الى العالم المسيحى ، خارج حدود (دار الاسلام) ، وقد كانت الخصومة الكامنة ، حتى فى وقت السلم ، تربى روحا من الريبة وسوء الظن ، لا تقبل المصالحة ، ويستطيع أى حادث تافه ، أن يضرم نارها ، فى أى لحظة »[٤١] .

وكان لسوء الظن هذا ، ما يبرره من تصرفات المسيحيين الشرقيين ، مع المسلمين ، الذين حافظوا على أموالهم ودمائهم ، واعتبروهم — عبر تاريخهم المشترك الطويل — اخوة لهم ، فاذا بهم — فى السر — يتآمرون على الاسلام ، مع كل عدو له ، على حد تعبير المستشرق أرنولد ذاته ، وهو واحد من هؤلاء المسيحيين ، وان كان مسيحيا غربيا[٤٢] ، فقد كانوا هم الذين ساعدوا الصليبيين فى حروبهم ، وتجسسوا على المسلمين لحسابهم ، كما « كانت السلطتان المسيحيتان ، فى الشرق والغرب ، تتطلعان الى المغول ، لمساعدتهما ، فى حروبهما مع المسلمين ، وكان هيتون Hayton ، ملك أرمينية المسيحى ، هو العامل الرئيسى ، فى اقناع مانجوخان (١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) ، بارسال تلك الحملة ، التى دمرت بغداد ، بقيادة هولاكو (١٢٥٦ — ١٢٦٥ م) »[٤٣] ، كما أنهم طالما ارتكبوا « كثيرا من ضروب الوحشية ، فى أثناء ذلك النضال ،

---

(٤١) هـ. أ. ر. جب وآخرون : وجهة الاسلام ، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى — أشرف على تحريره : الأستاذ (جب) — ونقله عن الانجليزية : محمد عبد الهادى أبو ريدة — المطبعة الاسلامية — ١٩٣٤ ، ص ١٧ ، ١٨ (من : الفصل الأول : مقدمة ، للأستاذ هـ. أ. ر. جب) .

(٤٢) سير توماس و. ارنولد : الدعوة الى الاسلام (بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية) — ترجمه الى العربية الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخران — الطبعة الثانية — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٧ ، ص ٩٥ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

الذى قام بين المغول والمسلمين ، فى بلاد الشام » (٤٤) .

وفى ضوء هذا الموقف ، الذى أظهر فيه هؤلاء المسيحيون مشاعرهم الحقيقية ، نحو الاسلام ومن يعايشونهم من المسلمين ، واستعدادهم للتحالف حتى مع الشيطان ، للقضاء على مواطنيهم المسلمين ، الذين طالما أحسنوا اليهم ، ووفروا لهم الحماية والأمن ، دون أن « يدفعوا أحدا من مخالفيهم ، عن التقدم الى ما يستحقه ، من علو الرتبة ، وارتفاع المكانة » (٤٥) — فى مثل هذا الجو ، يكون منطقيا أن يلقى المسيحيون العنت والارهاق ، بعد زوال الغمة ، كذلك الذى يحكيه ابن تغرى بردى ، من أحداث سنة ٦٩٨ هـ ، من الزامهم بلبس ملابس خاصة تميزهم ، واغلاق كنائسهم (٤٦) ، أو كالذى يحكيه الجبرتى فى أحداث سنة ١٢١٣هـ ، من نهب المسيحيين ، وقتل بعضهم ، بعد جلاء الفرنسيين عن مصر (٤٧) ، حيث كانوا هم الذين عملوا مع الفرنسيين ، على اذلال المسلمين ، ومصادرة أموالهم (٤٨) ، كما تطاولوا عليهم ، « بالسب والضرب والاستهزاء والسخرية ، ونالوا منهم أغراضهم ، وطعنوا فى دين الاسلام ، وصرحوا بانقضائه » (٤٩) — بالاضافة الى « تلفظهم بفاحش القول » (٥٠) ، وتطاولهم

---

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٤٥) الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره — بقلم : محمد عمارة — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٦٨ ، ص ٣٠٦ .

(٤٦) ابن تغرى بردى الأتابكى (جمال الدين ابى المحاسن يوسف) (٨١٣ — ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة — الجزء الثامن — طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب — من سلسلة (تراثنا) — وزارة الثقافة والارشاد القومى — المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — الصفحات ١١٣ — ١٣٤ — ١٤٢ .

(٤٧) العلامة المؤرخ الشيخ ، عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس — تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر ، وعمر الدسوقى — الطبعة الأولى — لجنة البيان العربى — ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ، ص ٧٩ — ٨٣ .

(٤٨) المرجع السابق — الصفحات ٢٣٣ — ٢٣٥ — ٢٤٥ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

على مقدسات المسلمين(٥١) •

ولما كان العدوان المسلح ، والاستفزاز الصارخ ، يأتى بنتيجة عكسية على هذا النحو ، كما سبق ، كان لابد أن تتغير (الاستراتيجية) المسيحية ، فى القضاء على الاسلام ، من الانكشاف الى التستر ، كما رأينا فى سياسة الانجليز ، فى حكم مصر مثلا ، معتمدين فى تنفيذ مخططهم هذا ، على (وسائل) وأساليب محددة ، ولكنها (فعالة) — على ألا يكون (التحدى السافر) ، أو (العنف الظاهر) ، واحدا من هذه الأساليب ، كما كان الفرنسيون يفعلون •

أى أن الانجليز ، نفذوا نفس أهداف الفرنسيين ، ولكنهم لم يكونوا يظهرون على خشبة المسرح ، كما تعود الفرنسيون أن يفعلوا ، بل كانوا يتخفون خلف (الكواليس) ، مصدرين على الخشبة ، أجانب ، من أمثال نوبار باشا ، الذى « ان باع مصر بأبخس الأثمـان ، فهو الرابح : لا خسر ملة ولا وطنا ولا جنسا » ، « فالرجل ليس : مصرى ولا عربى ولا مسلم »(٥٢) — ريثما يتم اعداد (التافهين) من المواطنيين ، المنتسبين الى الاسلام ، ليلقوا عليهم الضوء ، ويولوهم الزمام ، وبذلك يتم افساد الحياة السياسية والعامة ، مما يمهد (للثورة) ، التى اختاروا القائمين بها بدقة ، لينفذوا لهم المخططات ، ثمنيا للكراسى التى يتربعون عليها ، وأموال شعوبهم التى ابتليت بهم — التى استولوا عليها ، وحولوها الى المصارف الأجنبية ، تحت حسابات سرية ، وان كانت الولايات المتحدة ، قد حلت هنا فى هذه المرحلة — محل انجلترا وفرنسا ، اللذين انكشف دورهما فى (اللعبة) — على حد تعبير مايلز كوبلاند (٥٣) — فالمصلحة بين

---

(٥١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ — ١٤٢ •

(٥٢) جمال الدين الأفغـانى ، والشيخ محمد عبده : العروة الوثقى — الطبعة الأولى — دار الكتاب العربى — بيروت — لبنان — ذو الحجة ١٣٨٩هـ — شباط (فبراير) ١٩٧٠م ، ص ٤١٩ •

(53) COPELAND, MILES : The Game of Nations, The Amorality of Power Politics ; Sixth Edition, Weidenfeld and Nicolson, London, October 1970, p. 154.

البلاد الثلاثة ، مضافا اليها الاتحاد السوفيتى ، الذى يدعى أنه نصير المطحونين ، حتى (يتمكن) من رقاب هؤلاء المطحونين — هذه المصلحة واحدة ، تتلخص فى .... القضاء على الاسلام .

ونظرة سريعة على أحوال بلاد الاسلام ، فى ظل هذه الحكومات الوطنية المسلمة ، توضح بجلاء ، أن التخريب الذى تم على أيديها ، أضعاف أضعاف ذلك التخريب الذى تم على أيدى أعداء الاسلام أنفسهم ، فى سالف الأوقات ، قبل هذه الحكومات ... الوطنية .

واذا كان الاستعمار كان يعمد فيما سبق ، الى « محاربة المساجد بالمراقص ، ومحاربة الزوجات بالمومسات ، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر ، ومحاربة فنون القوة ، بفنون اللذة » (٥٤) — على حد تعبير مصطفى صادق الرافعى ، فان الحكم الوطنى فى هذه البلاد ، قد أتم مسيرة الاستعمار ، بأن فتح أبواب السجون ، لمن أراد أن يجعل الاسلام أسلوب حياة ، وهو مالم يكن الاستعمار يقدر عليه ، فى عنفوان قوته — وان كان البعض يدافع عنهم، بأن « أغلبهم على جهلهم بالشريعة الاسلامية، متدينون ، يؤمنون ايمانا عميقا ، ويؤدون عبادتهم ، بقدر ما يعلمون ، وهم على استعداد طيب ، لتعلم مالا يعلمون ، ولكنهم لا يطيقون أن يرجعوا بأنفسهم ، الى كتب الشريعة ، للالمام بها يجهلون » (٥٥) .

وفى ظل هذه القيادات (الوطنية) ، ذات (الأغلبية المتدينة) — « يتمتع المجرمون والخونة والمرتشون ، بقدر هائل من الحرية والانطلاق فى ساحة المجتمع » ، « على حين لم يجد أصحاب الدعوات ومناهج

---

(٥٤) مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم — الجزء الثانى — الطبعة السابعة — المكتبة التجارية الكبرى ، ص ٢٥٨ .

(٥٥) الشهيد عبد القادر عودة : الاسلام ، بين جهل ابنائه ، وعجز علمائه — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م ، ص ٣٩ .

الاصلاح ، مجالا لنشر أفكارهم »(٥٦) .

واذا كان الاستعمار قد كان فيما سبق ، يعمد الى التخريب فى الخفاء ، دون أن يجرؤ على التقليل من شأن علماء الدين ، ومن ثم كان هؤلاء العلماء هم قادة الأمة الاسلامية ، عبر تاريخ مقاومة المسلمين للظلم والاستعمار ، فكانوا — بحق — على حد تعبير الرافعى — « قوانين نفسية ، نافذة على الشعب ، وعملهم أرد على الناس ، من قوانين الحكومة ، بل هم التصحيح لهذه القوانين ، اذا جرت الأمور على عللها وأسبابها »(٥٧) — فقد كان هؤلاء الحكام (الوطنيون المتدينون) ، هم الذين (حطموا) هذه الكيانات الشامخة ، لمعارضتهم اياهم ، أو عدم مسايرتهم لهم ، بتعليقهم على أعواد المشانق ، أو تلفيق التهم لهم ، أو بتحريض السفهاء من الاعلاميين — وما أكثر السفهاء منهم — على السخرية منهم ، ومن رجعيتهم وجمودهم ، وعدم قدرتهم على مسايرة خطى الأيام — على حد ما يدعون عليهم .

فأية وطنية ، وأى تدين ، ذلك الذى يمكن أن يوصف به ، من يقوم بذلك كله ، اللهم الا اذا كان الذى حدد معانى الوطنية والتدين ، هم ألد أعداء الاسلام والمسلمين ؟ ! !

ورغم ذلك ، فان هؤلاء الحكام — كشعوبهم — ضحايا المؤامرة الكبرى على الاسلام والمسلمين ، وهم يقومون بالدور المرسوم لهم ، وهم لا يدرون . وهم لا يدرون ، لأنهم ضحايا (الغزو الفكرى) ، للعالم الاسلامى ، الذى حول المسلمين (بالفعل) ، الى مسلمين (بالاسم) ،

---

(٥٦) دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن — تعريب وتحقيق وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية — ١٩٧٤ ، ص هـ (من كلمة المعرب) .

(٥٧) مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم — الجزء الثالث — الطبعة السابعة — المكتبة التجارية الكبرى ، ص ٤٥ .

وحده ، لأنهم « يجهلون الحقيقة التشريعية للاسلام الصحيح ، ويجهلون مبادئه الفكرية ، وأصوله العقيدية ، وآدابه الخلقية ، ويعيشون في أمشاج من الأساطير والخيالات ، صنعوها لأنفسهم بجهالتهم ، أو صنعت لهم ، لتباعد بينهم وبين الاسلام الصحيح » (٥٨) .

ورحم الله محمد على باشا ، والى مصر ، الذى وان كان قد ساهم باستقلاله عن الخلافة العثمانية ، فى تقويض دعائم النظام الاسلامى عموما — الا أنه قد تنبه مبكرا لأبعاد هذه المؤامرة على الاسلام ، حتى لقد سماه رفاعة الطهطاوى « محمد الاسم ، على الشأن »(٥٩) ، واعتبره « وحيد زمانه ، فى جميع أوصافه »(٦٠) ، كما اعتبره بعضهم من (المجددين فى الاسلام) ، لأن « عقله كان أكبر من علم علمائنا فى عصره ، لأنه كان علما جامدا ، يضر ولا ينفع ، ويولد غرورا ، يحول بينه وبين الرغبة فى الاصلاح » ، مع أن محمد على كان « أميا ، لا يقرأ ولا يكتب »(٦١) .

ولقد وجد محمد على أن صلاح الاسلام ، وآمال المسلمين ، لا يتحققان الا بالأخذ بالحضارة الغربية ، وتسيير عجلة الحياة عليها ، فاضطر الى ارسال البعثات الى الغرب ، وخاصة فرنسا ، ولكنه كان حريصا ، على أن يخرج مبعوثوه من مصر مسلمين ، ويعودوا اليها مسلمين . ولذلك كانوا يوضعون تحت رقابة دقيقة مشددة ، « وحين سأله

---

(٥٨) محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام — المجلد الأول — مؤسسة سجل العرب — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م ، ص ١٦ .

(٥٩) « كتاب مناهج الألباب المصرية ، فى مباهج الآداب العصرية » — من : **الأعمال الكاملة ، لرفاعة رافع الطهطاوى** — دراسة وتحقيق : محمد عمارة — الجزء الأول (التمدن والحضارة والعمران) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — آيار (مايو) ١٩٧٣ ، ص ٤١٤ .

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٦١) عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، من القرن الأول الى الرابع عشر (١٠٠هـ — ١٣٧٠هـ) — الطبعة الثانية — مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر — ١٣٨٢هـ — ١٩٦٢ م ، ص ٤٧٦ .

بعض المبعوثين ، أن يسمح لهم بجولة ، ليتعرفوا على الحياة الفرنسية ، رفض في حزم صارم ، أن يجيبهم الى ما يطلبون.» (٦٢) .

واذ أدركت الصليبية العالمية خطورة الرجل على مخططاتها ، بعجزها عن (التسلل) الى مصر من خلاله ، وبقدرته — فى الوقت ذاته — على اقامة صناعة ضخمة ، حربية ومدنية ، وعلى اصلاح ادارة البلاد — لم يكن بد من ضربه ، واجهاض نهضته ، فى أخريات حياته ، وكان سهلا عليها — بعده — أن تتسلل الى أبنائه وأحفاده ، الذين لم يكونوا فى مستوى همته ، حتى صار هدف الأهداف — فى عهد اسماعيل مثلا — أن يجعل (مصر قطعة من أوربا) ، فكانت النتيجة ، تخريب ميزانيتها المحدودة ، على مجموعة من المظاهر الترفية ، وافلاس البلاد ، ثم عزل اسماعيل ذاته ، شأنه شأن كل من يثق بأعداء دينه ، ثم وقوع البلاد تحت سيطرة الاحتلال الانجليزى ، سنة ١٨٨٢ .

وقد كانت الصليبية العالمية تمهد للأمر منذ عصر الخلافة العثمانية ، بوسائلها المتعددة ، وعلى رأسها الارساليات التبشيرية ، والمدارس الأجنبية ، حيث كان « التبشير يجتاح البلاد ، عن طريق الارساليات : معاهد وجامعات ، فى استانبول والقاهرة ولبنان ، لها نفوذ ، داخل فى نفوذ الامتيازات الأجنبية ، ولها مناهج دراسية ، قائمة على تدمير الاسلام ، وتاريخ الاسلام ، ولغته ، وعقيدته ، واذابة الأجيال الجديدة فى سموم الغرب ، وتعظيم تاريخه ، واحتقاره لأمته ودينه »(٦٣) .

ويرى الدكتوران مصطفى خالدى وعمر فروخ ، أن « الباعث الحقيقى والأول فى رأى القائمين على التبشير ، انما هو (القضاء على الأديان غير النصرانية) » ، وأن « المقصود الأول بالجهود التبشيرية ،

---

(٦٢) الدكتور محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية — الطبعة الثانية — دار الفتح — بيروت — ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م ، ص ١٦ .

(٦٣) أنور الجندى : الاسلام ، فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٧ ، ص ١٠ .

هم المسلمون » ، وأن « التبشير الرسمى ، واكتساب المسلمين الى صفوف النصرانية ، قد خاب »[٦٤] — باعتراف المبشرين أنفسهم ؛ حيث يرى الدكتور زويمر ، أن مجموع من تنصروا من المسلمين ، « لو بيعوا بالمزاد ، لا يساوون ثمن أحذيتهم »[٦٥] .

ومن ثم « قنع هؤلاء المبشرون ، أن يكون عملهم (الانسانى) ؛ قاصرا على زعزعة عقيدة المسلمين ، على الأقل » (٦٦) ، مقسمين عملهم على مراحل ، تحقق لهم — فى النهاية — محاولتهم « أن تجعل من انكسار المسلمين عسكريا ، ارتدادا عاما عن الاسلام .

ولما كان تنصير هذا الجيل من المسلمين مستحيلا ، فهى تعمل ابتداء ، على خلخلة يقينه ، وتشكيكه فى فكرة التدين على العموم .

والمرحلة الثانية ، تقوم على حركة تقرب ومودة ، بين جيل متسلخ عن عقائده الحقة ، وبين أبناء الدولة المسيحية الغالبة .

أما المرحلة الأخيرة ، فالمفروض فيها أن تمحى معالم الاسلام ، من أقطاره العتيدة ، وأن ينصر ما يمكن تنصيره ، ويستأصل ما يستعصى على الردة ، وبهذا الأسلوب ، تنجح الصليبية الحديثة ، حيث عجزت جرثومتها فى القرون الوسطى »[٦٧] .

---

(٦٤) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، فى البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق ، للاستعمار الغربى) — الطبعة الخامسة — المكتبة العصرية — بيروت — صيدا — ١٩٧٣ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٦٥) نقلا عن :

— أنور الجندى : الاسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) (المرجع الأسبق) ، ص ٦٩ .

(٦٦) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ (المرجع الأسبق) ، ص ١٤٤ .

(٦٧) محمد الغزالى : التعصب والتسامح ، بين المسيحية والاسلام — دار الكتاب العربى بمصر ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

وقد كان مما يساعد المبشرين فى مهمتهم تلك ، فى البلاد الاسلامية ، (الاستعداد النفسى) للمسلمين ، بسبب التخلف الذى يعيش فيه هؤلاء المسلمون ، فان « الرقى المادى الحاضر فى دول الغرب (فى أوربة وبعض أميركا) ، قد بهر عيون الشعوب الشرقية ، الى حد جعل جمهور هذه الشعوب يعجب بكل شىء فى الغرب . ولا غرو ، فالمغلوب — كما يقول ابن خلدون — مولع بتقليد الغالب . ولكن الضعيف (المغلوب) يعجز بطبيعة الحال ، عن مجاراة القوى (الغالب) ، فى الخصائص ، التى تجعل القوى الغالب ، قويا غالبا ، فيكتفى المغلوب حينئذ بتقليد ذلك القوى الغالب ، فى ظاهر أعماله ، بما تسهل محاكاته »(٦٨) .

ويلفت نظر الدكتورين مصطفى خالدى ، وعمر فروخ ، وهما يتحدثان عن لبنان — وحالها اليوم معروف للجميع — أنه « لما بدأ المبشرون عام ١٨٣٤ ، يفتحون المدارس فى بلادنا ، كان معظمهم يقصر التعليم على التوراة والانجيل فقط ، لا يريد أن يتعداهما ، اذ أن غاية المبشرين الحقيقية ، كانت اعداد شبان للتعليم فى مدارسهم ، أو للعمل فى مكاتبهم ، توسيعا لحركة التبشير » .

« ولما أراد المبشرون أن يجعلوا التعليم قاصرا على التبشير فقط ، من غير أن يطلعوا على سر ذلك أحدا ، اشترطوا أن يكون المعلم فى هذه المدارس ، أجنبيا غير وطنى ، أما اذا دعت الحاجة الى معلم وطنى ، فليكن مسيحيا فى الدرجة الأولى ، ولكن يجب أن يكون متمرنا على التبشير » .

« وأخيرا جاءت العلوم الحديثة ، ولم يبق بالامكان أن تتجاهل المدارس الأجنبية ، علوما عظيمة نافعة ، كالرياضيات والكيمياء والحقوق والاجتماع والاقتصاد والرسم وما شابهها ، فلجأت تلك المدارس حينئذ

---

(٦٨) عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م ، ص ٢٦١ .

الى سياسة جديدة ، الى سياسة الدس على الاسلام ، والتاريخ الاسلامى »(٦٩) .

واذا كان الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ، قد فشل فى تحقيق أهدافه ، لميل المسلم بطبعه الى التشبث بدينه ، خاصة اذا أحس خطرا يتهدده ، فان الاجراءات التي اتخذتها الصليبية العالمية ، كانت متكاملة الخطوط ، بحيث جعلت المسلم يعيش نصف دينه ، ولا يعيش دينه كله ، وبحيث جعلت المسلم المتدين ، يمكن أن يكون سيفا مسلطا على رقبة المسلم المتدين الآخر ، كما رأينا عند الحديث عن الحكام الوطنيين للعالم الاسلامى ، فيما سبق(٧٠) .

ذلك أن (الازدواج التعليمى) ، الذى فرضته ظروف البلاد الاسلامية ، فى فترة من فترات تاريخها الحديث ، قد دعمه الوجود الاستعمارى على أرض المسلمين ، وأن سلطات الاستعمار قد حصرت فى أضيق الحدود ، امكانيات تأثير خريجى التعليم الدينى أو القديم ، فى الرأى العام ، فى الوقت الذى فتحت فيه الباب على مصراعيه ، أمام خريجى التعليم الحديث ، بل إن فرص الحياة والتأثير كانت أوسع وأرحب ، أمام خريجى التعليم الأجنبى ، والتبشيرى منه بوجه خاص ،

---

(٦٩) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ (مرجع سابق) ، ص ٧٠ — ٧٢ .
وقد ضرب المؤلفان امثلة على هذا (الدس) على التاريخ الاسلامى وتحريفه ، ص ٧٢ — ٧٤ من الكتاب .
وفى هذه الصفحات ، نجد تطابقا بين ما هو مكتوب فيها ، وبين ما رأينا مصطفى جحا فى الفصل الأول يقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الاسلام — ارجع الى ص ٥١ — ٥٤ من الكتاب .
ومما تجدر الاشارة اليه ، أنه عند اخضاع هذه المدارس التبشيرية لسيطرة الدولة فى مصر سنة ١٩٥٨ — وجدت نماذج واضحة كثيرة على ذلك — مما استدعى احكام الرقابة على هذه المدارس ومناهجها ، وغير ذلك .. ولكن وسائل التحايل على ذلك كله ، ميسورة ، كما يدل على ذلك واقع هذه المدارس اليوم ، مما لا مجال لذكره هنا .

(٧٠) ارجع الى ص ١٩٧ — ١٩٩ من الكتاب .

ومن ثم طفا على السطح ، من لا يعرفون شيئا عن الاسلام ، وتقوقع فى القاع ، من يعرفون عنه ، وحصرت وظائف أولئك الذين يعرفون شيئا عن الاسلام ، فى (وظائف) محدودة التأثير ، كامامة المساجد ، وتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى ، وبعض وظائف القضاء الشرعى(٧١) .

والسلطة التنفيذية لكل بلد اسلامى ، ومن بينها وزارات التعليم والثقافة والاعلام ، وضعت كلها عادة ، فى أيدى خريجى (التعليم الحديث) ، وكذا الصحافة ، مما جعل (الطابع العام) للبلاد الاسلامية ، طابعا غير اسلامى ، حتى ولو كان المسئولون عنها ، مسلمين متدينين .

ولا ننسى هنا ، أن هذا (الطابع العام) ، وسط تربوى مؤثر وفعال ، لا يقل فى تأثيره وفعاليته ، عن المدرسة ، اذ آن التربية — كما هو معروف — تعنى « التنمية » (٧٢) — آى تنمية قوى الانسان ، « الجسدية والعقلية والخلقية » (٧٣) ، عن طريق « اكتساب خبرات جديدة ، تتصل ببعضها ، وترتبط ارتباطا معينا ، لتكون نمطا خاصا لشخصية الفرد ، يتجه الى مزيد من النمو ، ويحقق بذلك ، أحسن التكيف بين الفرد وبيئته » (٧٤) .

---

(٧١) حتى القضاء الشرعى ، الغى فى بعض البلاد الاسلامية ، كما نرى فى تركيا وتونس ، واخيرا فى مصر ، بعد صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد سنة ١٩٧٩ ، وصار القضاة المدنيون ، وخريجو الجامعات المدنية الحديثة ، هم الذين يتولون اموره ، وقد يكون القاضى الذى يفصل فى القضية — كذلك — قاضيا مسيحيا — بل وقد يكون هذا القاضى المسيحى — صليبيا ايضا .

(72) FOWLER, H.W. and FOWLER, F.G. (Edited by) : The Concise Oxford Dictionary, of Current English, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised : E. Mc. INTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959, p. 381.

(٧٣) المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — واشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م ، ص ٣٢٦ .

(٧٤) الدكتور محمد لبيب النجيحى : مقدمة فى فلسفة التربية — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٦٧ ، ص ١١٧ .

ومعنى ذلك ، أن التربيــة هى « الحياة ، وليســت مجرد الاعداد للحياة » (٧٥) — على حد تعبير ديوى وكاندل ، وأنها « ليست قاصرة على ميدان واحد » ، بل توجد فى جميع الميادين والبيئات والأماكن ، التى يعيش فيها الفرد » (٧٦) •

ويركز الدكتور فاضل الجمالى ، بصفة خاصة ، على السياسة العامة للدولة ، كما تبدو من خلال (أجهزتهـــا) ، وعلى ما تلعبه من دور فى عملية (التربيــة) تلك ، فيرى أن « المــاكنة الحكومية ، بما فيها من اداريين وقضاة وشرطة وجباة ، تؤثر على ثقافة الشعب ، فهى اما أن تعود الناس على مبادىء الحق والعدل والنظام والصدق والتضــحية والخدمة العــامة ، واما أن تعودهم على الغش والكذب والجبن والرشـــوة » • « وما يقال عن الماكنة الحكومية ، يقال عن المعبد ، والمعمل ، والمتجر» • «وكذلك قل عن المسرح والصحافة والاذاعة والتلفزة والسينما والجمعيات والنوادى الثقافية والاجتماعية ، فهذه كلهـــا ، تفعل فعلهـــا فى الثقافة العامة » (٧٧) — أى فى التربية •

فاذا كانت هذه (الأجهزة) و (الأدوات) كلها ، قد صارت فى عالمنا الاسلامى ، واقعة فى أيدى من يعيشون نصف دينهم ، ولا يعرفون الا القليل عن هذا الدين — ومن يعيشون متأثرين فى كل شىء ، بما يأتيهم من البلاد غير الاسلامية ، بوصفها هى المتقدمة اليوم حضـــاريا ، وذلك عبر (قنوات الاتصال) العديدة ، التى توفرها الحضارة الحديثة ، لمن

(75) DEWEY, JOHN : Education To-day ; G.P. Putman's Sons, New-York, 1940, p. 6 &

— KANDEL, I.L. : American Education, in the Twentieth Century ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957, p. 111.

(٧٦) صلاح العرب عبد الجواد : اتجاهات جديـــدة ، فى التربيـــة الصناعية — (دراسات فى التربية) — دار المعـــارف بمصر — ١٩٦٢ ، ص ٣٤ •

(٧٧) الدكتور محمـــد فاضـــل الجمالى : آفاق التربية الحديثة ، فى البـــلاد النامية — الدار التونسية للنشر — ١٩٦٨ ، ص ٧٦ ، ٧٧ •

يعيشـون على كرتنا الأرضـية ــ فهل هناك نجاح ، يمكن آن يحلم به الصليبيون ، أكثر من هذا النجاح الذى حققوه ؟

كذلك توسعت البلاد الاسلامية ــ شأنها فى ذلك ، شأن كل بلاد العالم الثالث ــ فى انشـاء الجامعات ، لا لحاجة هـذه البـلاد الى الجامعات ، والى خريجيها ، ولكن لأن الجامعات تعتبر فى كل منهـا ، « رمزا بالغ الأهميـة ، للمكانة القومية ، ونصـبا تذكاريا ، للثقـافة المحلية » (٧٨) .

و (استوردت) هذه البلاد الاسلامية ، شأن غيرها من بلاد العالم الثالث ، الجامعات ، من البلاد المتقدمة ، التى تعلن الحرب على الاسلام ، متحالفة حتى مع الشيطان ، للقضـاء عليه ــ استوردت وتستورد من هذه الجامعات الأجنبية ، برامج التدريس فيها ، وتحصل على الكتب المؤلفة من أساتذتها ، لتدريسـها لأبناء المسلمين ، بلغاتها الأصـلية ، أو مترجمة الى العربية ، أو منقولة اليها ، على أنها مؤلفة بها .

وفى الأيام الأولى لانشاء هذه الجامعات ، كان الأساتذة الأجانب أنفسهم ، هم الذين يتولون التدريس ، كما حدث فى جامعة القـاهرة الحالية (الجامعة الأهلية يوم انشائها سنة ١٩٠٨ م) .

فاذا تذكرنا آن جيل الأساتذة العظـام فى مصر اليوم ، هم تلاميذ المستشرقين ، من مسيحيين ويهود ، فى أول انشاء الجامعة المصرية الأم (جامعة القـاهرة الحالية) ، وأن مدرسى الدراسات الاسلامية ذاتها ، فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، كانوا من هؤلاء المستشرقين ــ فهل تكون هناك غرابة فى أن يكون الانتاج الفكرى ، من هم على شاكلة

---

(٧٨) فردريك هاربيسون ، وتشارلز ا. مايرز : التعليم ، والقـوى البشرية ، والنمـو الاقتصادى (استراتيجيات تنمية الموارد البشرية) ــ ترجمـة الدكتور ابرهيم حافظ ــ مراجعة محمد على حافظ ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٦٦ ، ص ٩٨ .

طه حسين ، صاحب كتابى (الأدب الجاهلى) ، و (مستقبل الثقافة فى مصر) ؟

ونذكر هنا مجرد تذكير ، بأن طه حسين ، الأزهرى الأصل ، والذى حصل على الدكتوراه من السوربون ، على يد أستاذ يهودى — فى كتابه (الأدب الجاهلى) ، الذى هيج به الرأى العام المصرى سنة ١٩٢٦ ، وطرد بسببه من الجامعة ، قد شكك فى كل الشعر الجاهلى ، وشكك فى وجود اللغة العربية التى كتب بها القرآن الكريم هكذا يوم نزوله ، وشكك — بالتالى — فى الايحاء به ، و « نسب الخرافة والكذب ، لهذا الكتاب السماوى » (٧٩) .

وفى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) ، الذى نشر سنة ١٩٣٨ ، يرى طه حسين ، أن العقل المصرى بطبعه ، « ليس عقلا شرقيا » ، وأنه « اذا لم يكن بد من أن نلتمس أسرة للعقل المصرى ، نقره فيها ، فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم » ، وأنه « كان من أشد الشعوب تأثرا بهذا العقل المصرى أولا ، وتأثيرا فيه بعد ذلك ، العقل اليونانى » (٨٠) .

وهى مغالطة تاريخية ، لاتقل فى نيتها التدميرية ، عن المغالطة الأولى ، بشأن القرآن الكريم .

---

(٧٩) أنور الجندى : طه حسين ، حياته وفكره ، فى ميزان الاسلام — الطبعة الثانية — دار الاعتصام — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٧٨ .
وارجع الى ما يشير اليه أنور الجندى ، من تشكيك طه حسين هذا فى القرآن الكريم فى :
— طه حسين : فى الأدب الجاهلى — الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر — ١٩٤٧ ، ص ٧٨ .
ونذكر هنا ، بأن (فى الأدب الجاهلى) ، هو هو كتاب (فى الشعر الجاهلى) ، الذى أثارت طبعته الأولى الثائرة ضده ، فاكتفى فى الطبعات التالية ، بتغيير العنوان فقط .
(٨٠) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ ، ص ١٨ .

وقد زاد من خطورة طه حسين ودعوته ، أنه تولى بالفعل مناصب تنفيذية فى مصر ، كان أخطرها توليه (وزارة المعارف العمومية) ، فى وزارة الوفد سنة ١٩٥٠ — ومن خلال وجوده (كمسئول) عن التربية والتعليم فى مصر ، استطاع أن يحول كثيرا من (آرائه) و (أفكاره) الغربية تلك ، الى سياسات تعليمية ، ترسم ، ويسهر هو على تنفيذها .

وزاد من خطورة طه حسين فى هذا المجال ، أنه عندما طرح آراءه تلك ، تصدى مفكرون تربويون كثيرون ، للرد عليه يومها ، فتحمس بعضهم لوجهة النظر الأمريكية فى التربية ، وتحمس البعض الآخر لوجهة النظر الانجليزية — كرد على طه حسين ، فى تحمسه لوجهة النظر الفرنسية .

وأصبح التعليم المصرى ، بسبب ذلك ، مسرحا للتجاربه التعليمية ، من مختلف بلاد العالم ، اذ أن كثيرا ممن ردوا عليه ، تولوا مناصب تنفيذية فى (وزارة المعارف العمومية) .. مما جعل التعليم المصري — قبل الثورة — صورة مجسدة ، للفوضى والاضطراب .

واذا انتقلنا — بعد ذلك — الى مجال التربية والتعليم — موضوع دراستنا — مباشرة — وجدنا نفس (التخريب) التعليمي المتعمد ، للانسان المسلم .

لقد أنشئت فى كل البلاد الاسلامية تقريبا كليات للتربية ، لتحل محل المعاهد القديمة ، التى كانت تخرج المعلمين ، وكانت كلها من نوع لمعاهد الدينية . وكان انشاء هذه الكليات ، متأثرا بالفكرة الغربية عنها ، فى أغلب الأحوال ، وكان الداعون الى انشائها ، هم (الأساتذة الأجانب) ، الذين أتت بهم حكومات الاستعمار ، أثناء سيطرتها على البلاد الاسلامية ، ليقوموا (بتحديث) هذه البلاد ، على حد زعمهم .

وعندما أنشئت هذه الكليات — أو المعاهد — كما كانت تسمى

فى بعض الأحيـان ـ كان الرعيل الأول من أسـاتذتها ، من هـؤلاء الأساتذة الأجانب ، ومع هذا الجيل الأول ، بدأت البعثات الأولى الى الغرب ، لتحصـل على المـاجسـتير والدكتوراه ، ولتتولى ـ بعـد عودتها الى بلادهاـ مهام القيـادة التربوية لبلادها ، وليتولى بعضـها مهام تنفيـذية فى مجال التربية ، وصـلت الى حد تولى شئون وزارة التربية ، أو رئاسة مجلس الوزراء ذاته . . .

وكان هؤلاء المبعوثون الى الغـرب ، عادة من خريجى ما يسـمى (بالتعليم الحديث) فى البلاد الاسـلامية ـ أى ممن يمكن أن يعرفوا كل شيء ... الا الاسلام ... كمنهج حياة متكامل ، وكأسس تشريعية عامة .

وعلى يد هذا الجيل الأول من أساتذة التربية وعلم النفس، تخرجت الأجيال التالية من الأسـاتذة ، جاهلة بالاسـلام ، وبعضها منكر له ، ثم زاد من جهلها به ، وانكارها له ، حياتهـا فى الغرب فترة طويلة ، وتتلمذها على أيدى أساتذته ، لتحصل على الدرجة العلميـة ، التى من أجلها بعثت الى الخارج .

وعلى أيدى الجيل الأول من الأسـاتذة ، والأجيال التـالية له ، تخرجت ملايين المدرسين ، ممن عملوا فى مجال التربية والتعليم ، فى العالم الاسلامى ، فى عصور السيطرة الاستعمارية على شئون التعليم ، وتوجيهه .. وفى عصور (الحكم الوطنى) الحالية .

حتى معلمو اللغـة العربية والدين ، تتلمذ معظمهم ، على أيدى هؤلاء .

وقد واصل بعضهم دراساته العليا التربوية ، فكان ـ فى فكره ـ أكثر تحمسا (للفكرة) الغربية ، وتبرؤا من الفكرة الاسـلامية .. من معلمى اللغات الأجنبية ، الذين واصلوا الطريق .

ولا أدرى ما اذا كان قد اتضح حجم المأساة ، التى حاقت بالعالم الاسلامى وأبنائه ، من خلال هذه السياسة ، التى وضع بذورها الاستعمار الغربى ، وارث الصليبيين القدامى ، ومتمم رسالتهم .. أم لا؟

ومما يلفت النظر ، أن الاستعمار وضع البذرة ، وتركها تنمو من تلقاء نفسها ، فكان نموها ، على أيدى من تتلمذوا على يديه ، أسرع — ربما — من نموها ، لو رعاها هو بيديه .

ذلك أن (الفكرة الغربية) فى التربية وعلم النفس ، صارت هى (الصيغة الوحيدة) ، فى العالم الاسلامى اليوم ، وأن حماة هذه الفكرة ، هم المسلمون أنفسهم ، وأن مناهضى التربية الاسلامية اليوم ، هم المسلمون ، لا غيرهم ، مع أن « كل جديد فى الفكر التربوى المعاصر ، له أصوله ، فى الفكر التربوى الاسلامى ، ولكن فرق كبير ، بين الجرى وراء الفكر التربوى المعاصر ، لمجرد أنه جديد أو معاصر ، وبين السعى اليه ، لأنه نابع من تراثنا ، مناسب لأيديولوجيتنا ، متفق مع ظروفنا . انه فى الحالة الأولى ، يكون مرفوضا ، لأنه يزرع فى (تربة) مغايرة لتربته الأصلية ، ومن ثم يموت ، وتتحول الأفكار الى حبر على ورق ، والنظم الى مجرد هياكل شكلية ، تمثل عبئا على نهضتنا . أما فى الحالة الثانية ، فانه يقبل ، لأنه يزرع فى (تربته) ، ومن ثم يتحول الفكر ، الى أداة فعالة ، للنهوض بمجتمعنا .. العربى والاسلامى » (٨١) .

ومن ثم نجد (الوطن الواحد) ، قد مزق ، فصار أوطانا متعددة ، من خلال فلسفات للتربية ، لا تتصل بواقع أى بلد من بلاد العروبة والاسلام . والانسان يستطيع أن ينظر الى التعليم فى كل بلد من بلاد الغرب والشرق المتقدمة ، الغازية للبلاد العربية والاسلامية ، فيرى لكل

---

(٨١) دكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية — الطبعة الاولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ ، ص ١٣٦ .

حنها (فلسفة) تعليمية واضحة ، فيرى « فلسفة تعليمية أمريكية ، وفلسفة تعليمية انجليزية أو فرنسية ، وفلسفة روسية أو يابانية أو صينية ، ولكنه لا يستطيع — حتى الآن — أن يجد فلسفة تعليمية عربية : مصرية كانت أو سورية أو سعودية أو لبنانية ، وذلك لأن كل بلد من تلك البلاد المتقدمة ، قد كون لنفسه ، فلسفة واضحة فى حياته ، تتفق مع ظروف تلك الحياة ، كما حدد لنفسه هدفا يسعى للوصول اليه ، وألقى على التربية مسئولية محددة ، هى نقله من واقعه الى آماله — أما البلاد العربية (والاسلامية) ، فلازالت تتطلع الى الخارج ، تنقل عنه »[٨٢] •

وقد نجد فى داخل بلد واحد من بلاد هذا الوطن العربى والاسلامى الكبير ، اختلافات تصل الى حد التناقض ، بين المفكرين التربويين فيه ، ولكننا نحس بأنها اختلافات بين (اتجاهات) متباينة ، لا يتصل أى منها بالبلد الذى تنتمى اليه هذه الاتجاهات ، بل هى تنتمى الى بلد أجنبى ، معاد لهذا البلد ، ولكنه — برغم هذه المعاداة — كان الوطن الثقافى والفكرى ، الذى أعد فيه أصحاب كل اتجاه ، فالذين أعدوا فى انجلترا ، يناضلون ، معتبرين أنفسهم حملة الفكر التربوى الانجليزى ، والذين أعدوا فى الولايات المتحدة ، يناضلون ، معتبرين أنفسهم حملة الفكر التربوى الأمريكى — وقس على هؤلاء وهؤلاء ، من أعدوا فى فرنسا أو الاتحاد السوفيتى ، أو غيرهما • أما الفكر التربوى الاسلامى لدى هؤلاء جميعا ، فانه ضائع مضيع ، وهم معذورون فى ضياعه وتضييعه ، لأنهم لم يسمعوا عنه ، ولا يريدون أن يسمعوا عنه ، لأنهم يوم يسمعون عنه ، ويتبنونه ، سيدخلون فى سلسلة لا تنتهى من الحروب ، من (الكبار) ، فى المدرسة العلمية والتربوية ، التى ينتمون اليها ، والتى تتحكم بطرق كثيرة ، فى رقابهم ، وتستطيع — بحكم تحكمها هذا —

---

(٨٢) دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ ، ص ٤٠٥ •

ازهاق أرواحهم[٨٣] .

ومن ثم يكون من الحكمة ، عدم التفكير ، الا بمنطق (الكبار) ، وكفى الله المؤمنين القتال .

ويزيد من حجم المأساة أن الاسلاميين من رجال التربية فى هذه البلاد ، رغم أنهم قليلون ، الا أنهم متفرقون ، لا تربط بينهم رابطة ، لأن كلا منهم قد دخل المجال — مجال التربية الاسلامية — من (باب خلفى) من أبوابها ، ولم يدخله من بابها الأمامى — وهو باب التخصص العلمى الدقيق ، من خلال الاعداد للماجستير والدكتوراه .

ومن ثم قد تجد الاختلافات بين هؤلاء الاسلاميين فى مجال التربية ، أكبر من الاختلافات بينهم — ككل — وبين من يناصبونهم العداء ، من زملائهم .

ذلك أن هؤلاء الاسلاميين من التربويين ، كغيرهم من أفراد المدرسة العلمية التربوية ، فى البلاد العربية والاسلامية ، قد أعدوا ليكونوا غير اسلاميين ، اذا نحن أحسنا الظن بهم وبمن أعدوهم ، أو أعدوا ليحاربوا الاسلام — كنظام وكفكرة — اذا نحن أردنا أن نحسن وصف هذا الاعداد — وعوا ذلك أم لم يعوه ، ومن ثم يكون (اندفاعهم) فى تيار التربية الاسلامية ، مرجعه (انطباع) خاص رآه الواحد منهم ، فى مرحلة ما من مراحل حياته العلمية ، دون أن يجد الوقت الكافى ، لبلورة هذا الانطباع [٨٤] .

---

(٨٣) على سالم النباهين : نظام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر — الكتاب الثالث من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٨١ ، ص ١٠ — ٢٩ (من التقديم ، للدكتور عبد الغنى عبود) .

(٨٤) يفضل هنا الرجوع تفصيليا ، الى الدراسة الممتعة ، التى قدمها الدكتور عماد الدين خليل ، الى مجلة (الأمة) القطرية ، فى عددها الرابع ، من سنتها الأولى ، الصادر فى ربيع الآخر ١٤٠١هـ (شباط — فبراير ١٩٨١م) ، ص ٥ — ١٢ ، تحت عنوان « المبتعثون الى الغرب ، رصد للواقع العربى » .

وأعرف واحدا من هؤلاء ، لا أشك لحظة فى اسلامه وتحمسه له ، حتى أنه قضى معظم وقته فى البعثة ، متنقلا بين أنحاء البلاد ، التى كان مبعوثا اليها ، يدعو الى الاسلام ، ويجمع التبرعات ، لاقامة (رابطة) ، بين المسلمين المتناثرين ، ولاقامة مسجد لهم ••• يرى أن كل الجهود التى بذلت على طريق التربية الاسلامية ، فاشلة ، ويرى أن الجهد الوحيد ، الواجب بذله ، هو ذلك الجهد الذى يبذل على طريق (تحقيق) التراث العربى الاسلامى ونشره •• فى مجال التربية[٨٥] •

ولم يكن غريبا ، والحال هذه ، أن نرى كثيرا من رجال التربية المسلمين ،لا يعارضون التربية الاسلامية ، والتسجيل فى موضوع من موضوعاتها ، للحصول على درجة علمية ، وهم فى معارضتهم تلك ، مدفوعون بحب الاسلام ، لا بمحاربته ، كما يمكن أن تتصور ، للوهلة الأولى •

ذلك أنهم قد رأوا التجارب السابقة فى المجال ، قد جانبها التوفيق ، فى أكثر من جانب من جوانب الدراسة ، ومن ثم تركت انطباعا (سلبيا) عن التربية الاسلامية ، أرادوا أن يجنبونا اياه • فبعض هذه

---

(٨٥) هناك جهود مخلصة بالفعل ، تمت فى هذا المجال ، لا يتسع المجال لذكرها هنا . وقد بدات هذه الجهود ، بتحقيق التراث ، فى مجال التربية ، ثم اتسعت بعد ذلك ، فضمت الى جانب (التحقيق) ، دراسة هذا التراث ، والقاء الضوء عليه ، ثم اتسعت أكثر — فى السنوات الأخيرة — فحاولت الربط (أو المقارنة) بينه ، وبين الفكر التربوى المعاصر .

وفى السنوات الأخيرة أيضا ، قام بعض المتخصصين فى علم النفس ، بعمل مشابه لما سبقهم اليه المتخصصون فى التربية .. متدرجين نفس التدرج أيضا .

وبعض هذا الذى تم فى المجالين — التربية وعلم النفس — بلغ غاية الاتقان والجودة بالفعل .

التجارب[٨٦] ، ترك انطباعا قويا ، بأن التربية الاسلامية (كانت) رائعة ورائدة ، فى زمانها الغـابر ، ومن ثم كان منطقيا أن يكون الانطبـاع المتروك ، أنها لا تصلح للحـاضر ــ وبعضـها ترك انطباعا بأنهـا تربية عالمية ، وبأن التربية الانجليزية أو الفرنسـية أو الأمريكية أو الروسية المعـاصرة ، لا تناقضها ــ وبعضها كان دراسـة فى الدين الاسـلامى ، لا دراسة فى التربية الاسلامية ، ومن ثم فقد آكدت ــ رغم صدقهـا ــ صعوبة أن تعالج التربية الاسلامية معـالجة علمية ــ وبعضهـا آراد أن يخدم التربية الاسلامية ، فتناول قضاياها وفكرها ، بأسلوب (متحرر) ، باعد كثيرا بينهـا ، وبين الاسـلام ، كما باعد كثيرا بينهـا وبين التربية الاسلامية ... وهكذا .

---

(٨٦) كان بعض هـذه (التجارب) ، رسائل علمية ، حصل بهـا أصحابها على درجة المـاجستير أو الدكتوراه فى التربية ، من احـدى كليـات التربية ، فى جامعـة من الجامعات العربيـة ، أو الاسلامية .. أو فى جامعة من جامعات الخـارج . كما كان بعضـها الآخر دراسات لمتخصصين فى التربية ، نشرت فى مجلات علمية متخصصة ، أو نشرت على هيئة كتب أو كتيبات .

وقـد رأيت ان أطلق عليها اسم (تجارب) ، لمـا سنراه فيما بعد ، من ضرورة الاتفاق بين المتخصصين فى التربية ، على (منهج بحث) للتربية الاسلامية ، يحقق أغراضها ، وقبل هـذا الاتفاق ، سيكون ما يجـرى على الساحة ، مجرد (تجارب) ، قد تؤدى الغرض منها ، وقد لا تؤديه .

كما رايت الا اذكر اسـماء من قاموا بهـذه التجارب ، ولا عناوين الدراسات التى قاموا بها ، مع انى ــ بحكم اهتمامى بالموضوع ، وتتبعى لكل ما يكتب فيه وعنه ــ قدر استطاعتى ــ اعرف العديد منها ، الا انى وجدت من الحكمة الا اذكر عناوين هذه الدراسات التى أقصدها ، ولااسماء من قاموا بها ، حتى لا يحمل الأمر على انه لون من الوان (التشهير) .. بينما لا أريد الا الاصـلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله .

يضـاف الى ذلك ، أن رأيى دائمـا ، هو أن كل من بذل فى هـذا الميدان جهدا ، حتى ولو فاته التوفيق فيه ، أو كان سيىء النيـة ساعة دخوله .. فهو جهد مشكور ، لأنه يضع (لبنـة) فى هـذا البنـاء ، لابد ان تكون من أسباب رفعـه ان شاء الله .

وربما كان مفيدا هنا ، انانبه المهتمين بالموضوع ، الىهذه الرسالة ، التىحصل بها صاحبها على درجة (دكتورفلسفة فى التربية) من جامعة طنطا فى أواخر عام ١٩٨١ ، والتى تقدم شبه مسح للموضوع ، وهى على وشك ان يدفع بها الى المطبعة ، ضمن سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) :

ــ على خليل مصطفى ابو العينين : الأصول الفلسفية للتربيـة فى مصر الحديثة ، بين الفكر الاسلامى ، والفكر التغريبى .

ومن ثم كانت (خدمة) التربية الاسلامية فى نظر هؤلاء (المخلصين) ، تتحقق بالبقاء بعيدا عنها ، وعدم الاقتراب منهـا ، وكانت معـارضتهم للتسجيل فى موضوع من موضوعاتهـا ... أو تتحقق بتحقيق تراثهـا فقط ، على نحو مارأينا آنفا .

وبرغم وجاهة منطق هؤلاء (المخلصين) ، فقد نسوا شيئا أساسيا ، وهو أن التربية الاسلامية ، مجال من مجالات التربية ، وأن الدراسـة العلمية التربوية ، بوصفهـا دراسـة انسـانية ، ليست من الدراسات (المحكمة) المنهج والأدوات بطبعها ، ومن ثم فهى تحتمـل كثيرا من وجهات النظر ، مما يجعل احتمالات الخطأ فيها أكثر ... دون أن يقلل هذا الخطأ ، من قيمة الدراسـة ـ فلماذا نستثنى التربية الاسلامية ، من هذا الأمر ، الذى تخضع له التربية ككل ؟

يضاف الى ذلك ، أن مجال دراسة التربية الاسـلامية ، يعتبر من المجـالات الجديدة على ساحة الدراسة العلمية التربوية ، والمجـالات الجديدة ، تتبلور ، وتتخذ شكلها الثابت المحدد ، الذى تعرف به فيما بعد ، من خلال (التعثرات) التى تحدث ، على أول الطريق ... فلماذا نقتل التجربة بالنسبة للتربية الاسلامية فى مهدها ، ولا تتيح لها ما تتيحه لغيرها ، حتى تتبلور ؟

واذا كنا نؤمن بأن « تربيتنا لا تستطيع أن تغض الطرف عن تراثنا العربى الاسـلامى ، بل ان من واجبنا أن نحرص عليـه ، ونفاخر به ، ونعمل على المحـافظة على ما فيه ، من قيم مادية وروحية ، باقيـة على الدهر »[٨٧] ـ فاننا يجب أن نقتحم المجـال ، بحيث لا تكون الأخطاء

---

(٨٧) الدكتور فاخـر عاقل : « نحو اصـلاح تربوى جـذرى » ـ **التربيـة من اجل التنمية** ـ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى، المنعقد بدمشق فى ٣ ـ ٨ آب ١٩٧٤ ـ الجمهورية العربيـة السورية ـ وزارة التربية ، ص ١٩١ .

التى تقع على الطريق ، « عامل تثبيط واحباط ، بل العكس ، يجب أن تكون دافعا للتحدى والتصدى ، لأن أول خطوة فى طريق التغيير الجذرى ، هى فى دراسة وتحليل النظام التعليمى واتجاهاته ومشاكله ، والتعرف على مواطن القوة والضعف فيه » [٨٨] .

على أنه يكون من الحكمة ، أن تتخذ بعض الاجراءات . التى تضمن تجنب ما وقع فيه السابقون على الطريق ، من أخطاء ، وتضمن — بالتالى — ترشيد الخطوات ، على هذا الطريق .

وأول هذه الاجراءات — فى نظرى — هو ألا نعتبر كل ما يحمل (عنوان) التربية الاسلامية ، داخلا فى (باب) التربية الاسلامية ، مالم يكن القائمون بالدراسة ، من (المسلمين العقائديين ، المتخصصين فى التربية) ، والا أدخلنا فيها ، جهود المستشرقين — وجهود علماء الدين ، الذين يعرفون الدين ، ولا يعرفون عن التربية ، كعلم وتخصص — وجهود علماء التربية ، الذين لا يعرفون عن الاسلام شيئا يذكر .. بل لعلهم يعرفون — من خلال اعدادهم العلمانى — وعلى أيدى أساتذة غير مسلمين — ما يهدم فكرته .

ولما كان مثل هذا النوع من المسلمين ، نادرا وجوده اليوم ، نتيجة (للازدواج الثقافى) ، الذى يسيطر على التعليم فى عالمنا الاسلامى ، فيجعل هناك (علماء دين) ، و (علماء دنيا) ، ويجعل العلاقات تكاد أن تكون (مقطوعة) بين الفريقين من العلماء — كان من المنطقى ، أن يتم فى المرحلة الراهنة ، البدء بتكوين «(فريق بحث) ، يضم هؤلاء وهؤلاء ، ويجمع الفكر الاسلامى الأصيل ، الى جانب الفكر التربوى الحديث ، ليتم (اللقاح) بين الفكرين ، الأصيل والحديث » [٨٩] ، والعمل فى

---

(٨٨) الدكتور مسارع حسن الراوى : نحو استراتيجية جديدة ، للتعليم فى العراق — مطبعة التقدم — ١٩٧٤ ، ص ٨٠ .

(٨٩) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ ، ص ٣٤٥ .

الوقت ذاته ، على أن تقوم هيئة علمية اسلامية ، بدراسة ما كتب حديثا فى المجال ، حتى تتمكن من اختيار أسماء محددة ، من المتخصصين فى التربية،ممن يمكن أن يوصفوا بأنهم علماء تربية ، مسلمون(عقائديون) ، ليتولوا (اختيار) نوعيات محددة من طلبة الدراسات العليا ، للتسجيل فى مجال التربية الاسلامية ، ولرعاية هذه (النوعيات) ، بكافة صور الرعاية ، حتى يتخصصوا فى المجال ، ويكونوا هم (النواة) ، لما يمكن أن يسمى (بالمدرسة العلمية التربوية الاسلامية) ، التى تفتقدها تربيتنا العربية والاسلامية اليوم ، والتى تمثل آكبر (تحد) بالفعل ، يواجهه المسلمون اليوم ، فى نظم تربيتهم لأبنائهم .

وليس هناك ما يمنع ، من أن تكون من بين هذه (النوعيات) من الدارسين ، نوعيات أخرى من أعضاء هيئات التدريس ، ممن أعدوا بالفعل ، فى احدى الجامعات الحديثة ، فى الغرب ، أو فى الشرق ، آو فى داخل بلد من بلاد العالم الاسلامى .. وممن يرغبون فى (التخصص) فى التربية الاسلامية ، وهم كثيرون بحمد الله . وسوف يكون وجود مثل هذه النوعيات ، كسبا كبيرا للتربية الاسلامية ، لأنهم سيكونون (أقدر) على ايجاد (قنوات) يجب أن توجد — بالفعل — بين تربية أبناء المسلمين اليوم ، والتربية فى البلاد المتقدمة ، التى تتربع على عرش الحضارة الانسانية المعاصرة .

وبدون خلق هذه (المدرسة العلمية) ، سنظل نخوض فى هذا المجال (الحيوى) ، بنفس (الروح) التى نخوض فيه بها اليوم ، متفرقين ، يلعن بعضنا بعضا ، وتظل (الفكرة) السائدة فى مجال التربية ، هى الفكرة الصليبية/اليهودية/الشيوعية ، المعادية للاسلام ، التى حولت العالم الاسلامى ، الى (مجال حيوى) للغرب ، بلا نقطة دم تراق على طريق هذا التحويل ، وهو ما فشل أعداء الاسلام فى الوصول اليه ، قبل هذا (الغزو الفكرى) للعالم الاسلامى ، بالجيوش الجرارة ،

كما سبق(٩٠) .

انها فرصتنا الذهبية اليوم ، بعد أن وصلت الحضارة المعاصرة الى طريقها المسدود ، وراح العالم كله يبحث عن (البديل) ، وليس هناك من بديل ، سوى هذا البديل الاسلامى(٩١) ، الذى لا ينقصه ، سوى أن يقدمه المؤمنون به ، فى صورة تلائم العصر ، متذكرين أنه ليس من طبعه أن يجمد ، لأنه — بطبعه — دين كل زمان ، مثلما هو دين كل مكان ، وأنه « حركة عالمية للتجديد » ، « أكبر من الصلاة ، ومن الصوم »(٩٢) ، وأنه — بطبعه — « حركة ابداعية خالقة ، تستهدف انشاء حياة انسانية ، غير معهودة قبل الاسلام ، وغير معهودة فى سائر النظم الأخرى ، التى سبقت الاسلام أو لحقته »(٩٣) ، وأن شريعته كانت دوما ، « منهاجا الهيا ، لتطوير البشرية كلها ، وصياغتها صياغة معينة ، ودفعها الى أوضاع ، يتم بها تحقيق المجتمع الاسلامى المنشود »(٩٤) ، الذى يملك أبناؤه خير الدنيا ، وحسن نعيم الآخرة ... على السواء ، والذى يقدر أبناؤه من خلاله — بالتالى — على تقديم هذا البديل ، الذى تنشده البشرية ... المهددة بالفناء ، بسبب بعدها عن منهج الله ، ومجافاتها طريق الحق والخير .

وليست القضية قضية الفرصة الذهبية ، من المنظور الدنيوى

---

(٩٠) ارجع الى ص ١٩٢ — ١٩٧ من الكتاب .

(٩١) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ ، ص ١٥٥ .

(٩٢) محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الاسلام — رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسلامى) — المختار الاسلامى — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ، ص ٦٤ .

(٩٣) سيد قطب : فى التاريخ .. فكرة ومنهاج — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ، ص ٣٢ .

(٩٤) سيد قطب : نحو مجتمع اسلامى — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م ، ص ٦٤ .

وحده ، وانما هى واجب دينى ، علينا أن نقوم به ، والا اعتبرنا مقصرين فى حق أساسى من حقوق الله علينا ، وهو حق الحركة ، وحق التبليغ •

وربما كان الجو المكفهر ، الذى رأيناه فى أول الحديث ، يحيط بالاسلام والمسلمين ، حتى دفع بالكثيرين من مفكريهم الى الافراط الشديد فى التشاؤم[٩٥] ، والذى رأينا تتمة صورته ، عند حديثنا عن (المدرسة العلمية التربوية الاسلامية) ، منذ قليل[٩٦] ، هو مقدمة الانطلاقة الكبرى ، التى سيحققها المسلمون فى القادم القريب من أيامهم، باذن الله ، كما كان هذا الجو نفسه ، هو مقدمة القضاء على جحافل الصليبيين والتتار ، فىسالف الأيام ، فقد « قيل انأحلك ساعات الظلام، هى ساعة الهزيع الأخير من الليل ، قبل مطلع الفجر الصادق ، بلحظات •

ويصدق ذلك على أوقات الظلام فى عصور التاريخ ، فان أظلم أوقاته لهو الوقت الذى يسبق فجر اليقظة ، بقليل من السنوات ، ثم تأتى اليقظة فى حينها ، فاذا هى بصيص النور الأول ، قبل تباشير الصباح »[٩٧] •

على أنه اذا كان الهزيع الأخير من الليل ، تحركه ارادة الله سبحانه، من خلال القوانين الطبيعية ، التى أودعها الله فى الكون من حولنا ، فان الهزيع الأخير فى حركات التاريخ ، تحركه ارادة الله سبحانه ، من خلال الجهد البشرى المبذول ، لتحريك هذا التاريخ ، وبذلك فتح الاسلام الحرية « للانسان ابتداء ، لكى يصنع تاريخه الفردى والجماعى ، ولكى يشكل مصيرهما معا ، اعتمادا على ما ركب فى وجوده ، من قوى العقل والارادة والانفعال والحس والحركة ••• والانسان بدوره ، عندما يستخدم حريته ، لصياغة الحدث ، وتوجيه المصير ، انما يعتمد على

---

(٩٥) ارجع الى ص ١٧٧ — ١٨٨ من الكتاب •

(٩٦) ارجع الى ص ٢٠٩ — ٢١٣ من الكتاب •

(٩٧) عباس محمود العقاد : محمد عبده — من مطبوعات وزارة التربية والتعليم (الجمهورية العربية المتحدة) — ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م ، ص ٥ •

مقدمات ، لا يمكنه بحال ، الاستغناء عنها : الزمن ، التراب ، ثم التعاليم والنظم والقيم والأعراف والتقاليد ، وضعية كانت أم دينية • ويبلغ من التناغم والتداخل والتشابك ، بين ارادة الله وارادة الانسان — على خلاف النظرة الغربية — حدا يصعب علينا معه ، التفريق والفصل والقول، بأن هذا من عمل الله ، وهذا من عمل الانسان ، وان كانت القاعدة الأساسية ، التى يجب ألا تغيب عن أذهاننا لحظة ، أن (الكل) من عمل الله »•« الا أن عمل الانسان ، من خلال العلاقات الكونية الشاملة ، يمتلك حريته الكاملة ، فى الصياغة والتخطيط والتنفيذ ، واستغلال النتائج »(٩٨) ، « وهذا هو العدل ، بمفهومه الدقيق الكامل » (٩٩) •

ومن ثم (فالفجر الصادق) نملك نحن هنا (مفاتيحه) ، تؤازرنا فى سعينا اليه — ان نحن سعينا اليه جادين — ارادة الله سبحانه ، التى تعلو فوق كل ارادة •

وعندنا من (مفاتيح) هذا (الفجر الصادق) ، الكثير والكثير ، الا أنها لا تستغل •

ولو استغلت هذه المفاتيح ، لقلبت الموازين كلها ، لصالحنا ، ولصالح الانسانية كلها ، التى تقف اليوم على حافة هاوية خطرة ، توشك أن تبتلع الجنس البشرى كله ، وكرته الأرضية ، التى يعيش عليها ••• بسبب غيابنا نحن عن هذه الساحة العالمية •• كوجود فعال مؤثر •

ولتشغيل هذه المفاتيح •• فانه لابد من اعادة (تشكيل) الانسان المسلم من جديد ، تشكيلا يعيده الى منهج السماء ، الذى أبعد عنه ، فعجز عن استغلال ، حتى ما أتيح له من موارد طبيعية ، صارت عبئا عليه ، بدلا من أن تكون عونا له •

---

(٩٨) الدكتور عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ ، ص ١٣٨ •

(٩٩) المرجع السابق : ص ١٤٠ •

وهنا تكون مسئولية هذه الأمة ، التى فضلها ربها على غيرها من الأمم ، فى حاضرها ومستقبلها ، تقع على عاتقنــا نحن ، رجال التربية ، والمتخصصين فيها ، بوصف (الانسان) ، و (تشكيل) هذا الانسان ، هو المجال الحيوى ، لتخصصنا •

ترى : هل سنعود الى هذا المنهج ، وتعود أمتنا الى فجرها الصادق المنتظر •• أم سنظل حيث نحن ، ننتظر ما يأتينا من الغرب ، من أفكار وآراء ونظريات •• تقودنا الى حيث نظل نزداد عن هذا الفجر الصادق •• بعــدا ؟

واذا كانت الظروف من حولنا ــ نحن المتخصصين فى التربيــة ــ فى مطلع قرننا الخامس عشر الهجرى •• خيرا من الظروف التى أحاطت بالسابقين علينا فى القرن الهجرى المــاضى ــ فهل سنحسن اسـتغلال هذه الظروف ، أم ترانا سننكص على أعقابنا :

« ••• وان تتولوا ، يســتبدل قوما غــيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم »(١٠٠) •

---

(١٠٠) قــرآن كريم : محمــد ــ ٤٧ : ٣٨ •

مراجع الدراسة

اولا : المراجع العربية :

١ — الايغومانس ابراهيم لوقا : المسيحية فى الاسلام — الطبعة الأولى — مطبعة النيل المسيحية — يوليو ١٩٣٨ .

٢ — ابن تغرى بردى الاتابكى (جمال الدين ابى المحاسن يوسف) (٨١٣ — ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة — الجزء الثامن — طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب — من سلسلة (تراثنا) — وزارة الثقافة الارشاد القومى — المؤسسة المصرية العامة ، للتاليف والترجمة والطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

٣ — شيخ الاسلام ابن تيمية : الايمان — صححه وعلق عليه : الدكتور محمد خليل هراس — دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٤ — أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام — الطبعة الرابعة — دار القلم بالكويت — ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م .

٥ — ارنست باركر : الحروب الصليبية — نقله الى العربية : الدكتور السيد الباز العرينى — مكتبة النهضة المصرية — ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م .

٦ — الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره — بقلم : محمد عمارة — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٦٨ .

٧ — العهد الجديد .

٨ — العهد القديم .

٩ — المعجم الوسيط — قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون — وأشرف على طبعه : عبد السلام هارون — الجزء الأول — مجمع اللغة العربية — ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م .

١٠ — أنور الجندى : الاسلام ، فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) — دارالاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٧ .

١١ — انور الجندى : طـــه حسين ، حيــاته وفكره ، فى ميزان الاسلام — الطبعة الثانية — دار الاعتصام — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م ٠

١٢ — تفســـير القــرآن العظيم ، للامام الجليـــل ، الحــافظ عماد الدين ابى الفــداء ، اســـماعيل بن كثير القــرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ — الجزء الأول — ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م (بدون ناشر) ٠

١٣ — سير توماس و٠ ارنولد : الدعوة الى الاسلام (بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية) — ترجمه الي العربية : الدكتـور حسن ابراهيم حسن وآخران — الطبعة الثانية — مكتبـة النهضة المصرية — ١٩٥٧ ٠

١٤ — جمـال الدين الأفغانى ، والشيخ محمـد عبـده : العروة الوثقى — الطبعة الأولى — دار الكتاب العربى — بيروت — لبنــان — ذو الحجة ١٣٨٩هـ — شباط (فبراير) ١٩٧٠م ٠

١٥ — رحمت الله الهنـدى (١٢٣٢ — ١٣٠٨هـ) : اظهار الحق — تقـديم وتحقيق وتعليق : الدكتور احمـد حجازى السقا — الجـزء الأول — دار التراث العـربى ، للطباعة والنشر — ١٩٧٨ ٠

١٦ — سامى جوهر : الموتى يتكلمون — الطبعة الثالثــة — المكتب المصرى الحديث — مايو ١٩٧٧ ٠

١٧ — ســعد جمعــة : الله أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطبــاعة والنشر والتـــوزيع — ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦ م ٠

١٨ — سر التجسد — محاضرات وندوات ، للشباب الجـامعى — رقم (١٧) من مطبوعات (مكتبــة المحبة) — اعداد كنيســة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر (القاهرة) — مكتبة المحبـة (بدون تاريخ) ٠

١٩ — ســـيد قطب : فى التاريخ ٠٠٠ فكرة ومنهاج — الطبعــة الثانيــة — دار الشروق — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ٠

٢٠ — ســيد قطب : فى ظــلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعــة — دار الشروق — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ٠

٢١ — سيد قطب : نحو مجتمع اسلامى — الطبعة الثانية — دار الشروق — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م .

٢٢ — سيد قطب : هذا الدين — دار الشروق (بدون تاريخ).

٢٣ — صلاح العرب عبد الجواد : اتجاهات جديدة فى التربية الصناعية — (دراسات فى التربية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

٢٤ — طه حسين : فى الأدب الجاهلى — الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر — ١٩٤٧ .

٢٥ — طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — ١٩٣٨ .

٢٦ — عباس محمود العقاد : ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ ، الى اليوم) — الطبعة الخامسة — دار نهضة مصر ، للطبع والنشر — ١٩٧٤ .

٢٧ — عباس محمود العقاد : الانسان ، فى القرآن الكريم — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٧٣ .

٢٨ — عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، فى التاريخ ، وكشوف العصر الحديث — رقم (٢٠٢) من (كتاب الهلال) — يناير ١٩٦٨ .

٢٩ — عباس محمود العقاد : عبقرية خالد — طبعة وزارة التربية والتعليم (الجمهورية العربية المتحدة) — ١٩٧٠ .

٣٠ — عباس محمود العقاد : محمد عبده — من مطبوعات وزارة التربية والتعليم (الجمهورية العربية المتحدة) — ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م .

٣١ — العلامة المؤرخ الشيخ ، عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس — تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر ، وعمر الدسوقى — الطبعة الأولى — لجنة البيان العربى — ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

٣٢ ــ دكتــور عبد الغنى النــورى ، ودكتــور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ــ الطبعة الثانيــة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ .

٣٣ ــ دكتــور عبد الغنى عبود : الايديولوجيا والتربيــة ، مدخل لدراسة التربية المقــارنة ــ الطبعة الثالثــة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ .

٣٤ ــ دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضــارة المعاصرة ــ الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاســلام وتحديات العصر) ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ فبراير ١٩٨١ .

٣٥ ــ دكتــور عبد الغنى عبود : الله ، والانســان المعــاصر ــ الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحــديات العصر) ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ فبراير ١٩٧٧ .

٣٦ ــ دكتور عبد الغنى عبود : أنبيــاء الله ، والحياة المعــاصرة ــ الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ سبتمبر ١٩٧٨ .

٣٧ ــ دكتــور عبد الغنى عبود : فى التربيــة الاسلامية ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ .

٣٨ ــ الشهيد عبد القــادر عودة : الاســلام ، بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه ــ المختــار الاســلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م .

٣٩ ــ عبد المتعــال الصعيدى : المجــددون فى الاســـلام ، من القرن الأول ، الى الرابع عشر (١٠٠ هـ ــ ١٣٧٠ هـ) ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر ــ ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م .

٤٠ ــ على سالم النباهين : نظام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر ــ الكتاب الثالث من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) ــ الطبعــة الأولى ــ دار الفكر العــربى ــ ١٩٨١ .

٤١ ــ الدكتور عمــاد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ــ الطبعــة الأولى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ .

٤٢ — الدكتور عماد الدين خليل : « المبتعثون الى الغرب ، رصد للواقع العربى » — **الأمة** — السنة الأولى — العدد الرابع — ربيع الآخر ١٤٠١هـ — شباط (فبراير) ١٩٨١ .

٤٣ — د. عماد الدين خليل : « فى التفسير الاسلامى للتاريخ : المسألة الحضارية » — **المسلم المعاصر** — مجلة فصلية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد التاسع (المحرم — صفر — ربيع الأول ١٣٩٧هـ — فبراير — مارس ١٩٧٧ م) .

٤٤ — عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان — ١٤٠١هـ — ١٩٨٠ م .

٤٥ — الدكتور فاخر عاقل : « نحو اصلاح تربوى جذرى » — **التربية من اجل التنمية** — المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣ — ٨ آب ١٩٧٤ — الجمهورية العربية السورية — وزارة التربية (بدون تاريخ).

٤٦ — فردريك هاربيسون وتشارلز ا. مايرز : التعليم ، والقوى البشرية ، والنمو الاقتصادى (استراتيجيات تنمية الموارد البشرية) — ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ — مراجعة محمد على حافظ — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٦ .

٤٧ — قرآن كريم .

٤٨ — « كتاب مناهج الألباب المصرية ، فى مباهج الآداب العصرية » — من : **الأعمال الكاملة ، لرفاعةرافع الطهطاوى** — دراسة وتحقيق : محمد عمارة — الجزء الأول (التمدن والحضارة والعمران) — الطبعة الأولى — الهيئة العربية للدراسات والنشر — بيروت — آيار (مايو) ١٩٧٣ .

٤٩ — محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام — المجلد الأول — مؤسسة سجل العرب — ١٣٩٣هـ — ١٩٧٢ م .

٥٠ — محمد الغزالى : التعصب والتسامح ، بين المسيحية والاسلام — دار الكتاب العربى بمصر (بدون تاريخ) .

٥١ ـ محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر (بدون تاريخ)

٥٢ ـ دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن ـ تعريب وتحقيق وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين ـ مراجعة دكتور السيد محمد بدوى ـ مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية ـ ١٩٧٤ .

٥٣ ـ الدكتور محمد فاضل الجمالى : آفاق التربية الحديثة ، فى البلاد النامية ـ الدار التونسية للنشر ـ ١٩٦٨ .

٥٤ ـ محمد قطب : قبسات من الرسول ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق (بدون تاريخ) .

٥٥ ـ محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق (بدون تاريخ) .

٥٦ ـ الدكتور محمد لبيب النجيحى : مقدمة فى فلسفة التربية ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٧ .

٥٧ ـ الدكتور محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ـ الطبعة الثانية ـ دار الفتح ـ بيروت ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

٥٨ ـ محمد مظهر الدين صديقى : ما هو الاسلام ـ رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسلامى) ـ المختار الاسلامى ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٥٩ ـ الدكتور مسارع حسن الراوى : نحو استراتيجية جديدة ، للتعليم فى العراق ـ مطبعة التقدم ـ ١٩٧٤ .

٦٠ ـ الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، فى البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق ، للاستعمار الغربى) ـ الطبعة الخامسة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ـ ١٩٧٣ .

٦١ ـ مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم ـ الجزء الثانى ـ الطبعة السابعة ـ المكتبة التجارية الكبرى (بدون تاريخ).

٦٢ ـ مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم ـ الجزء الثالث ـ الطبعة السابعة ـ المكتبة التجارية الكبرى (بدون تاريخ).

٦٣ — هـ. أ. ر. جب وآخرون : وجهـة الاسـلام ، نظـرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى — اشرف على تحريره : الأستاذ (جب) — ونقـله عن الانجليزية : محمد عبد الهادى أبو ريـدة — المطبعة الاسلامية — ١٩٣٤ .

٦٤ — ول ديورانت : قصـة الحضـارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمـة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ .

٦٥ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث — من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمـان) — ترجمـة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التاليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ .

٦٦ — الأميرال وليـام غاى كار : احجار على رقعة الشطرنج — ترجمـة سعيد جزائرلى — الطبعة الأولى — دار النفائس ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٠ .

٦٧ — الدكتور يوسف القرضاوى : الايمـان والحيـاة — الطبعـة الثانية — مكتبـة وهبـة — ١٩٧٣ .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — COPELAND, MILES : The Game of Nations, The Amorality of Power Politics ; Sixth Edition, Weidenfeld and Nicolson, London, October 1970.

2 — DEWEY, JOHN : Education To-day ; G.P. Putmans Sons, New-York, 1940.

3 — FOWLER, H.W. and FOWLER, F.G. (Edited by) : The Concise Oxford Dictionary, of Current English, based on : The Oxford Dictionary ; Fourth Edition, Revised by : E. McINTOSH, Oxford, at the Clarendon Press, 1959.

4 — KANDEL, I.L. : American Education, in the Twentieth Century ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957.

للمؤلـف

اولا : من كتب التربيـــة :

١ — **فى التربية المقــارنة** — عالم الكتب — ١٩٧٤ (مع الدكتــورة نازلى صالح) .

٢ — **الايديولوجيا والتربية ، مدخــل لدراسة التربية المقــارنة** — دار الفكر العــربى — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ — **نحو فلسفة عربية للتربية** — دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النورى) — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ — **فى التربية الاسلامية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ .

٥ — **فى التربية المعاصرة** — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطــاوع) .

٦ — **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٧ — **ادارة التربية وتطبيقاتها المعــاصرة** — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٨ — **البحث فى التربية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ .

٩ — **التربية ومشكلات المجتمع** — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

١٠ — **فلســفة التعليم الابتدائى وتطبيقــاته** (مع الدكاترة حسن عبد العال ، وعلى خليل ، وشوقى ضيف) — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١١ — **الفكر التربوى عند الغــزالى ، كمــا يبــدو من رســالته (ايهــا الولد)** — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١٢ — **التربيــة الاسلامية ، والقــرن الخامس عشر الهجرى** — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

ثانيـا : كتب سلسلة (الاسـلام وتحـديات العصر)

(وتصـدرها كلهـا : دار الفكـر العـربى)

١ — **العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة** — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ — **الله والانسان المعـاصر** — الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٣ — **الاسـلام والكون** — الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٤ — **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر** — يناير ١٩٧٨ .

٥ — **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** — يونية ١٩٧٨ .

٦ — **انبياء الله ، والحياة المعاصرة** — سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ — **قضية الحرية ، وقضايا اخرى** — يناير ١٩٧٩ .

٨ — **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** — يونية ١٩٧٩ .

٩ — **الملامح العـامة ، للمجتمع الاسلامى** — فبراير ١٩٨٠ .

١٠ — **ديناميات المجتمع الاسلامى** — يونية ١٩٨٠ .

١١ — **الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة** — فبراير ١٩٨١ .

١٢ — **الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة** — يونية ١٩٨١ .

١٣ — **اليهود ، واليهودية ، والاسـلام** (تحت الطبع) .

ثالثا : كتب يقـدم لهـا المؤلف

(سلسة مكتبـة التربيـة الاسلامية)

(وتصـدرها : دار الفكر العـربى)

١ — **التربيـة الاسلامية ، فى القـرن الرابع الهجـرى** ، تأليف : حسن عبد العـال — ١٩٧٨ .

٢ — **فلسفة التربيـة الاسـلامية ، فى القرآن الكـريم** ، تأليف : على خليـل — ١٩٨٠ .

٣ — **نظـام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر** ، تأليف : على سالم النباهين — ١٩٨١ .

٤ — **تاريخ التعليم فى الأندلس** ، تأليف : الدكتور محمد عيسى — ١٩٨٢ .

٥ — **فلسفة التربية الاسلامية ، فى الحـديث الشريف** ، تأليف : عبد الجواد السيد بكر (تحت الطبع) .

رقم الايـــداع بدار الكتب المصرية
١٩٨٢/٣٥٣١

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني ـ القاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ ـ ٧٤١٦٩٨